

دراسات في علم اللغة

الوصفي والتاريخي والمقارن

د. صلاح الدين صالح حسنين

الأستاذ المشارك بجامعتي الأزهر
والإمام محمد بن سعود الإسلامية



للطباعة والنشر

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

دراسات في علم اللغة

الوصفي والتاريخي والمقارن

د. صلاح الدين صالح حسنين
الأستاذ المشارك بجامعتي الأزهر
والإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

ص. ب. ١٠٥٠ ـ هاتف ٤٧٧٧١٢١ ـ ٤٧٧١٩٥٢
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم: الدكتور رمضان عبدالتواب
عميد كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

بدأت النهضة اللغوية الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر حين اكتشفت اللغة السنسكريتية إحدى اللغات الهندوأوروبية القديمة، فكوّن ذلك نقطة تحوّل خطيرة في الدراسات اللغوية؛ إذ كان اهتمام اللغويين قبل ذلك محصوراً في دراسة فقه اللغتين اليونانية واللاتينية. والبحث في أصل اللغة ونشأتها، والحكم على اللغات المختلفة حكمًا ذاتياً في مجالات جمال الأسلوب، والثروة الكلامية، وضخامة التراث القديم وغير ذلك. وكانت معظم بحوثهم فيما وراء الطبيعة، كما كانت الأحكام غير الموضوعية تقودهم في الكثير من دراساتهم.

وعندما أتى القرن التاسع عشر، شهدت الدراسات اللغوية تطوراً كبيراً، وكان من أهم ما أتى به هذا القرن هو الاتجاه إلى الدراسة اللغوية التاريخية، بعد أن اكتشفت اللغة السنسكريتية، وعرفت علاقتها باللاتينية والإغريقية وغيرهما. ومنذ ذلك الحين عرفت الدراسة اللغوية ثلاثة مناهج، هي: المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن.

وقد استهوت هذه المناهج الثلاثة مؤلف هذا الكتاب فعكف على دراستها، وتفحص طرائقها، ثم تناول بعض قضايا اللغة العربية، وبين كيف تدرس في ضوء هذه المناهج المختلفة.

ولم يفته الحديث عن أساسيات علم اللغة، وتاريخ الدراسات اللغوية في الحضارات القديمة، وجهود علماء العربية في البحوث الصوتية والصرفية

والنحوية والدلالية، كما عرّج على الجهود اللغوية لعلماء اليونان والرومان وعصور النهضة.

وخلص من كل ذلك إلى علم اللغة الحديث ونشوء المنهج الوصفي على يد دي سوسير، كما تتبع المدارس اللغوية المختلفة ووقف عند البنيوية، والتوليدية التحويلية وغير ذلك.

وقبل أن يعرض لبعض تطبيقات المنهج الوصفي في العربية، طوف بسرعة في مجال علاقة اللغة بالمجتمع وعلم النفس، وعرض بالدراسة لعلم اللغة التاريخي والمقارن في اللغات السامية.

ولا شك أن هذا الكتاب مفيد لطلاب البحث اللغوي، يجمع بين دفتيه خلاصة التجارب الطويلة للمؤلف في الدراسات اللغوية، وحصيلة القراءات الطيبة في هذا الميدان.

والله تعالى أسأل أن ينفع به، ويوفق المؤلف الشاب إلى رضاه، ويبلغه ما يتمناه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مثيل الروضة بالقاهرة
في ٢٥/٧/١٤٠٤هـ = ١٥/٤/١٩٨٤م

رمضان عبدالتواب

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد النبي الأمين

وبعد: فهذه دراسة مختصرة عن الدراسات اللغوية الحديثة، أسسها واتجاهاتها...

والسبب الذي دفعني إلى القيام بهذه الدراسة هو أنه أسند إليَّ تدريس مادة علم اللغة العام لطلاب الماجستير في معهد تعليم العربية، لغير الناطقين بها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية... وعندما بدأت أحاضر الطلاب عن الدراسات اللغوية العربية، وجدت أنهم على علم تام بها... فهم قد درسوا في كلية اللغة العربية أسس الدراسات اللغوية عند العرب وهضموها هضمًا كاملاً... أضف إلى هذا أن هؤلاء الطلاب يؤهلون لمعرفة التحليل اللغوي الحديث تمهيداً لإجراء تقابلات مع لغات طلاب المنح الذين يفدون على الجامعة سنوياً لتعلم اللغة العربية، فعن طريق هذه التقابلات يمكن حصر النقاط الصعبة التي تعترض الطالب الذي لا يتكلم العربية، تمهيداً للتفكير في سبل التغلب على هذه المصاعب. من هنا أصبحت هناك حاجة ملحة إلى كتاب يوضح أسس الوصف اللغوي لأي لغة إنسانية، لهذا عقدت العزم على إعداد بحث يوضح «أسس الوصف اللغوي» وعندما انتهيت من هذا البحث تصادف أن قابلت أستاذي الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب فشرحت له ما أنا بصدده

ومدى اهتمامي بالدراسة الوصفية، إلا أنه حثّني على وجوب الاهتمام بعلم اللغة التاريخي وعلم اللغة المقارن وضرورة شرح هذين العلمين للطلاب حتى يتفهموا مزيداً من الظواهر اللغوية العربية التي لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء هذين العلمين، وإلاّ فكيف نعلل ضم ضمير الغائب المفرد المذكر في نحولَهُ وكسره في نحوبِهِ. إن الوصف هنا لا يساعدنا على شرح مثل هذه النقاط، وكيف نعلل وجود الهمز في بائع وقائم؟... من هنا فكّرت مرة ثانية في موضوعي وقمت بتعديله وفق هذه النصائح وكان من نتيجة ذلك أن اهتممت بالأصوات اهتماماً بالغاً لأنها عُرضة للتطور أكثر من التراكيب النحوية، ولأنها كما سنرى ذلك خلال هذا الكتاب تُعَدّ من أهم العوامل التي تميز أسرة لغوية عن أسرة أخرى. وهكذا أصبح الكتاب يتضمن علم اللغة الوصفي وعلم اللغة التاريخي وعلم اللغة المقارن، وقد مَهَّدت لهذه الدراسة بدراسة عن اتجاهات الدراسة اللغوية وتاريخ هذه الدراسات أوضحت في الاتجاهات الفرق بين الدراسة الحديثة والدراسة التقليدية وأوضحت أن الدراسة الحديثة تعتمد على أسس المنهج العلمي الذي تطور تطوراً هائلاً في العصر الحديث، ولا يعني هذا أن القدماء لم يدرسوا دراسة علمية ولكنه يعني أنهم درسوا اللغة وفق الأسس العلمية السائدة في عصرهم، وأظن أن من حقنا نحن أبناء هذا الجيل أن ندرس اللغة وفق الأسس العلمية السائدة في عصرنا...

ولا أزعم أنني أتيت في هذا الكتاب بما لم يأت به الباحثون الآخرون في العالم العربي، ولكنني لخصت كافة الاتجاهات اللغوية في هذا الكتاب، بعد أن كانت موزعة هنا وهناك في كتاب يهتم بعلم اللغة الوصفي وآخر يهتم بعلم اللغة التاريخي، فلقد شرح الأستاذ الدكتور تمام حسان المنهج الوصفي شرحاً وافياً في كتابه «مناهج البحث في اللغة» و «العربية: معناها ومبناها» وشرح الدكتور رمضان عبد التواب ود. محمود فهمي حجازي المنهج التاريخي والمقارن في كتبهما، فالأول له: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، وفصول في فقه العربية، والتطور اللغوي، ولحن العامة والتطور اللغوي والثاني له: علم اللغة العربية، وأسس علم اللغة العربية، ولا يفوتني أن أذكر الدكتور ابراهيم

السمرائي في كتابه فقه اللغة المقارن، والدكتور كمال بشر في كتابه: أبحاث في اللغة أو علم اللغة العام الجزء الأول.

ولا يفوتني أن أشكر أستاذي: الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب الذي راجع معي فصول هذا الكتاب وأبدى ملاحظات قيمة أدت إلى ظهور الكتاب بهذه الصورة، وكذلك أوجه شكري العميق إلى الأستاذ الدكتور محمود إسماعيل الصني فقد راجع معي جزءاً كبيراً من هذا الكتاب وكان لملاحظاته القيمة أثر في ظهور البابين الأول والثاني من هذا الكتاب على الصورة الحالية التي ظهرا بها.

والله الموفق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صلاح صالح حسنين

المحتوى

الباب الثالث
علم اللغة الوصفي

الباب الرابع
علم اللغة التاريخي

الباب الخامس
علم اللغة المقارن

الباب الأول

أساسيات في علم اللغة

- الفصل الأول: فقه اللغة.
- الفصل الثاني: علم اللغة.
- الفصل الثالث: اللغة ووظيفتها.

الفصل الأول

فقه اللغة

فقه اللغة عند العرب:

١ ـ **معنى كلمة فقه لُغَةً:**: تعني الكلمة العلم وحسن الإدراك، جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: تقول فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشيء فقه، يقولون: لا يفقه ولا ينقه، وأفقهتك الشيء إذا بينته لك.

وجاء في لسان العرب الفقه هو العلم بالشيء والفهم له، وفقه فقهاً بمعنى علم علمًا، وفقه عنه بالكسر فهم... والفقه الفطنة.

٢ ـ **معنى كلمة فقه اصطلاحاً:** تعني الكلمة: علم الشريعة، جاء في معجم مقاييس اللغة: فقيل لكل عالم بالحلال والحرام فقيه، وجاء في لسان العرب: وغلب الفقه في علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر العلوم.

٣ ـ **كلمة فقه والدراسات اللغوية:**

أولاً ـ كتاب الصاحبي:

استخدم أحمد بن فارس كلمة فقه في الدراسات اللغوية لأول مرة في كتابه الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، وحدد ابن فارس المقصود بفقه اللغة في مقدمة كتابه السابق الذكر، فقال إن علم العربية ينقسم إلى قسمين، أصلي وفرعي، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات، وهذا الذي

يُبْدَأ به عند التعلم، وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطبتها ومالها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً، ويبدو أن هذا الشق الأخير هو ما يقصده بمباحث فقه اللغة، يدل على ذلك أننا نجده قد طبّق هذا التعريف على الدراسة التي قام بها في هذا الكتاب، فتحدث عن أصل اللغة العربية وحياتها، فأوضح أن اللغة توفيق من عند الله سبحانه تعالى، لقوله تعالى: ﴿وعَلَّم آدم الأسماء كلها﴾ (سورة البقرة: آية ٢/٣١). ثم تحدث عن نشأة الخط العربي،واستعرض آراء العلماء في ذلك وانتهى إلى أن الخط توفيق من عند الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي عَلَّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (سورة الفلق: آية ٩٦،١ ــ ٥).

انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن حياة اللغة العربية فقسم اللغة العربية إلى قسمين، الأول: عربية الشمال وهي لغة العرب العاربة، والثاني عربية الجنوب وهي لغة العرب المستعربة وسماها الحميرية... وأكد في أثناء هذا الحديث أن لكل قوم لغة يتفاهمون بها، ثم استعرض حياة لغة العرب العاربة فقسمها إلى لغات فصيحة ولغات مذمومة، وأوضح أن قريش أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله سبحانه وتعالى اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيّ الرحمة محمد، صلى الله عليه وسلم، فجعل قريشاً قُطَّان حرمه وجيران بيته الحرام وولاته.

وأما اللغات المذمومة فأوضح أن منها:

١ ــ عنعنة تميم وهي قلب الهمزة في بعض كلامهم عيناً، يقولون: سمعت عَنَّ فلاناً قال، يريدون أنّ.

٢ ــ كشكشة أسد وهي إبدال كاف (المخاطبة) شيناً فيقولون عليش بمعنى عليك.

٣ ــ كسكسة ربيعة وهي أن يصلوا بالكاف سيناً فيقولون عليكس. وتتبع بعد ذلك نواحي الإختلاف بين اللهجات العربية المختلفة، وحصرها في الإختلاف في الحركات نحو نِستعين ونستعين، أو في إبدال الحروف نحو

أولئك وأُلالِك، والاختلاف في الإعراب نحو ما زيدٌ قائمًا وما زيدٌ قائم. والاختلاف في الوقف على هاء التأنيث نحو هذه أمة وهذه أُمَتْ.

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، فاستعرض آراء العلماء في تفسير الحديث النبوي الشريف: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» وقال إن سبعة أحرف تعني سبع لغات، منها خمس بلغة العُجز من هوازن، ثم أوضح أن هذا ما جاء في لغات مُضر، ولكن قد جاءت في القرآن لغات لأهل اليمن نحو الأرائك ومعاذيره... وهنا أكَّد ابن فارس أنه ليس في كتاب الله شيء بغير لغة العرب، لقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ (سورة الزخرف: آية ٣/٤٣). ولقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه﴾ (سورة ابراهيم: آية ٤/١٤). ولقوله تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾ (سورة السفراء: آية ١٩٥/٢٦).

ثم تحدث عن التطور الذي طرأ على العربية بعد أن أنزل الله دينه الحنيف على رسوله الأمين، ومن مظاهر هذا التطور استحداث دلالات جديدة لألفاظ قديمة، من ذلك المؤمن والمسلم والكافر والمنافق والصلاة والركوع والسجود والمخضرم، فقد كان المؤمن قبل الإسلام من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سُمِّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عَرَفت (العرب) منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلاّ الغطاء والستر[1].

ثم تحدث عن خصائص العربية، وأوضح أن من هذه الخصائص:

١ ـ **البيان**: وهو أبلغ ما يوصف به الكلام، قال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل ربِّ العالمين، نزل به الرُّوح الأمين على قلبك، لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين﴾ (سورة الشعراء: آية ١٩٠/٢٦ ـ ١٩٥). وقال تعالى: ﴿خلق الإنسان، علمه البيان﴾ (سورة الرحمن: آية ٤٠٣/٣٥) معنى

---

(١) الصاحبي، ص ٧٩.

هذا الله سبحانه وتعالى خص اللسان العربي بالبيان، ويرى ابن فارس أن البيان جعل العربية أفضل اللغات وأوسعها، ولذلك لم يستطع أحد من التراجم نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى كما فُعل ونقلوا الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية.

٢ ـ **الإعراب**: وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام. ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام ولا صدر من مصدر ولا نعت من تأكيد.

انتقل ابن فارس بعد ذلك إلى الحديث عن مستويات البحث اللغوي، وهي الأصوات والصرف والنحو والدلالة.

□ الأصوات:

١ ـ تحدث عن الأصوات غير العربية وأوضح كيفية تحويلها في العربية. ويقول في هذا نقلاً عن ابن دريد: حروف لا تتكلم بها العرب إلاّ ضرورة، فإذا اضطروا إليها حَوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها، فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء، مثل بور إذا اضطروا قالوا فور، ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم وهي لغة سائرة في اليمن مثل جَمَل إذا اضطروا قالوا كَمَل، قال والحرف الذي بين الشين والجيم والياء: في المذكّر غلامج وفي المؤنث غلامِش، فأما بنو تميم فإنهم يلحقون الكاف باللهاة حتى تغلظ جداً، فيقولون: القَيّوم فتكون بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم.

٢ ـ تآلف الأصوات: اشترط في الكلمات العربية الشائعة أن تتألف من أصوات متآلفة، أما المهمل فقد وصفه أنه على ضَرْبين: ضَرْبَ لا يجوز ائتلاف حروفه في العرب بتّة، وذلك كجيم تؤلف مع كاف، أو كاف تُقَدَّم على جيم وكعين مع غين أو حاء مع هاء أو غين.

الضَرْب الآخر: ما يجوز تآلف حروفه، لكن العرب لم تقل عليه مثل غَضَخَ وله ضَرْب ثالث وهو أن يريد مريدٌ أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس بينها من حروف الذلق أو الإطباق حرف.

٣ ـ إبدال الحروف مثل مَدَحَه ومَدَهَهُ، رِفَلٌ ورِفَنّ.

□ **الصرف:**

تحدث عن أهمية مستوى البحث الصرفي في اللغة فقال: وأما التصريف فإنّ من فاته علمه فاته المعظم؛ لأنا نقول: وَجَدَ، وهي كلمة مبهمة، فإذا صَرَّفنا أفصحت فقلنا في المال وُجْداً وفي الضالة وجداناً وفي الغضب مَوْجِدَةً، وفي الحزن وَجْداً. وقال الله جَلّ ثناؤه: ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حَطبا﴾ (سورة الجن: آية ١٥/٧٢). وقال: ﴿وأقْسِطُوا إن الله يُحِبُّ المُقْسِطين﴾ (سورة الحجرات: آية ٩/٤٩). كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل إلى الجور، ويكون ذلك في الأسماء والأفعال، فيقولون للطريقة في الرُّمل خِبَّة، وللأرض المخصبة والمجدبة خُبّة، وتقول في الأرض السهلة الخَوَّارة: خارت تخور خَوْراً وخُؤوراً، وفي الثور: خَار خُوَاراً. وفي الإنسان إذا ضعف: خار خَوَراً. ويقولون للمرأة الضخمة: ضناك وللزكمة ضُناك ويقولون للإبل التي ذهبت ألبانها: شَوْل وهي جمع شائلة، والتي شالت أذنابها للقح: شُوَّل، وهي جمع شائل، ويقولون لبقية الماء في الحوض: شَوْل» ويقولون للعاشق عميد، وللبعير المتآكل السَّنام عَمِدُ، إلى غير ذلك من الكلام الذي لا يحصى[1].

وتحدث عن الموضوعات الصرفية الآتية:

١ ـ الاسم المفرد والمثنى والجمع.

٢ ـ دلالة الفعل الماضي على الزمن الماضي والمضارع ودلالة المضارع على الماضي.

٣ ـ التمييز بين الفعل اللازم والمتعدي.

٤ ـ الأوزان الدالة على الكثرة مثل فَعُول وفَعَّال نحو ضَرُوب وضَرَّاب.

٥ ـ معاني أوزان الأفعال.

---

(١) الصاحبي: ص ١٩١ ـ ١٩٢.

□ **النحو:**

تناول في هذا المستوى أنواع الجمل في اللغة العربية فقسم الجملة إلى خبر واستخبار وأمر ونهي ودُعاء وطلب وعَرْض وتحضيض وتمن وتعجب.

□ **الدلالة:**

تحدث عن الحقيقة والمجاز، وعن الترادف والتضاد والمشترك اللفظي.

ننتهي من هذا العرض أن فقه اللغة عند ابن فارس يعني:

١ ــ البحث في أصل اللغة وتطورها وانقسامها إلى لهجات.

٢ ــ دراسة مستويات اللغة المختلفة من أصوات وصرف ونحو ودلالة.

وربط دراسة فقه اللغة بفهم القرآن الكريم فهمًا جيداً ودقيقاً فكان الهدف من دراسة فقه اللغة هو دراسة النص القرآني وفهمه.

ثانياً ــ فقه اللغة وسر العربية:

عرف التراث العربي كتاباً ثانياً يحمل مصطلح فقه اللغة عنواناً له هو كتاب فقه اللغة، وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي المتوفي ٤٣٠هـ. والثعالبي معاصر لابن فارس، وقد ألف الثعالبي كتابه بعد ظهور كتاب الصاحبي السابق الذكر، وكتاب الثعالبي ينقسم إلى قسمين، القسم الأول: أسماه فقه اللغة، والقسم الثاني أسماه سر العربية، ومادة فقه اللغة عند الثعالبي تختلف عن مادة فقه اللغة عند ابن فارس. ففقه اللغة عند الثعالبي هو معجم من المعاجم اللغوية رتبت فيه المادة ترتيباً معنوياً، لا على ترتيب حروف الهجاء، وفائدته لمن يعرف معنى من المعاني، ويطلب فيه اللفظ الدال عليه، بخلاف معاجم الألفاظ التي يراد منها البحث عن معاني الألفاظ التي يريد الباحث تفسيرها.

وصنيع الثعالبي في فقه اللغة يُمَتُّ بصلة قوية إلى كتاب الغريب المصنف لأبي عبد القاسم بن سلام، كما يُعَدّ ممهدا لتأليف كتاب المخصّص لابن سيده.

والذي يشبه من تأليف الثعالبي كتاب الصاحبي الجزء الثاني من كتابه هو «سر العربية»[1].

ففقه اللغة، عند الثعالبي يعني فهم الفروق الدقيقة بين معاني الألفاظ التي تدور حول موضوع واحد، أي أنه يتناول ما يمكن أن يسمى بفقه اللغة المعجمي.

ثالثاً ــ فقه اللغة عند العلماء العرب المعاصري:

كتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي:

يرى الدكتور علي عبد الواحد وافي أن هناك علمين لدراسة اللغة، الأول يدرس اللغة الإنسانية بوجه عام من حيث النواميس العامة التي تسير عليها اللغات الإنسانية في نشأتها وانتقالها من السلف إلى الخلف، وانشعاب الأصل الواحد منها إلى شُعب وفروع، وتكون مجموعاتها وفصائلها، وصراعها بعضها مع بعض، وتطورها من السلف إلى الخلف. وقد أطلق على هذا العلم مصطلح علم اللغة...

الثاني يدرس فصيلة خاصة من اللغات الإنسانية وهي فصيلة اللغات السامية بوجه عام والعربية بوجه خاص. وأطلق على هذا العلم فقه اللغة، يقول في مقدمة كتابه فقه اللغة،[2] فمؤلفنا هذا بمنزلة الجزء الثاني من كتابنا علم اللغة، غير أننا آثرنا أن نطلق عليه إسماً خاصاً شاع استعماله في الموضوعات التي يعرض لها، وخاصة ما يتعلق منها باللغة العربية. والموضوعات التي بحثها في كتابه فقه اللغة تشمل ما يلي:

١ ــ تاريخ اللغات السامية وأهم خصائصها.
٢ ــ نشأة اللغة العربية وتطورها.
٣ ــ دراسة مستويات اللغة العربية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية.

---

(١) مقدمة محققي كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، ص ١٧ ــ ١٨.
(٢) فقه اللغة، صبحي الصالح، ص ٧.

ففقه اللغة عند الدكتور علي عبد الواحد وافي، يعني البحث في موضوعات نشأة اللغة وتطورها وخصائصها ودراسة مستوياتها المختلفة وهذا يشبه ما رأيناه عند ابن فارس وعند الثعالبي في الجزء الذي تحدث فيه عن سر العربية.

الفيلولوجيا عند الغرب (Philology) :

١ ـ المعنى اللغوي للمصطلح:

إن مصطلّح فيلولوجيا يوناني في الأصل، يتكون من (Philos) بمعنى حب أو صداقة و (Logos) بمعنى اللغة، ومعناه الكلي حب اللغة.

٢ ـ المعنى الاصطلاحي للمصطلح:

اختلف الأوروبيون في تحديد المفهوم الاصطلاحي للفيلولوجيا، وأهم الآراء في ذلك ما يلي:

(أ) يرى البعض أنه يعني مجرد درس قواعد الصرف والنحو ونقد نصوص الآثار القديمة.

(ب) يرى بعض آخر أنه يعني دراسة الكلمات وقوانينها وترتيبها في معجم.

(ج) يرى السنيور جويدي أن الفيلولوجيا تدرس تاريخ اللغة ومقابلة اللغات والنحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وعلوم الأدب بمعناها الواسع، فتشمل تاريخ الأدب وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية وتاريخ الفقه من حيث تدوينه في المجاميع والمجلات وتاريخ الأديان من حيث درس الكتب المقدسة وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية.

(د) يرى الأستاذ كارول في كتابه دراسة اللغة أن الفيلولوجيا هي الأرض الواسعة بين علم اللغة من ناحية وبين الدراسات الأدبية والإنسانية من ناحية أخرى، وعلى هذا تهتم الفيلولوجيا بالجانب اللغوي للأدب وصنع الفنون المماثلة، كما أنها تهتم بالوثائق الثقافية والاجتماعية بأنواعها المختلفة، وتهتم كذلك بالدراسات الأدبية والثقافية، ثم أوضح في النهاية

أن من نتائج الدراسة الفيلولوجية دراسة التاريخ الثقافي للغة وعمل القواميس العامية وشرح الأعمال الأدبية والأدب الشعبي[١].

(هـ) يرى الأستاذ روبنز أن الفيلولوجيا تستعمل بشيء من الاختلاف عند كل من البريطانيين والألمان والفرنسيين. ففي استعمال البريطانيين يتساوى الاصطلاح مع الفيلولوجيا المقارنة وهي التي تسمى الآن في الإصطلاح اللغوي علم اللغة المقارن. أما هذا الاصطلاح عند الألمان فيعني الدراسة العلمية للنصوص الأدبية القديمة وخاصة النصوص اليونانية والرومانية القديمة، ويعني أكثر من ذلك دراسة الثقافة والحضارة من خلال النصوص الأدبية... أما الفيلولوجيا المقارنة عند الانجليز فتقابل عند الألمان علم اللغة المقارن. ويستطرد الأستاذ (روبنز) يقول ولعل تفسير الألمان لهذا المصطلح يعني أن الفيلولوجيا تربط بين علم اللغة (Linguistics)[٢] وبين الدراسات الجمالية والإنسانية للأدب وللميدان الذي يعتمد فيه مؤرخ مظاهر الحضارة المتباينة على نتائج عالم اللغة في فهم النصوص والنقوش وفي وضع أسس معتمدة من المخطوطات والوثائق والمواد لتكون دعامة لدراسته. والصلة بين علم اللغة والفيلولوجيا بهذا المعنى الأخير قريبة جداً وكثيراً ما يتلاقى ميدانهما. وعلم اللغة بمعناه الضيق يركز على التحليل لتركيب اللغة ووصفها، وعندما يوسع علماء اللغة ميدان موضوعهم فيعالجون المعنى فإنهم يقتربون من مجال الفيلولوجيا. ولقد كانت الفيلولوجيا مسيطرة على ميدان الدراسة اللغوية في أوروبا أثناء القرن التاسع عشر وذلك نتيجة لاكتشاف اللغة السنسكريتية[٣].

* * *

بعد هذا العرض نستطيع القول إن الفيلولوجيا عند الغربيين تعني دراسة اللغة دراسة تاريخية ومقارنة وتحقيق النصوص لفهم التاريخ الثقافي والأدب

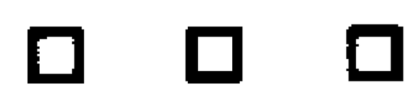
---

(١) John B. Caroll, The Study of Lanquage p. 3, 65, 66.

(٢) سنتناول شرح هذا المصطلح فيما بعد.

(٣) Robins, General Linquistics, An Introductory Survey p. 6, 7.

الشعبي للشعوب التي تتكلم اللغة موضع الدراسة، وفهم المصطلح بهذا المعنى قريب من فهمه عند اللغوّيين العرب القدامى والمحدثين.



الفصل الثاني

علم اللغة

١ ـ علم اللغة عند العرب:

أول من استخدام هذا المصطلح هو العلامة ابن خلدون في مقدمته، ويعني في رأيه علم المعاجم على اختلاف أنواعها سواء أكانت متصلة بجمع الألفاظ اللغوية عامة، أم بجمع الألفاظ المتدرجة تحت موضوع واحد، أم كانت متصلة بالمرادف والدخيل والمشترك، واستخدمه بعد ذلك جلال الدين السيوطي عنواناً لكتابه «المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، وقد أوضحنا من قبل أن هذا الكتاب لا يختلف عن كتابي فقه اللغة العربية لابن فارس والثعالبي.

معنى هذا أن القدماء من علماء العربية لم يكونوا يفرقون في الاستعمال بين مفهوم المصطلحين: فقه اللغة، وعلم اللغة[١].

٢ ـ علم اللغة عند الغربيين:

هو العلم الذي يدرس اللغة في حد ذاتها ومقصودة لذاتها دراسة علمية[٢]، ويقوم هذا العلم على أساس عدم تفضيل لغة ما على لغة أخرى، ويدرس لغات كل المجتمعات الإنسانية. ويهتم في دراسته بتركيب كل لغة وبكيفية استخدامها من قبل أفراد المجتمع الذين يتكلمون اللغة موضع الدراسة

(١) د. عبدالصبور شاهين: في علم اللغة العام. ص ٢٥؛ ود. عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية. ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) David Crystals, the Linguistics, p. 65.

وبعلاقة هذه اللغة بغيرها من اللغات. ويدرس هذا العلم كذلك كيف تختلف اللغة من لهجة إلى أخرى وكيف تتطور بتطور الزمن.

لقد عرفنا على اللغة بأنه الدراسة العلمية للغة. وهذا التعريف البسيط يحجب وراءه اختلافات في الآراء حول تحديد معنى مصطلح الدراسة العلمية للغة ولا يهمنا أن نستقصي هذه الآراء لأنه لا فائدة منها ولذلك نستطيع القول ببساطة إن الدراسة العلمية هي الدراسة القائمة على تنظيم المادة اللغوية وفقاً لمنهج من مناهج البحث اللغوي. ويدرس اللغوي اللغة ليكتشف طبيعة النظام اللغوي الأساسي، وبالطبع لن يستطيع ذلك إلّا إذا كانت لديه معرفة مسبقة عن طرق تركيب اللغات.

ومن ناحية أخرى فإنه يجب على اللغوي أن يختبر النظرية التي سيختارها عن تركيب اللغة ليتأكد من أنها تنطبق على الحقائق اللغوية التي جمعها من خلال اللغة التي يقوم بدراستها(١). وسيتضح لنا من دراسة الاتجاهات المختلفة للبحث اللغوي أن بعض الاتجاهات تركز على شيء معين في حين أن الاتجاهات الأخرى تركز على شيء آخر، فبعض المدارس اللغوية تركز على تنظيم المادة والمشكلات المنهجية التي قد تواجه الباحث أثناء دراسته، وبعضها الآخر يبحث عن كيفية نقل المتكلم أفكاره للسامع... أو بمعنى آخر كيف يقيم المتكلم علاقة اتصال بالسامع. ولكن مع ذلك يمكن القول إن مختلف النظريات اللغوية تركز على تركيب اللغة ودراسة المادة المجموعة وفق نظام معين. وفي علم اللغة كما في العلوم الأخرى نجد أن النظرية والتطبيق متكاملان ومترابطان.

إن كل أنواع التحليلات اللغوية تقوم على أساس الافتراض أن اللغة مركبة، وهذا يعني أن أي كلام نسمعه لا يتكون من كلمات مرتبة ترتيباً عشوائياً، ، ولكنها ترتب وفقاً لأسس معينة وهذه الأسس تحدد الكلمات المستخدمة والصيغة والترتيب. ويستعين اللغوي في التحليل الذي يقوم به بثلاثة قوانين هي:

---

(١) J.P.B. Allen, Some Basic Concepts in Linguistics, p. 16-17.

١ ــ **الشمول**، أي المعالجة الشاملة لكل المادة المجموعة؛
٢ ــ **التماسك**، أي عدم وجود تناقض بين الأجزاء المختلفة للدراسة؛
٣ ــ **الاقتصاد**، أي كلما كانت التعبيرات المستخدمة في وصف تركيب معين قليلة وواضحة كلما كان هذا أفضل من الاستطّراد.

والشمول والاقتصاد مستقلان، بمعنى أنه لا يفضل التعبير المختصر أو الشرح المختصر إذا لم يكن الشرح شاملاً لكل الأجزاء المدروسة ، ومن ناحية أخرى نجد أن الوصف الشامل قد يتغير بوجود شواذ لا يمكن تجنبها. ونتيجة لتطبيق هذه الأسس الثلاثة يتوقع اللغوي أن يكون قد التزم الموضوعية في وصفه. وهدفه دائمًا هو تقديم تحليل قابل للتطبيق من قبل المحلل نفسه ومن قبل غيره الذين يلتزمون بمنهجه في الوصف. إن التزام الموضوعية في الدراسة اللغوية كما سيتضح لنا بعد قليل من أهم ملامح المنهج العلمي لعلم اللغة[١].

واتسعت الدراسات اللغوية في العصر الحديث وأصبح العلماء يميزون الآن بين مجالين لعلم اللغة:

الأول: مجال واسع يدرس كل ما يتعلق باللغة دراسة عامة وشاملة، فيدرسها من الجانب النفسي، وهذا هو الذي اصطلح عليه بإسم علم اللغة النفسي (Psycholibguistics) ويدرسها من الجانب الاجتماعي واصطلح على هذا باسم علم اللغة الاجتماعي (Social Linguistics) ومن الجانب التاريخي ويسمى علم اللغة التاريخي (Historical Linguistics) ويدرسها من حيث الأمراض الكلامية التي يصاب بها بعض الأشخاص، وهذا يسمى علم أمراض الكلام (Speech Pathology) ويدرسها من وجهة نظر الاتصال والحاسب الآلي، ويطلق على هذا المجال الشامل إسم علم اللغة الواسع، (Macrolinguistics).

أما المجال الثاني: فهو مجال يقتصر على تركيب اللغة ويشمل التركيب الصوتي والنحوي والدلالي وهذا هو المجال الخاص في الدراسة اللغوية ويطلق عليه مصطلح (Micro Linguistics)[٢].

---

(١) Ibid, p. 17.

(٢) D Carl James, *Contrastive Analysis*, London, 1980, p. 100.

ملامح المنهج العلمي لعلم اللغة:

أوضحنا في الفقرة السابقة أن علم اللغة يتبع المنهج العلمي في دراسة اللغة وأوضحنا أن الموضوعية تشكل أساساً من أسس هذا المنهج فما هي هذه الأسس؟ يقوم هذا المنهج على ثلاثة أسس هي:

٣ ـ الدقة، التنظيم، والموضوعية:

□ **الدقة:**

يقصد بها تحديد معنى المصطلحات التي نصادفها في دراستنا اللغوية تحديداً دقيقاً، فإذا تعرضنا لتعريف الاسم مثلاً: لا نستطيع أن نسلم بالتعريف القائل إنه يدل على مسمى، ولكن التعريف الذي يفضله علم اللغة هو الكلمة التي تسبق بحرف من حروف الجر أو تقبل «أل» أو «التنوين» أو حرفاً من حروف النداء، أو الإسناد، وتمتاز بأنها يمكن أن تثنى وتقبل علامات الإعراب والإضافة.

واللغوي لا يستطيع الاعتماد على مصطلحات ثابتة عند تحليله للغة التي يدرسها وقد يتطلب الأمر استعمال مصطلح جديد أو استعمال مصطلح قديم، ولكن بمعنى جديد وهذا يتطلب منه تغيير كل المصطلحات السابقة، لأن المصطلحات المستخدمة في علم اللغة يتوقف بعضها على بعض، فمصطلح ما قد يحدد مصطلحاً آخر أو العكس قد يتحدد به، فمثلاً إذ. جمعنا بعض الألفاظ ورأينا أن بعضاً منها ينتهي بالألف والنون، فإننا لا نستطيع القول إنها جميعاً مثنى مثل ولدان وعثمان، فمثلاً ولدان له مفرد وهو ولد، أما عثمان فليس له مفرد، وهذا يعني أنه مفرد بذاته، من هنا نخرج بتعريف المثنى بأنه الاسم الذي ينتهي بالألف والنون بشرط أن يكون له مفرد من لفظه، أما إذا قلنا: إن المثنى هو الذي ينتهي بالألف والنون المزيدتين، فيكون هذا التعريف ليس دقيقاً، لأن الألف والنون في كلمة مثل عطشان زائدة، ومع ذلك ليست مثنى، لأنه ليس لها مفرد من لفظها.

يعتمد اللغوي إذاً لكي يكون دقيقاً في أحكامه على مبدأ هام هو التقابل، ويستخدم هذا العنصر في جميع مراحل تحليلاته اللغوية، وهذا المبدأ هو المسؤول

عن التمييز الآتي في الدراسات الصوتية، المجهور في مقابل المهموس، والمفخم في مقابل المرقق، والانفجاري في مقابل الاحتكاكي، والبسيط في مقابل المركب، والصامت في مقابل الحركة وفي مجال الصرف، المفرد، في مقابل المثنى والجمع.

والمذكر في مقابل المؤنث، الاسم في مقابل الفعل، والاسم في مقابل الصفة والظرف والضمير، وفي مجال النحو: الجملة الاسمية في مقابل الجملة الفعلية، والجملة البسيطة في مقابل الجملة المركبة.

ويجب أن يكون التقابل دقيقاً للغاية، وإلا فلن تثمر الدراسة عن نتائج طيبة، فمثلاً إذا قلنا إن الفعل المضارع يدل على حدث وقع في الزمن الحالي مثل: محمد يلعب، ويدل الفعل الماضي على حدث وقع في الزمن الماضي مثل: محمد لعب، وخرجنا بنتيجة من تحليلنا اللغوي تفيد ذلك، فإن هذه النتيجة ليست دقيقة، لأننا أهملنا عاملاً مهمًا قبل التوصل إلى هذه النتيجة، وهو العلاقة بين الزمن والوقت، وهنا لا بد أن نتساءل هل تؤدي أزمنة الفعل دوراً آخر في اللغة غير الإشارة إلى الوقت المحدد، وهل هناك طرق أخرى تستخدمها اللغة للإشارة إلى الوقت المحدد بعيداً عن استعمال نظام الأزمنة، لا نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة إلا إذا جمعنا عينات من اللغة المعينة وقمنا بدراستها والآن ننظر في الأمثلة الآتية:

١ ــ جاء في إعلان لإحدى الصحف: السيد فلان يموت في المستشفى.

هذه الجملة لا تعني أن هذا السيد كان يحتضر في الوقت الذي صدرت فيه الصحيفة بل يعني أنه مات بالفعل.

٢ ــ تَخَيَّل مثلاً أنك مسؤول في إحدى الدوائر الحكومية، ثم استدعيت أحد الموظفين وقلت له عند دخول الحجرة: يقول زميلك إنك تريد أن تتكلم معي.

هذا لا يعني أنك أعربت عن رغبتك في الحديث مع هذا الموظف في الوقت الذي تكلمت معه فيه، بل يعني أن الإعراب عن الرغبة في الحديث صدر قبل ذلك.

معنى هذا أن صيغة المضارع استعملت في المثالين السابقين للدلالة على

الزمن الماضي، وبالمثل المضارع في أمثلة أخرى يدل على المضارع نحو: أخي يكتب الدرس في الحجرة، وأمي تعد الطعام في المطبخ.

والنتيجة الدقيقة التي يمكن استنباطها هي أن المضارع يدل على الماضي في بعض السياقات، ويدل على المضارع في سياقات أخرى.

هذه النتيجة تنقلنا إلى سؤال آخر، هو هل هناك عناصر لغوية أخرى تدل على الوقت غير الأفعال، قبل أن نجيب عن هذا السؤال، علينا أن ننظر في السؤال الآتي:

صليت الجمعة أمس مع أصدقائي في الكعبة المشرفة، وسأذهب غداً إلى عملي في الرياض.

تفيد هذه الجملة أن تأدية صلاة الجمعة حدثت في وقت مضى قبل صدور الجملة وأن الذهاب إلى العمل سيتم بعد صدور الجملة،

إذا نستطيع التوصل إلى نتيجة دقيقة تفيد أن ظرف الزمان يحدد الوقت بشكل أكثر دقة في الجملة.

□ **التنظيم**:

يعني هذا المبدأ أن أول عمل يقوم به اللغوي هو جمع المادة اللغوية التي يريد دراستها، ثم يقوم بعد ذلك بتحليلها في ضوء المستويات الآتية:

١ ــ **المستوى الصوتي**، ويشمل الفوناتيك والفنولوجيا:

(أ) **الفوناتيك**: يهتم الباحث في الفوناتيك بدراسة الحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز الممتد من الصدر حتى الرأس، والنغمات الصوتية الناتجة عن هذه الحركات وتتبع انتقالها في الهواء حتى اصطدامها بطبلة الأذن، وتقسيم الأصوات الناتجة إلى صوامت وحركات، وتقسيم كل منها إلى بسيط ومركب، وتقسيم الصوامت إلى مجهور ومهموس، وإلى انفجاري واحتكاكي، وإلى مرقق ومفخم، وتقسيم الحركات إلى أمامية وخلفية ومتوسطة، وتقسيمها إلى مرتفعة ومنخفضة.

(ب) **الفنولوجيا**: يهتم الباحث في الفنولوجيا بتتبع النواحي الآتية:

١ ــ طريقة نطق المتكلمين للصوت الواحد، فلا شك أن كلاً منا يتكلم بطريقته الخاصة، حسب تكوينه الفسيولوجي وعاداته اللغوية، ولهذا نستطيع تمييز أصوات الآخرين عندما يتكلمون في الهاتف مثلاً، وهكذا فإن الأصوات المستخدمة في لغة ما لا تنطق بشكل واحد، بل ينطقها أفراد المجتمع بطرق مختلفة.

٢ ــ طريقة نطق الصوت الواحد في السياقات اللغوية المختلفة.

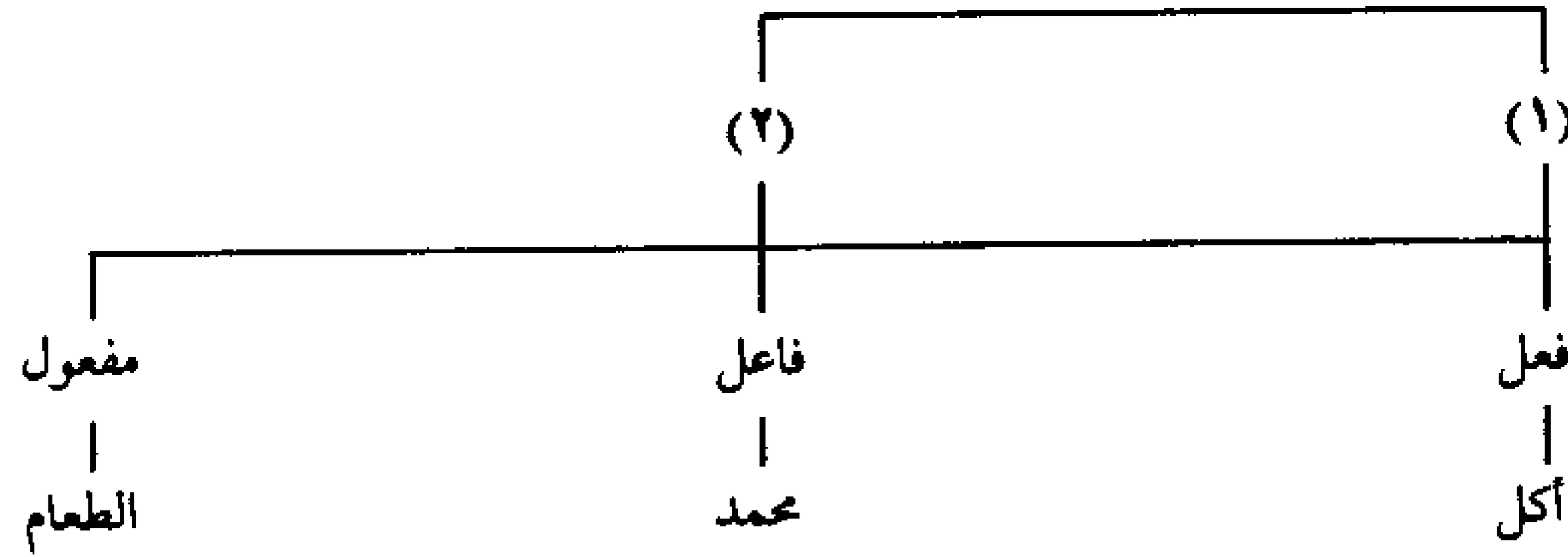
مما لا شك فيه أن كلاً منا لا ينطق الصوت الواحد بنفس الشكل في السياقات اللغوية المختلفة، ذلك أن السياق هو الذي يحدد شكل النطق، فمثلاً صوت الألف الممدودة يتأثر بالأصوات السابقة عليه أو التالية له فإن كانت مرققة ينطق مرققاً نحو: سال وباد، أما إن كانت مفخمة نطق مفخماً نحو: صال وباض.

والسياق أيضاً هو الذي يحدد ظهور صوت معين في كلمة ما واختفاءه، في كلمة أخرى نحو: مِنْ ومِـمَّ، والشمس في مقابل القمر.

٣ ــ رفع الصوت أو خفضه، وهذا يدل على نفسية المتكلم، فإنه قد يبرز صوتاً معيناً لرغبته في شيء معين، وهذا هو ما يسمى بالنبر والتنغيم.

٢ ــ **المستوى الصرفي**، وفيه يهتم اللغوي ببحث البناء الداخلي للمفردات، ومعرفة البنية الأساسية وحصر اللواحق واللواحق التي تلحق به، وتتبع التغيير الذي يطرأ عليها لأداء معان مختلفة. فمثلاً: كتب وأكتب وكاتَب، فكتب تدل على مجرد الكتابة، أما أكتب فتدل على أن شخصاً يملي آخر شيئاً يكتبه، أما كاتَب فتدل على أن شخصاً يراسل شخصاً آخر.

٣ ــ **المستوى النحوي**، وفيه يدرس اللغوي طريقة ترتيب الكلمات في الجملة، ووسائل تماسكها، وهي الصيغة الصرفية والموقع والتطابق في الإفراد والتثنية والجمع، وفي الجنس وفي التعيين والعلامة الإعرابية، فمثلاً جملة: أكل محمد الطعام، يدرسها اللغوي وفق النظام الآتي:



١ ــ **من حيث العناصر الصرفية**، العنصر الصرفي الأول: هو الفعل أكل وهو المسند.

العنصر الصرفي الثاني: هو الإسم (محمد) وهو المسند إليه. أو الفاعل، أما كلمة الطعام، فإنها لا تعد عنصراً ثالثاً، إنما هي مرتبطة بالفعل لتخصيص ما يدل عليه من حدث وهو الأكل.

٢ ــ **من حيث الموقع**: المسند في البداية ثم يتلوه المسند إليه.

٣ ــ **من حيث التطابق**:

في الإفراد: المسند إليه مفرد وكذلك المسند.

في الجنس: المسند إليه مذكر.

في التعيين: لا يشترط أن يكون المسند إليه معرفة أو نكرة.

٤ ــ **من حيث العلامة الإعرابية**:

المسند إليه مرفوع لأنه اسم مفرد ومتصرف.

أما المسند فهو مبني على الفتح لأنه فعل ماضٍ غير مسند إلى شيء.

أما المفعول به فليس مرتبطاً بجملة الإسناد لهذا لا يشترط فيه دراسة الموقع أو التطابق، أما العلامة الإعرابية فتميزه بالنصب ذلك أن علامة النصب هي الوسيلة اللغوية لتمييزه عن الفاعل.

* * *

□ الموضوعية:

يعتمد علم اللغة على المنهج التجريبي، ويقتضي هذا المنهج فحص الظاهرة المعينة المراد دراستها، وتستمد النتائج من الملاحظات التي يلاحظها الباحث وبالطبع لن يتم هذا إلا إذا استقرأ الباحث أولاً المادة اللغوية وقسمها ونظمها والباحث في علم اللغة[1] يتجنب الافتراض تماماً، ويستعين أثناء دراسته بالأساليب الإحصائية والرياضية، وبالمبدأ الذي قررناه سابقاً وهو التقابل بين أقل وحدتين لغويتين[2].

ويستخدم اللغويون مبدأ التقابل عندما يدرسون لغة لا يعرفونها.

٤ ـ علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن:

□ علم اللغة الوصفي:

وهو العلم الذي يهتم بوصف وتحليل اللغة كما يستعملها متكلموها في عصر معين. . . وقد يكون هذا العصر هو العصر الحالي، وهذا يصدق على اللغات غير المكتوبة أو اللغات التي كتبت حديثاً وهي اللغات التي لا نعرف شيئاً عن ماضيها. وقد يكون هذا العصر هو العصر الماضي ويشترط لذلك أن تتوفر لدى الباحث مصادر مكتوبة تمثل اللغة في عصر معين من عصور الماضي وذلك كما هو الحال في دراسة العربية الفصحى، لتوفر نصوص الشعر الجاهلي ونص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. والشيء الهام في دراسة اللغة دراسة وصفية في عصر ماضٍ أو حالٍ هو التركيز على اللغة تركيزاً شاملاً في عصر معين وعدم التزحزح إلى عصر سابق عليه أو تال له.

ويعد علم اللغة الوصفي أهم أنواع علم اللغة على الإطلاق فهو يمثل

---

(١) يسمى الباحث في علم اللغة لغوياً واللغوي هو الشخص الذي ميدانه علم اللغة، واللغوي قد يتكلم أولاً يتكلم أكثر من لغة واحدة، وإنما سمي لغوياً لأنه حصل على معلومات تؤهله لدراسة اللغة، أما الشخص الذي يجيد التحدث بأكثر من لغة يسمى متعدد اللغات (Polygolp) مثل الترجمان في دار الآثار المصرية، ومتكلم اللغات هذا قد يكون لغوياً وقد لا يكون. د. كمال بدري: مدخل إلى علم اللغة العام. ص ٣.

(٢) David Crystals, Linguistics, p. 65-75.

الناحية الجوهرية في الدراسة اللغوية، ذلك أنه يوضح الخطوط العريضة لأنواع الدراسات اللغوية الأخرى... ونقصد بها علم اللغة التاريخي وعلم اللغة المقارن[1].

□ علم اللغة التاريخي:

يقصد بعلم اللغة التاريخي دراسة تطور اللغة عبر الزمن الذي تسلكه اللغات في التغير من فترة إلى أخرى وأسباب التغير ونتائجه سواء أكان هذا التغير يرجع إلى سبب لغوي أو إلى سبب غير لغوي. ويجب أن يقوم مثل هذا النوع من الدراسة على أساس وصف اللغة في مرحلتين تاريخيتين أو أكثر من المراحل التي تمر بها اللغة.

وسنوضح بعد قليل أن (دي سوسير) أشار إلى هذين النوعين من الدراسة ورمز للأول بإسم (Syncronic) وللثاني بإسم (Diacronic).

□ علم اللغة المقارن:

ينظر إلى علم اللغة التاريخي من بعض النواحي على أنه دراسة مقارنة. وفي علم اللغة المقارن يهتم الباحث بمقارنة لغتين أو أكثر من ناحية أو أكثر. ويعتمد علم اللغة المقارن على المقارنة لإيضاح العلاقات التاريخية بين لغات معينة وحصر أوجه التشابه بين اللغات المختلفة دون أي اعتبار للعامل التاريخي.

ولقد لعب علم اللغة المقارن دوراً بارزاً في الدراسات اللغوية خلال القرن التاسع عشر. كما أوضحنا من قبل ـ لأسباب تاريخية أكثر من الأسباب اللغوية أو طرق البحث العلمي في المجال اللغوي ولذلك كانت توصف هذه الدراسات بفقه اللغة المقارن، وقد حل محل هذه الأسباب التاريخية الآن علم اللغة العام... بمعنى أن علم اللغة المقارن أصبح يعتمد على مبادىء علم اللغة العام في دراسة أوجه التشابه بين اللغات المختلفة[2].

(١) R.H. Robins, General Linguistics, An Introductory Survey. London, 1976, p. 4-5.

(٢) Robins, General Linguistics, p. 4-6.

الفصل الثالث

اللغة ووظيفتها

١ ـ تعريف اللغة:

□ **عند ابن جنى**: يقول ابن جنى (ت ٣٩١): حد اللغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

يؤكد ابن جنى في هذا التعريف بأن اللغة ظاهرة صوتية، وأن لها وظيفة اجتماعية، هي أنها تربط بين أفراد المجتمع، وأن لكل مجتمع لغته الخاصة.

عند (دي سوسير) يرى (دي سوسير) أن اللغة نظام ذهني يتم بموجبه ربط العناصر اللغوية، سواء على المستوى الفونولوجي أو الصرفي أو النحوي. ويرى أن هذا النظام هو الذي يحدد القيمة الوظيفية للكلمات، وإن كان النظام ليس وحده الذي يقوم بذلك، وإنما يضاف إليه التخالف أيضاً، بدليل أننا إذا سمعنا لغة أجنبية، لم نعرفها من قبل، سنجد أنه سيكون من الصعب علينا تمييز الكلمات في داخل الجملة أو تمييز الجملة في داخل الفقرة، وسنرى أن الذي سمعناه ليس سوى أصوات غير مختلفة ولا معنى لها. ولذلك فأول عمل في تعلم لغة أجنبية هو أن نسيطر على نظامها الصوتي[١].

والذي يوضح لنا أن اللغة نظام يؤدي إلى ربط العناصر المختلفة، على المستويين الفونولوجي والنحوي، هو دراسة هذين المستويين، فعلى المستوى

---

(١) J.P.B. Allen, Some Basic Concepts in Linguistics P. 29-30.

الفونولوجي سنستعرض نموذجاً للأصوات الانفجارية في العربية، فالأصوات في الجدول الآتي تتميز حسب مخارجها وصفاتها (مجهورة أو مهموسة).

	لثوي	أقصى حنكى
مهموس	ت	ك
مجهور	د	ج

كل صوت من هذه الأصوات الأربعة يخالف الآخر، وهذا التخالف يساعدنا على تمييز الكلمات الآتية: تَبَّ ــ دَبَّ ــ كَبَّ ــ جَبَّ. . .، فالتاء تخالف الدال في الصفة، لذلك يمثل كل منهما صوتاً مستقلاً. وكذلك الحال بالنسبة للكاف والجيم، وترتيب كل صوت مع الصوت التالي لتكوين دَبَّ بمعنى الدَّب هو الذي أكسب هذا الفعل معناه، فالتخالف بين الأصوات هو الذي أوضح لنا معالم كل صوت وترتيب كل صوت مع صوت الباء هو الذي أدى إلى أن يكون لكل فعل معنى مستقل.

وعلى المستوى النحوي سنستعرض الوحدات الفعلية الدالة على الزمن في اللغة العربية، ويمكن تقسيم هذه الوحدات إلى نظام يتكون من ستة أقسام متخالفة، فكل وحدة تشمل الماضي والمضارع من ناحية والاستمرار أو عدمه من ناحية أخرى، وتمام الحدث أو عدمه من ناحية ثالثة؛ والجدول الآتي يوضح ذلك.

		ماض	مضارع
- مستمر	- تام	قرأ ــ كتب	يقرأ ــ يَكْتُبُ
	+ تام	قد قرأ ــ قد كتب «للقريب» كان قد قرأ ــ كان قد كتب «للبعيد»	× ×
+ مستمر	- تام	ما زال يقرأ ــ ما زال يكتب ظل يقرأ ــ ظل يكتب	× ×
	+ تام	كان يقرأ ــ كان يكتب	ظل يقرأ ــ ظل يكتب

٢ ــ اللغة والكلام:

ميز (دي سوسير) بين اللغة والكلام، فاللغة ــ كما شرحنا من قبل ــ هي النظام المجرد الذي بمقتضاه ترتبط العناصر اللغوية، وهذا النظام مشترك بين أعضاء الجماعة التي تتكلم لغة واحدة، وهذا النظام هو الذي يحدد ملامح كلام أعضاء هذه الجماعة، ويمكن أن ينظر إلى هذا النظام ببساطة على أنه يمثل القواعد العامة للغة، أما الكلام فهو الشكل الذي بمقتضاه تتحقق اللغة وميز اللغوي الأميركي (ناحوم تشومسكي) هو الآخر بين مظهرين للغة، هما الكفاءة (Competence)، والأداء (Performance). . . والكفاءة عنده تمثل المعرفة المثالية لمستخدم اللغة بقواعد لغته، أما الأداء فهو التحقيق الفعلي لمعرفته ووسيلة هذا التحقيق هي النطق ويشمل الأداء مجموعة من العوامل النفسية والطبيعية والاجتماعية.

مما سبق نلاحظ أن مصطلحي (دي سوسير) يختلفان مع مصطلحي (تشومسكي) تارة ويلتقيان معهما تارة أخرى، فمن حيث الاختلاف يرى (دي سوسير) أن اللغة نتاج اجتماعي أما (تشومسكي) فيرى أن اللغة «ورمز لها بمصلح الكفاءة» تمثل خاصية من خواص عقل الفرد وتتطور حسب نموه، ومن حيث الاتفاق نجد أن الدراسة اللغوية عندهما تهدف إلى اكتشاف القواعد أو النظام الذي يقوم على أساسه الكلام الذي نسمعه[1].

٣ ــ اللغة والكتابة:

أوضحنا أن اللغة نظام ذهني يتم بموجبه ربط العناصر اللغوية، وأن الكلام هو نقل هذا النظام إلى خارج الذهن باستخدام الأصوات، والكتابة محاولة لنقل الكلام المسموع إلى ظاهرة كتابية مرئية، فالكلام يسمع بالأذن، والكتابة ترى بالعين، فالكتابة محاولة لترجمة الكلام إلى ظاهرة كتابية مرئية، وهي أيضاً محاولة لنقل الكلام من بعده الزمني إلى البعد المكاني فالظواهر الصوتية تتابع في الزمن والحروف تتابع في المكان ــ من هذا نستنتج أن اللغة

---

(١) د. كمال بدري: مدخل إلى علم اللغة العام. (الرياض سنة ١٩٨٢): ١٠ ــ ١١.

العربية شيء والخط العربي شيء آخر، فهذا الخط ذو إمكانات معينة، فهو يدون الأصوات الصامتة مثل الباء والسين والصاد. . . الخ والحركات الطويلة وهي الضمة الطويلة والفتحة الطويلة والكسرة الطويلة[1].

□ وظيفة اللغة:

للغة وظائف هامة في المجتمع، ومن أهم هذه الوظائف وظيفتان هما:

١ ــ أنها وسيلة للإتصال بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة، ولإيضاح معنى هذا الإصطلاح وكيف يتم نورد المثال الآتي:

فإذا افترضنا أن لدينا متكلمًا نرمز له بالحرف (أ) وسامعاً نرمز إليه بالحرف (ب) وأن (أ) يريد أن يقول لـ (ب) شيئاً ما، وأن (ب) سيفهمه، هنا حدثت عملية اتصالية عن طريق اللغة، وتتكون من الخطوات الآتية:

١ ــ **إختيار الدلالات**: بالطبع سيكون عند (أ) معنى ما ويرغب في نقله إلى (ب) وأول خطوة سيقوم بها هي تحديد الدلالات التي تعبر عن المعاني التي يريد التعبير عنها، وهذا يشبه عملية تحرير الرسالة، فالكاتب يحدد أولاً الدلالات التي يرغب في التعبير عنها.

٢ ــ **إختيار الأنماط النحوية**: بعد أن يحدد المتكلم الوحدات الدلالية الملائمة لرسالته يقوم بتنظيمها بالطريقة التي يتطلبها النظام النحوي في لغته، فمثلاً إذا كان لدى المتحدث الدلالات الآتية:

محمد، قابل، علي، ويريد أن يقول إن محمداً قابل علياً، سيضطر أن يجعل محمداً فاعلاً، وعلياً مفعولاً به، ويقول قابل محمد علياً، أما إذا أراد أن يقول إن علياً هو الذي قابل محمداً، عندئذ سنغير في النظام، بحيث نجعل الذي قابل هو الفاعل والذي قوبل هو المفعول به، ونقول: قابل علي محمداً.

---

(١) نفس المرجع السابق.

من هنا نجد أن العربية تستخدم ثلاثة طرق لتنظيم الدلالات في قالب نحوي، هي:

١ ــ **الموقع أو الرتبة**: فلا شك أن رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول به، والمنعوت قبل النعت.

٢ ــ **العلامة الإعرابية**: فالإعراب يدل على المعاني المقصودة.

٣ ــ **التطابق**: ويشمل التطابق في العدد وفي الجنس وفي التعريف أو التنكير.

والوحدات الأساسية المستخدمة في تحويل الدلالات إلى علامات نحوية تسمى الوحدات الصرفية (Morphemes) والوحدة الصرفية قد تكون كلمة، وهذه بدورها تنقسم إلى فعل واسم وضمير وصفة وظرف وأداة وحرف، ولكل وحدة منها وظيفة نحوية خاصة، وقد تكون جزءاً من كلمة: مثل الواو والنون أو الياء والنون الدالة على جمع المذكر السالم، أو الألف والتاء الدالة على جمع المؤنث السالم.

وتقسم الوحدات الصرفية التي تعبر عن الوحدات النحوية إلى ثلاثة أقسام، هي:

١ ــ **الوحدة الصرفية المفردة**، مثل: محمد، الكتاب، جديد.

٢ ــ **الوحدة التي تتكون من وحدتين**، مثل: كتاب الولد، وفي الدار.

والاهتمام الحديث في النحو يركز على حقيقة أن المتكلم يستطيع أن ينتج عدداً لا نهاية له من الجمل، وأن المتحدث يستطيع أن يفهم هذه الجمل بلا أدنى صعوبة حتى ولو لم يسمعها من قبل، ويرجع السبب في ذلك إلى مرونة النحو، فالنحو يسمح بتحويل الجملة الواحدة إلى عدد كثير من الجمل، فمثلاً جملة: قابل المسلم أخاه، يمكن أن تتحول إلى مفردة مؤنثة وإلى مثنى مذكر ومثنى مؤنث وجمع مذكر وجمع مؤنث وكل جملة من هذه الجمل قد تحول إلى مبنية للمجهول ثم إنها قد تحول إلى أسلوب إنشائي، وهذا يشمل أنواعاً منها الاستفهام، والطلب، والنهي.

أضف إلى ذلك أنها قد تتحول من جملة بسيطة إلى جملة مترابطة بأداة ربط خاصة.

٣ ـ **تحويل الوحدات الصرفية إلى رموز ذهنية «فونيمات»**: بعد ذلك يتم تحويل الوحدات الصرفية «المورفيمات» إلى عدة رموز ذهنية، أو فونيمات حسب ما تحتويه الوحدة الصرفية من رموز.

٤ ـ **تحويل كل فونيم إلى صوت**، وهذا هو الدور الذي تقوم به الأعصاب.

٥ ـ **نطق الصوت**: تقوم الأعصاب بالتأثير على الجهاز النطقي عند الإنسان لتحويل الفونيم الذي سبق وأنتجته الأعصاب إلى صوت، فمثلاً إذا أراد المتحدث أن يستخدم في كلامه كلمة «رجل» فستحول الأعصاب أولاً فونيمات هذه الكلمة إلى الرموز الذهنية التي تكونها، وهي ر + فتحة + ج + ضمة + ل» ثم تقوم أعضاء النطق بتحويل الفونيم الأول إلى صوت مسموع والثاني وهكذا.

٦ ـ عندما ينطق الفم هذه الأصوات بطريقة متابعة وسريعة، تنتقل إلى محيط الهواء وهنا تحدث عملية خلخلة للهواء تنتقل جزئيات الهواء التي تحمل كل صوت من هذه الأصوات إلى أذن السامع، التي تنقلها بدورها إلى جهازه العصبي فتحولها إلى فونيمات أولاً، ثم إلى وحدات صوتية ثانياً، ثم إلى علاقات نحوية ثالثاً ثم إلى دلالات رابعاً فيفهم السامع مراد المتكلم.

* * *

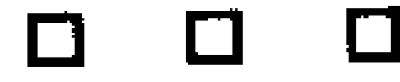
٢ ـ تعد اللغة وسيلة للتعبير عن الحضارة التي تعيش بين ظلاليها، ذلك أن اللغة هي التي تعبر وتفي بأغراض هذه الحضارة فاللغة العربية بعد ظهور الإسلام ـ بدأت تعبر عن الحضارة الإسلامية، فأوجدت مصطلحات جديدة تعني بأغراض هذه الحضارة مثل: الزكاة والصوم والشهادة والصلاة والركعة والتشهد.

وهذا لا يعني أن لغة ما أفضل من لغة أخرى لأنها تعبر عن حضارة

أخرى معينة، أو أفضل من حضارة أخرى، ويؤكد اللغويون أن كل لغة، تفي بحاجات الحضارة التي تخصها ولكنها قد تكون أداة غير وافية إذا ما استخدمت للتعبير عن حاجات حضارة أخرى.

والتعبير المفضل عند المتكلمين بلغة معينة هو في الواقع تعبير مفضل في إطار الحضارة التي تستخدم تلك اللغة، ولكنه قد يكون تعبيراً غير مقبول أو غير مفضل إذا ـ استخدم في نطاق حضارة أخرى.

إذا زعمنا أن اللغة الفرنسية هي أكثر اللغات تمشياً مع المنطق فإن ذلك يستتبع أن نزعم أيضاً أن الحضارة الفرنسية أكثر تمشياً مع المنطق، والواقع أن اللغة الفرنسية ليست أكثر اللغات منطقية ولا حضارتها كذلك، إذن ليست هناك لغة يمكن أن يقال عنها إنها أكثر اللغات تمشياً مع المنطق، أو أنها أكثر منطقية من أية لغة أخرى، والسبب في ذلك أن كل لغة تبدو منطقية بالنسبة للمتكلمين بها وذلك لأنها خير وسيلة تعبر عن الحضارة.



الباب الثاني

تاريخ الدراسات اللغوية

- الفصل الأول: الدراسات اللغوية في الحضارات القديمة.
- الفصل الثاني: الدراسات اللغوية عند العرب.
- الفصل الثالث: الدراسات اللغوية في الغرب.

الفصل الأول:

الدراسات اللغوية في الحضارات القديمة

تركزت الدراسات اللغوية في العصور القديمة حول محورين أساسيين هما أصل اللغة، والعلاقة بين اللفظ ومعناه.

١ ـ أصل اللغة:

لم يميز القدماء بين اللغة باعتبارها ظاهرة كلامية وبين الكتابة باعتبارها نظاماً لتسجيل الكلام وإنما خلطوا بينهما، وهناك رأيان للقدماء في ذلك.

□ الرأي الأول:

يرى أن اللغة توفيق من عند الله سبحانه وتعالى، قال بهذا الرأي المصريون القدماء، فقد اعتقدوا أن الإله (زوس) هو أصل الكلام والكتابة؛ أما البابليون فقد اعتقدوا أن الإله (نابو) هو أصل اللغة؛ وأما الصينيون القدماء فقد اعتقدوا أن السماء «أرسلت ماء وسبحت فيها التماسيح» وفي ظهرها علامات الكتابة؛ وأما الهنود القدماء فقد اعتقدوا أن الإله (براهما) منحهم القدرة على الكلام والكتابة[٢]؛ أما الفلاسفة اليونان من أصحاب المدرسة الطبيعية، فيرى الفيلسوف (كراتيل ـ Cratyle) أن اللغة شيء وليد الطبيعة، ويرى أصحاب نظرية «السماع» في اللغة أنها وليدة الطبيعة أيضاً[١]، استدلوا

(١) David Crystals: Linguistics. p. 12.

(٢) سيطرت على الفكر اليوناني القديم مدرستان فلسفيتان، هما مدرسة الطبيعيين ومدرسة الاتفاقيين، وتحول النزاع بينهما ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد إلى اتجاه آخر يتعلق باستقامة =

على ذلك بكثرة الشواذ في اللغة، فلو كانت اللغة نتيجة اتفاق بين أعضاء المجتمع الذي يتكلمها لاتفقوا على إصلاح أخطائهم وأصبحت اللغة مطردة كما يقول أصحاب القياس.

□ الرأي الثاني:

يرى أن اللغة نتيجة اصطلاح الجماعة اللغوية التي تتكلمها، ويرجع هذا الرأي إلى الفلاسفة اليونانيين الذين يسمون الاتفاقيين، ويعني هذا أن اللغة نتيجة من نتائج التقاليد والأعراف والعادات البشرية للجماعة التي تتكلمها[1]. وأجرى الإنسان في الحضارات القديمة عدة تجارب لمعرفة أقدم لغة إنسانية، ومن هذه التجارب:

(أ) وضع فرعون مصر، أبسماتيك (عاش في القرن السابع ق. م) طفلين حديثي الولادة في مكان منعزل، وأمر الكهنة بتقديم الرعاية لهما دون أن يتكلما أمامهما، واعتقد أنه حينما يحين الوقت كي يتكلما، دون أن يتلقيا أي إشارة لغوية، فإنهما سيتكلمان أقدم لغة إنسانية.

بعد عامين بدأ الطفلان يرددان كلمة اسمها (Bekos) فاستفسر فرعون عنها، فوجد أنها تعني الخبز في لغة مجاورة هي الفريجية. من هنا استنتج أن هذه اللغة أقدم لغة إنسانية.

= أو سلامة اللغة وعدم سلامتها، ومن هنا نشأت مدرستان، الأولى مدرسة القياس، والثانية مدرسة السماع، ويرى أصحاب القياس أن اللغة منتظمة ومطردة، فإذا وجد شيء يخالف الاطراد فمرده أخطاء المتكلمين. ويرى أصحاب السماع أن اللغة ليست مطردة بالشكل الذي يراها به خصومهم وإذا قيس الاطراد والشذوذ سنجد أن الاطراد يشكل نسبة ضئيلة من الشذوذ. أما أصحاب القياس فيرون أن اللغة مطردة وليس الشواذ فيها إلا أخطاء ارتكبها المتكلمون باللغة المعينة.

د. محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات. الدار البيضاء، ١٩٨٠، ص ٥٤.

ومن الذين أيدوا أصحاب السماع الرواقيون، أما الذين أيدوا أصحاب القياس فكانوا علماء الاسكندرية.

(١) البنيوية في اللسانيات، ص ٤٩.

(ب) أجرى الملك جيمس الرابع ملك اسكتلندا في سنة ١٤٨٣م تجربة مشابهة، ويقال إن الطفلين تكلما في النهاية اللغة العبرية.

(ج) اكتشف في عام ١٧٩٧م ولد شقي في الغابات بالقرب من أفريون بفرنسا، وتأكد مكتشفو الولد أنه لم يتصل في طفولته بأي جماعة إنسانية، وقد ظنوا أنه سيتكلم العبرية، ولكنهم فوجئوا أن الولد لم يتكلم أي لغة إنسانية، وإنما كان يصيح بضجيج يشبه ضجيج الحيوانات.

ومن هنا يمكن القول إن هذه التجارب لن تعين الباحثين على معرفة أقدم اللغات الإنسانية، ووصف أول مؤتمر لغوي عقد في باريس في بداية هذا القرن مسألة البحث عن أقدم اللغات الإنسانية بأنها ليست ذات طبيعة علمية، يقول (إدوارد سابير) في هذا: لا توجد لغة يمكن تسميتها باللغة البدائية وأن الجماعات البدائية لا تتكلم إلا لغة كاملة التطور.

٢ ـ العلاقة بين اللفظ ومعناه:

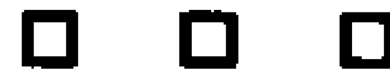
ساد الاعتقاد في العصور القديمة بأن هناك علاقة وطيدة بين اللفظ ومعناه، لهذا كان اللفظ يقدس في هذه الحضارات، فعند اليهود مثلاً لا يستطيع الشخص العادي نطق كلمة الله وهي يهوا، إنما الذي ينطقها هو «الحاخام» الأكبر ولا ينطقها إلا مرة واحدة في العام.

وساد الاعتقاد أن للكلمات قوة هائلة وتأثيراً كبيراً، ولا يزال هذا الاعتقاد سائداً حتى الآن، فمن منا مثلاً يستطيع التفوه أمام مريض بكلمة سرطان، وفي بعض الحضارات القديمة كان يعتقد أنه إذا مات طفل، فإن أمه عندما تنجب طفلاً ثانياً تسميه بلفظ مشؤوم منه لتوضح لروح الميت أن الطفل الجديد قد تحصّن من الأشرار.

وتبنّى الفلاسفة الطبيعيون هذا الرأي، وقالوا إن كل الكلمات كانت توافق بطريقة طبيعية مدلولاتها. ويرى هؤلاء الفلاسفة أن هذا الموقف لا يمكن أن تثبته العامة بسهولة، ولكن الفلاسفة يستطيعون البرهنة عليه لأنهم هم الذين يستطيعون الوصول إلى الحقيقة عن طريق البرهنة العقلية، ومن ضمن هذه

الحقائق وصولهم إلى إثبات هذا الرأي، وهكذا نشأ البحث في الاشتقاق[1]، وهو مصطلح يعني عندهم الوصول إلى الحقيقة ومعرفة الواقع.

ومن الدلائل التي استدلوا عليها لصحة رأيهم العلاقة الطبيعية بين «قَضَمَ وخضم» و «خَرَّ وخَرير» وبين ما تدل عليه من معان. وهناك كلمات تُقَلِّدُ مدلولاتها مثل (Cou, cou) وفي الحالتين فإن هناك علاقة طبيعية بين اللفظ وبين ما يدل عليه من معنى. والمصطلح الذي يجمع بين هذين النوعين هو (ono ma to paeia). ويذهب هؤلاء الفلاسفة إلى القول بأن العلاقة في بداية خلق اللغة كانت علاقة تسمية (nomination)، حيث وضع لكل شيء في البداية لفظ كان عبارة عن تقليد بالصوت لما هو موجود مادة، وانفرد بالتالي كل شيء من الأشياء بدالٍّ، لا فرق جوهري بينه وبين مدلوله إلا عند الحواس، فالعين ترى الشيء والأذن تسمع الصوت، وبذلك تكون الصورة السمعية مطابقة تمام المطابقة للصورة البصرية[2].



(١) هذا هو المعنى الأساسي لمصطلح الاشتقاق في اليونانية القديمة، ثم نقل بعد ذلك إلى مجال الدراسات اللغوية وأصبح فيها يعني البحث عن أصل اللفظ.

(٢) البنيوية في اللسانيات، ص ٤٩ ــ ٥٥.

الفصل الثاني:

الدراسات اللغوية عند العرب

نشأت الدراسات اللغوية عند العرب في منتصف القرن الأول الهجري لخدمة القرآن ولمقاومة اللحن الذي شاع على الألسنة نتيجة لتعرب الشعوب المغلوبة، ولضعف السليقة اللغوية عند العرب لنزولهم في الأمصار الإسلامية وبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة، حتى عند بلغائهم[1]، قال ابن سلام: أخبرني يونس بن حبيب، قال الحجاج لابن يعمر أتسمعني ألحن، قال يعمر: حرفاً، قال الحجاج: أين؟ قال يعمر: في القرآن، قال الحجاج؛ فما هو؟ قال يعمر: تقول: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخواتكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله﴾[2].

قرأها بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلام نسي ما تبدأ به، والوجه أن يقرأ أحب إليكم «بالنصب على خبر كان».

قال الحجاج: لا جرم، لا تسمع لي لحناً أبداً، ونفاه إلى خراسان[3]، وشملت هذه الدراسات أبحاثاً في مختلف المستويات اللغوية، مثل الأصوات، والنحو والدلالة والمعجم.

---

(١) د. شوقي ضيف: المدارس النحوية. القاهرة ١١/٦٨.

(٢) سورة التوبة: آية ٢٤.

(٣) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمد محمود شاكر، القاهرة سنة ٧٤؛ المدارس النحوية، ص ١٦.

١ ـ الأصوات:

تنسب كتب الطبقات إلى أبي الأسود الدؤلي أنه وصف مخارج الحركات، ووضع لكل حركة رمزاً خاصاً، وقد اتخذ لذلك كاتباً من بني عبد قيس وقال له: «إذا رأيتني قد فتحت شفتي بالحرف فانْقُطْ نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة (تنويناً) فاجعل مكان النقطة نقطتين».

وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره، بينما كان الكاتب يضع النقط بصبغ يخالف لون المداد الذي كتبت به الآيات، ثم اخترع أهل المدينة بعد ذلك علامة التشديد وهي قوس طرفاه إلى أعلى هكذا ◡، ويوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور وعلى شمال المضموم[1].

وبعد ذلك قام نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩) بتمييز الأصوات المتشابهة في القرآن الكريم، فوضع نقطاً جديداً على حروف المصحف المتشابهة في الرسم، فنقط بعضها من فوق وبعضها من تحت، حتى استكملت الحروف إعجامها، وهو المعروف إلى اليوم، وسمى هذا النقط نقط الإعجام[2].

وتطورت الدراسات الصوتية على أيدي الخليل بن أحمد، فقد بحث الأصوات من جوانب ثلاثة، أولها: ذوق أصوات الحروف عن طريق فتح الفم بألف مهموزة يليها الحرف المذاق ساكناً، فيقال في الباء: أب، وفي التاء: أت، وهلم جرا، وبذلك يتضح صوت الحرف بالوقوف عليه ساكناً، والمكث عنده قليلاً وثاني هذه الجوانب وصف الأجراس الصوتية للحروف من همس وجهر وشدة ورخاوة واستعلاء واستفال ووصف أصوات الحركات وما يداخلها من إمالة ورَوْم وإشمام، وأما الجانب الثالث فهو ما يحدث للصوت في بنية الكلمة من تغيير يقضي إلى القلب أو الحذف أو الإعلال أو الإبدال أو الإدغام.

---

(١) د. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب. عالم الكتب،/٧٨، ص ٦١، ٦٢.

(٢) محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، بيروت ١٩٨٠/٥٥.

وقد دفعه التعمق في هذه الجوانب إلى أن يدخل على النقط أو الإعجام علامات للروم والإشمام والتشديد والهمزة المتصلة والمنقطعة، واخترع علامات الضبط التي لا نزال نستعملها إلى اليوم، إذ أخذ من حروف المد صورها مصغرة للدلالة عليها، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف، والكسرة ياء متصلة تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوقه.

وازدهرت الدراسات الصوتية على أيدي عالمين فاضلين هما:

أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢هـ) فقد أفرد للأصوات كتاباً خاصاً أسماه سر صناعة الإعراب تحدث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، وما يحدث في صوت الكلمة من إعلال وإبدال، وإدغام ونقل وحذف، وما يجري في حروفها من تلاؤم يؤدي إلى جمال الجرس، وابن سينا الفيلسوف المشهور في رسالته أسباب حدوث الحروف.

وقد استفاد العرب من دراستهم الصوتية في قراءة القرآن الكريم وتجويده واهتموا بهذه الناحية لدرجة أن علم التجويد أصبح عندهم علمًا مستقلاً، واستفادوا منها أيضاً في دراسة إعجاز القرآن، ذلك أن دراسة الأصوات ساعدتهم على الاهتمام بدراسة التنافر والتآلف بين أصوات الكلمة الواحدة وأثر قرب مخرجين أو بعدهما في ذلك: يقول علي بن عيسى الرمّاني في كتابه «النكت في إعجاز القرآن» بعد أن قسم الكلام إلى متنافر ومتلائم:

والتلاؤم في الطبقة العليا القرآن كله».

واستفاد العرب من دراسة الأصوات أيضاً في ترتيب المعجم، فقد رتب الخليل معجمه العين على أساس مخارج الحروف، وكذلك فعل ابن دريد في الجمهرة.

٢ ـ النحو والصرف:

لم يتفق العلماء على تحديد أول من وضع أسس النحو والصرف.

يقول السيرافي: اختلف الناس في أول من رسم النحو. فقال قائلون:

أبو الأسود الدؤلي. وقيل: هو نصر بن عاصم، وقيل: بل هو عبد الرحمن بن هرمز. وأكثر الناس على أنه أبو الأسود الدؤلي.

يقول ابن سلام: «كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي»[1] [2] ولكننا لا نملك ما يثبت صحة هذه الروايات، ويرى الدكتور شوقي ضيف أن أبا الأسود هو الذي نقط أواخر الكلمات في المصحف، كما أثبتنا ذلك من قبل، وقال إن هذا العمل هو الذي وصفه السيرافي بأنه رسم العربية، وأنه كان السبب في أن يختلف الأمر فيما بعد على الرواة وظنوا أن أبا الأسود رسم النحو وشيئاً من أبوابه.

وأول عالم نجد عنده طلائع علم النحو هو ابن إسحق الحضرمي (المتوفي ١١٧هـ) يصفه ابن سلام فيقول: كان أول من بَعَج النحو ومد القياس والعلل، وكان أشد تجريداً للقياس، وقد تشدد ابن أبي إسحق تشدداً جعله يطرح الشاذ ولا يُعَوِّل عليه في قليل أو كثير، وكلما اصطدم به خَطَّأهُ أو أَوّلَهُ، وأما من حيث الاستقراء فقد اشترط صحة المادة التي يشتق منها القواعد، ومن أجل ذلك رحل هو وغيره من اللغويين المعاصرين والتاليين له إلى أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة لجمع المادة اللغوية من ينابيعها الصافية التي لم تفسدها الحضارة وهذا يعني أن اللغويين رحلوا إلى قبائل تميم وقيس وأسد وطيء وهذيل وبعض عشائر كنانة، وأضافوا إلى هذا الينبوع الأساسي ينبوعاً بدوياً زحف إلى بلدتهم من بوادي نجد، وهو نَفَرٌ من الأعراب الكاتبين، قدم إلى البصرة واحترف تعليم شبابها الفصحى السليمة وأشعارها وأخبار أهلها، وكان القرآن الكريم وقراءاته مدداً لا ينضب لقواعدهم، وكانوا لا يحتجون بالحديث النبوي ولا يتخذونه إماماً لشواهدهم وأمثلتهم لأنه روى بالمعنى، إذ لم يكتب ولم يدون إلا في المائة الثانية للهجرة[3].

من هذا العرض نستنتج أن ابن أبي إسحق اهتم بالقياس والتعليل،

(١) نقلاً عن المدارس النحوية، ص ١١.
(٢) طبقات فحول الشعراء.
(٣) المدارس النحوية، ص ١٧ ــ ٣٠.

بمعنى أنه لم يكتف بالقاعدة، بل إنه كان يهتم بتعليلها تعليلاً ذهنياً، وجعله تمسكه الشديد بتلك القواعد المعللة والقياس عليها قياساً دقيقاً يخطىء كل من ينحرف في تعبيره عنها، من ذلك أنه تعرض للفرزدق فيما أورده في أشعاره من بعض الشوّاذ النحوية[1]، فقد قال للفرزدق في مديحه يزيد بن عبد الملك:

مستقبلين شمال الشأم ـ تضربنا ... بحاصب كنديف القطن منشورِ
على عمائمنا يُلقى وأرحُلِنا ... على زواحف تُزْجَى مُخُّها رِيرِ

فقال ابن أبي اسحق: أسأت، إنما هي رِيرٌ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع.

وقال في بيت آخر للفرزدق:

وعَضّ زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتاً أو مُجَلَّفُ

فقال للفرزدق، بم رفعت أو مجلف، فقال الفرزدق: بما يسؤك وينوئك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا.

وازدهرت الدراسات النحوية والصرفية على أيدي الخليل بن أحمد، فهو الذي سمى علامات الإعراب في الأسماء بإسم الرفع والنصب والخفض، وسمى حركات المبنيات بإسم الضم والفتح والكسر، أما سكونها فسماه الوقف، وسمى الكسرة غير المنونة في مثل «مررت بعبد الله» باسم الجر، كما سمى السكون الذي يقع في أواخر الأفعال المضارعة المجزومة باسم الجزم، وكان يرى أن الألف والياء والواو في التثنية وجمع المذكر السالم هي نفس حروف الإعراب، وكان يرى أن أسماء الأفعال مبنية ولا محل لها من الإعراب.

وهو الذي قسَّم الكلمات إلى مجردة ومزيدة، ولاحظ أن الكلمات المجردة لا تزيد على خمسة ولا تقل عن ثلاثة، ووضع الميزان الصرفي ووضع قوانين الإعلال والقلب[3].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.
(٢) طبقات فحول الشعراء، ص ٣/١.
(٣) المدارس النحوية، ص ٣٣ ـ ٣٧.

٣ ـ المعجم:

أوضحنا من قبل أن اللغويين رحلوا إلى أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة لجمع المادة اللغوية من ينابيعها الصافية، وقد تم هذا الجمع أولاً بطرق المشافهة والحفظ، ولم ترتب المادة المجموعة ترتيباً منهجياً، يقول الأستاذ أحمد أمين: «كان المدونون الأولون للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفق، وكما يتيسر لهم سماعها، فقد يسمعون كلمة في الفرس، وأخرى في الغيث وثالثة في الرجل القصير، وهكذا فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب».

ويعد أبو عمرو بن العلاء من أهم اللغويين الذين اهتموا بجمع اللغة من ينابيعها الصافية، وقد نسب إليه، ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلها، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير».

وجاءت بعده طبقة من العلماء أَلَّفَتْ رسائل صغيرة إستقوا مادتها من أفواه العرب الخلص ورتبت مادتها حسب الموضوعات، من هؤلاء.

(أ) الأصمعي (ت ٢١٦هـ) وألف أربع رسائل في الأبل والخيل والشاة والوحوش.

(ب) أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٤هـ) وألف أربع رسائل في المطر والهمز والنوادر في اللغة واللبن.

(ج) الفراء (ت ٢٠٣هـ) وألف رسائل في الأيام والليالي والمنقوص والممدود والمذكر والمؤنث.

(د) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وألف كتاب الغريب المصنف[١].

بعد ذلك تطور التأليف في المعجم ورتبت الألفاظ ترتيباً صوتياً أو ترتيباً ألف بائياً[٢].

---

(١) د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص ٢٠٤ ـ ٢٣٢.
(٢) د. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب.

الفصل الثالث:

الدراسات اللغوية في الغرب

١ ــ الدراسات اللغوية عند اليونان:

اقتصرت الدراسات اللغوية في العصور الوسطى على النحو، ويعتبر الكتاب الأوروبيون أن أفلاطون ٤٢٩ ــ ٣٤٧ق. م. مؤسس علم النحو، وأفلاطون بالتالي هو ما أوجد ما يسمى بالأجناس النحوية، فهو الذي قسم الكلمة إلى اسم وفعل ثم أضاف إليه أرسطو القسم الثالث وهو الحرف، وقسم الاسم إلى مذكر ومؤنث، وإلى مفرد ومثنى وجمع، وهو الذي ميز حالات الإعراب الثلاثة الرفع والنصب والجر، ودرس أفلاطون الجملة، ورأى أنها تتكون من جنسين منطقيين هما: المسند، والمسند إليه.

وكان أفلاطون يرى أن القواعد النحوية هي الوسيلة الوحيدة للمحافظة على نقاء اللغة، وأنها جزء من دراسة أوسع هي دراسة الفلسفة، ومن هنا فسر القواعد النحوية تفسيراً فلسفياً، وكان يعتقد أن للدراسة الفلسفية أهمية كبرى لفهم تركيب الجملة وتركيب الكلمة، وأكد أن الفرق بين الأحمق والحكيم يشبه الفرق بين النحوي الذي يجهل قوانين المنطق والنحوي الذي يجيد هذه القوانين، وكان يرى: أن الفيلسوف وحده هو المؤهل لدراسة الأحكام النحوية، وكان يعتقد أنه لا يكفي أن يقوم النحو على مجرد الدراسة الشكلية للغة، ولكنه يقوم على قوانين العلة، لأن تعليل القواعد النحوية أهم في رأيه من القواعد نفسها.

٢ ـ الدراسات اللغوية في مدرسة الإسكندرية:

اهتمت هذه المدرسة بدراسة وتحقيق المخطوطات التي تحتوي على نصوص من شعر (هوميروس)، وهكذا يمكن القول إن هذه المدرسة تعدت الدراسة النحوية إلى دراسة فقه اللغة، فهي لم تكتف بدراسة النحو وقوانينه كما حدده أفلاطون، بل إنها حققت في النصوص القديمة وعلقت عليها وأشارت إلى النقاط الصعبة في هذا الشعر وشرحتها شرحاً نحوياً، ثم قارنت بين لغة هذه النصوص واللغة اليونانية التي كانت سائدة في الإسكندرية آنذاك، واستنتجت أن لغة شعر (هوميروس) أنقى من اللغة المستخدمة في زمانها.

ولفتت أبحاث مدرسة الإسكندرية الأنظار إلى الفرق بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة وإلى التغير أو التطور الذي يطرأ على اللغات على مر العصور[١].

٣ ـ الدراسات اللغوية عند الرومان:

طبَّق الرومان المناهج الإغريقية تطبيقاً كاملاً، وتأثر لغويوهم بالمناهج الإغريقية تأثراً بالغاً ويتضح هذا التأثير من الكتاب الذي ألفه (فارون ـ Varron) حول اللغة اللاتينية. وهكذا ظلت الدراسات الرومانية النحوية مدينة للفلسفة اليونانية، وقد استمرت بين الرومان الخصومة الطويلة التي كانت دائرة بين أصحاب القياس وأصحاب السماع، وكان من نتائج ذلك أن ألف الفيلسوف الروماني (سيزار) كتاباً في النحو اللاتيني طبق فيه نظرية القياس تطبيقاً دقيقاً، ثم ألف (داينز ـ Deyns) كتاباً عن النحو اللاتيني أوضح فيه مفهومه للنحو بأنه فن إجادة التكلم وإجادة فهم الشعراء الكبار وميز الأسلوب إلى جيد ورديء واهتم بدراسة الأسلوب الجيد فقط، واتبع فيه الأسس التي وضعها أفلاطون وأرسطو لدراسة النحو[٢] وفي العصر الذهبي للاتينية والذي يبدأ في عام ٤٠٠م. ظهر كتابان في النحو الأول: (لدونات ـ Donat) وقد ألّفه حوالي (٤٠٠م) والثاني: (لبريسيان ـ Priscien) وفي هذين الكتابين وصف دقيق للغة الطبقة المثقفة.

---

(١) Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, D. 8-10.

(٢) البنيوية في اللسانيات، ص ٦٢ ـ ٦٣.

٤ ـ الدراسات اللغوية في العصور الوسطى:

في هذه المرحلة ازدادت أهمية اللاتينية في أوروبا، فكانت أي ترقية في المجتمع تقدر حسب سيطرة الشخص على اللغة اللاتينية. وكانت اللغة اللاتينية هي لغة المعرفة والثقافة ولغة المجال الدبلوماسي، إلا أن مكانة اللغة اللاتينية ضعفت نتيجة لزحف اللغة اليونانية على أيدي الأريستوقراطية. وهكذا تلاشت اللاتينية من الاستعمال اليومي فأصبحت لغة مكتوبة أكثر منها منطوقة وقد أدى هذا إلى اختلاف نطقها في كل إقليم عن الإقليم الآخر، ولقد أدى هذا إلى وجوب الاهتمام باللغة المكتوبة.

وفي هذه المرحلة ظهرت جماعة المدرسين (Scolistics) ودعت إلى اختصار كل العلوم السائدة، وكان من بين هذه العلوم النحو، فلخصوه إلى مجموعة من القواعد المختصرة، وكانوا يرون أن استنباط الحقيقة يصبح متيسراً إذا عرفت القواعد المختصرة وان اللغة وسيلة صالحة لتحليل أجزاء الحقيقة، ولذلك اهتموا بالدلالة.

أما بخصوص منهجهم في النحو فقد اجتهدوا في اشتقاق المقولات النحوية من مقولات المنطق والميتافيزيقيا، وقرروا أن واجب النحو العلمي أو التأملي هو اكتشاف الأسس التي تجعل الكلمة رمزاً له علاقة بالنفس الإنسانية من جهة وله علاقة بالشيء الذي يدل عليه من جهة أخرى. وهذه الأسس مطردة وكونية، إلا فكيف يمكن أن تكون اللغة مصدر المعرفة. ويرون أن النحو واحد في كل اللغات بالرغم من اختلافها، وبالتالي يقولون إنه عندما نعرف نحو لغة واحدة فإننا نعرف نحو كل اللغات وذلك لأن النحو جوهر اللغات، ونحن إذا كنا لا نتكلم كل اللغات ولا نفهم أهلها فذلك يرجع إلى اختلاف الكلمات واختلاف تشكيلاتها العرضية في النحو[١].

٥ ـ الدراسات اللغوية في عصر النهضة:

شهد عصر النهضة تغييراً في المفاهيم التي كانت سائدة حتى ذلك الوقت، فقد ظهر (سيسرون) ودعا إلى الإنسانية (Hummanism) باعتبارها مرادفاً

---

(١) البنيوية في الألسنة، ص ٦٤ ـ ٦٥.

للحضارة ونقيض الوحشية، وبالتالي ارتفعت الأصوات التي تهاجم جماعة المدرسيين وشاع الاعتقاد أن أدب العصور الوسطى مصدر لكل القيم الحضارية، وقد ساعد اكتشاف الآلة الكاتبة في نهاية القرن الخامس عشر على النشر السريع للنصوص الأدبية وقد ساعد هذا على الاهتمام بنشر كتب النحو لأنها كانت في رأيهم تساعد على فهم النصوص اللاتينية الجيدة.

ولم يعد الاهتمام قاصراً على اللغة اللاتينية، بل تعداه إلى دراسة نحو لغات أخرى كالنحو الإغريقي والنحو العبري، بل وظهرت كتب في النحو عن بعض اللغات الأوروبية فظهر كتاب عن نحواللغة الإيرلندية والبروفنسالية والفرنسية. وظهر في فرنسا اتجاه يدعو إلى النحو العقلاني التأملي ويعزي هذا الاتجاه إلى جماعة (بورت رويال ــ Port Royal) فقد نشروا في عام ١٦٠٠م. النحو العام والعقلاني برهنوا فيه على أن بنية اللغة هي نتاج العقل. وأن اللغات لا تقدم إلا اختلافاً في نظام منطقي وعقلي.

ثم قطعت الدراسة في النحو شوطاً آخر على أيدي الأكاديمية الفرنسية التي أسسها (Rechiliea) عام ١٦٣٧ فيرى أعضاء هذه الأكاديمية أن النحو هو فن التكلم والكتابة السليمة، وموضوعه هو اكتشاف العلاقات بين عناصر اللغة طبيعية كانت أو اتفاقية. ودور النحوي هو وصف الاستعمال الجيد وحمايته من الضياع، كدخول المفردات الأجنبية والمصطلحات التقنية والكلمات العامة التي تظهر يوماً بعد يوم نتيجة للمعاملات الفردية في ميدان التجارة والصناعة والرياضة والدعابة[1].

غير أن أهم محاولة لدراسة النحو في عصر النهضة هي المحلولة التي قام بها (دانتي) ووصف بها اللغة الإيطالية، فقد ابتعد عن الطابع الفلسفي الذي ميز الدراسات اللغوية عامة والنحوية خاصة قبله وبعده.

٦ ــ ظهور المنهج المقارن:

تنسب أول محاولة للابتعاد عن الطابع الفلسفي في دراسة اللغة إلى

---

(١) البنيوية في اللسانيات، ص ٦٧ ــ ٦٩.

المحاولة التي قام بها دانتي، ووصف بها اللغة الإيطالية، فقد أصدر كتاباً عنوانه (لغة الشعب) تحدث فيه عن أصل اللغة الإيطالية والعلاقة بينها وبين البروفنسية.

وشاءت الأقدار أن ينمو هذا الاتجاه فيما بعد في عصر الاكتشافات الجغرافية فقد اكتشفت فيه لغات كثيرة لم تكن تعرف من قبل، ودعت الضرورة إلى دراستها، ومن ثم اضطر اللغويون إلى التفكير في منهج غير منهج أفلاطون لدراسة هذه اللغات وقد وجدت الدعوة إلى تقليد محاولة دانتي لدراسة اللغة الإيطالية آذاناً مصغية. ثم حدث بعد ذلك أن أعلن السير (وليام جونز) الذي كان يعمل قاضياً في المحكمة العليا في البنغال، أعلن عن آرائه بالنسبة إلى العلاقات اللغوية بين السنسكريتية والفارسية القديمة واللاتينية واليونانية والجرمانية والكلتية، وقد كانت دراسة السير (وليام جونز) بمثابة تمهيد لمنهج تبلور فيما بعد، عرف باسم المنهج المقارن، ومن رواده:

١ ــ **شليجل (Schleget)**: أصدر كتاباً سنة ١٨٠٨م عن اللغة والمعرفة عند الهنود دعا فيه إلى النحو المقارن.

٢ ــ **فرانز بوب (Franz Bopp)**: أصدر في عام ١٨١٦م كتابه الهام الذي يحدد ميلاد فقه اللغة المقارن وعنوانه (نظام التصريف في اللغة السنسكريتية)، قارن فيه السنسكريتية باليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية، وفي عام ١٨٢٣م أصدر كتاباً آخر عنوانه (النحو المقارن) قارن فيه بين السنسكرينية والهندية والأرمينية واليونانية واللاتينية واللتوانية والسلافية القديمة والقوطية والألمانية.

٣ ــ **أوجست شليخمر (Augest Schleicher)**: أصدر في عام ١٨٦١م كتاباً عنوانه (تركيب النحو المقارن في اللغات الهندوجرمانية).

٤ ــ **راسك**: أصدر في عام ١٨١٨م كتاباً عن اللغة الايسلندية، حاول فيه التوصل إلى الأصول الأولى للغة الايسلندية القديمة عن طريق المقارنة بعددكبير من اللغات الهندو أوروبية.

٥ ــ **جريم**: أصدر في عام ١٨١٩ الجزء الأول من كتابه النحو الألماني وقسمه إلى حقب تاريخية، وقد لفت هذا الكتاب الأنظار إلى النحو التاريخي.

وفي عام ١٨٢٢م عدل هذا الجزء وأضاف إليه تغير الأصوات في اللغات التي قارن بينها، واستنتج من ذلك قوانين ثابتة لهذا التغير عرفت فيما بعد باسم «قوانين جريم».

٦ ـ في عام ١٨٧٠م ظهرت مجموعة النحويين الجدد (Neo Grammarians) وكانت تضم فيرنر (Karl Ferner) وهيرمان باول (Herman Paul) وبروجمان (Brugmann) واعتبرت هذه المجموعة أن السنسكريتية تمثل أساس البحث اللغوي. وبالتالي فعلى دارس اللغة أن يلجأ في شروحه لأية ظاهرة لغوية أوروبية إلى السنسكريتية، قال (ماكس مولر) في ذلك إن السنسكريتية هي الأساس الوحيد لفقه اللغة المقارن، وسوف تبقى المرشد الوحيد الصحيح لهذا العلم، وعالم فقه اللغة المقارن الذي لا يعرف[1] السنسكريتية شأنه شأن عالم الفلك الذي لا يعرف الرياضيات.

ويحاول المنهج المقارن أن يثبت أن اللغات تتغير وان اللغات المختلفة قد تتشابه في ناحية أو ناحيتين[2]، ويهتم هذا المنهج بوضع الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية للغات مختلفة جنباً إلى جنب ليقارن بينها، ومن المقارنة يمكن استنتاج شيئين:

١ ـ درجة الصلة بين عدة لغات وضعت تحت الفحص.
٢ ـ الشكل الذي يبدو أقرب إلى اللغة الأم التي تعد الأصل المشترك لهذه اللغات.

وعندما يقرر الباحث إنتماء لغات متعددة إلى أصل مشترك فإنه يجب أن يتأكد أولاً من أن تلك اللغات تشترك جميعاً في ثلاثة أشياء هي:

١ ـ التراكيب النحوية الأساسية.
٢ ـ المفردات.
٣ ـ الأصوات والفونيمات[2].

---

(١) د. عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية. ص ١٣ ـ ١٦.
(٢) أسس علم الله، ماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، ص ١٦٤ ـ ١٦٨.

الفصل الرابع

علم اللغة الحديث

بعد استقراء المنهج المقارن بدأت الأبحاث اللغوية تبتعد أكثر فأكثر عن التأثير الفلسفي وتقترب في نفس الوقت من المنهج العلمي التجريبي، فحصرت الدراسة اللغوية في تحليل النص الموجود بمعزل عن تدخل أية عناصر أخرى، بمعنى ألاّ تتشعب الدراسة إلى ما دون أو فوق بنية النص، وهكذا بنيت الدراسات اللغوية الحديثة على مبدأ الاستقلال وهذا جعل علم اللغة علماً خاصاً بدراسة اللغة، وبالتالي سينظر عالم اللغة إلى النص باعتباره بنية لغوية كما ينظر المهندس إلى المبنى باعتباره بنية هندسية،، تتميز عناصره باستقلال داخلي تتحرك في إطاره دون الاعتماد أو الرجوع إلى عناصر خارجية تسمى (Extra Linguistics).

١ ــ دي سوسير:

ويرجع الفضل في ظهور علم اللغة الحديث إلى الباحث السويسري (فرديناند دي سوسير)، فقد نشر له في عام ١٩١٦م أي بعد وفاته بثلاث سنوات كتابه الشهير «دروس في علم اللغة العام ــ Course in General Linguistics» ولقد أثر هذا الكتاب تأثيراً فعالاً في كل الدراسات اللغوية التي نشأت في أوروبا وأميركا، لفترة السنوات الثلاثين التي تلت طبعه. وقبل أن نتحدث عن مضمون هذا الكتاب وعن النظرية التي بلورها الباحثون فيما بعد وعرفت باسم نظرية (دي سوسير) نرى الإلمام بفكرة سريعة عن هذا الباحث.

ولد دي سوسير في عام ١٨٥٧ في جنيف وتوفي عام ١٩١٣. وكان دي سوسير مهتمًا باللغة الهندو ــ أوروبية كما كان مهتمًا باللغة والأدب الألمانيتين، فقد ألف كتاباً هاماً عن الحركات الألمانية أسماه الحركات، وكان يعمل أستاذاً للنحو المقارن في جامعة السوربون بفرنسا، ومن الذين أثروا في فكر هذا الرجل أربعة هم:

١ ــ ويتني (D. Whitney): (١٨١٧ ــ ١٨٩٤)، وهو عالم لغوي أميركي اهتم بالسنسكريتية، له عدة مؤلفات منها «الكلام ودراسة الكلام»، أبرز فيه مفهوم القانون اللغوي والنظام اللغوي والبنية اللغوية، وقد أثرت هذه المفاهيم في دي سوسير فدفعته إلى التفكير في علم اللغة الوصفي.

٢ ــ بودوان دي كورتيني (Baudouinde Courtenay) (١٨٤٥ ــ ١٩٢٩)، عالم لغوي بولوني. متخصص في علم الفونولوجيا وأثر هذا العالم في دي سوسير فدفعه إلى تحديد الوحدات اللغوية وتصور اللغة كنظام من الخلافيات.

٣ ــ بيرس (Ch. S. Peirce) (١٨٣٩ ــ ١٩١٤)، تحدث عن الدليل اللغوي وقد أثر هذا الأمر في دي سوسير لبناء ما يطلق عليه علم الرموز (Semiotics)[١].

٤ ــ إميل دوركايم (Emile Durkheim) (١٨٥٨ ــ ١٩١٧)، وهو عالم في علم الاجتماع وتأثر دي يوسير بآرائه في بحث الظواهر الاجتماعية وخاصة عندما حدد الوقائع الاجتماعية باعتبارها أشياء تشبه الأشياء التي تدرس في العلوم الطبيعية. وقرر أن هذه الوقائع الاجتماعية ذات طبيعة عامة، أي أنها ليست فردية. والشيء عنده ينتظم كل موضوعات المعرفة التي لا يمكن إدراكها بالنشاط العقلي الداخلي ولكن لما تقتضيه من الخبرة والملاحظة والتجربة. وقد أشار دور كايم إلى اللغة وقال إنها لا يمكن اعتبارها شيئاً وهي ليست فردية ولكنها عامة. ولقد كان دور كايم

---

(١) البنيوية من اللسانيات، د. محمد الحناش. الدار البيضاء، ١٩٨٠، ص ١٨١ ــ ١٨٢.

هو السبب في تحويل الدرس اللغوي إلى الاتجاه العلمي، ذلك أنه اعتبر اللغة شيئاً عاماً شأنه شأن الوقائع الاجتماعية الأخرى وهذا هو الذي يسر السبيل إلى تطبيق قوانين العلم في دراسة الظواهر اللغوية[1].

□ كتاب دي سوسير «درس في علم اللغة العام»:

نشر هذا الكتاب بعد وفاة دي سوسير بثلاث سنوات، ويضم الملاحظات التي أبداها دي سوسير لطلابه في محاضراته المختلفة التي ألقاها عليهم، وتتناول بعض الإشارات عن النظرية التي بلورها الباحثون فيما بعد وعرفت بإسم نظرية دي سوسير، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه استبعد تماماً المناهج التي كانت سائدة في دراسة اللغة في القرن التاسع عشر، فقد أكد دي سوسير على النواحي الآتية:

١ ــ **اللغة ظاهرة حية.**

٢ ــ **تجمع اللغة بين عدة أنظمة متماسكة هي:** الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. خلافاً للاتجاهات السابقة التي كانت تعزل النظام الصوتي عن بقية الأنظمة الأخرى.

٣ ــ **اللغة ظاهرة اجتماعية**[2].

٤ ــ **أسبقية المنطوق على المكتوب:** أعطى دي سوسير الأسبقية للمنطوق من اللغة واعتمد في ذلك على ما يلي: عندما يولد الطفل يتعلم النطق قبل أن يتعلم الكتابة، فالنطق أقدم من الكتابة وأكثر شيوعاً منها، ﴿وإلى يومنا هذا نجد مجتمعات منظمة كلها لا تكتب لغتها ويعني هذا أن دور الكتابة ثانوي[3].

---

(٢) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجي. بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٥ ــ ٢٧.

(٢) David Crystals. Linguistics, pp. 101-103.

(٣) النبوية، ص ١٨٣.

☐ منهج دي سوسير في دراسة اللغة:

يقوم هذا المنهج على الأسس الثلاثة الآتية:

١ ـ تدرس اللغة من جانبين، جانب وصفي أطلق عليه مصطلح (Syncronic) وجانب تاريخي أطلق عليه (Diachronic).

واعتبر دي سوسير أن الأساس الوصفي ضروري لدراسة اللغة، لأن اللغة كائن حي والدراسة الوصفية تهتم بدراسة اللغة في مرحلة معينة لأنها تمثل ملخصاً لكل النشاطات اللغوية التي يستخدمها المجتمع اللغوي، وحث دي سوسير على وجوب الاعتماد على أمثلة لغوية مستنبطة من استقراء شامل للغة التي تمثل العصر المعين والابتعاد عن أي تفسير يعتمد على النواحي التاريخية وهذا يعني أن عنصر الزمن لن يهتم به في هذه الدراسة، وبالتالي لن ينظر الباحث إلى أي تغيير يطرأ على هذه اللغة المعينة(١).

وميز دي سوسير بين الدراسة الوصفية والدراسة المعيارية، وأوضح أن الفرق بينهما ليس فرقاً في طريقة البحث فقط ولكنه في المادة التي يختارها الباحث فالمادة التي تقوم عليها الدراسة الوصفية تجمع دون اختيار معين ودون تفضيل تعبير على آخر أو وصف تعبير بأنه مستهجن وآخر أنه غير مستهجن، والأساس الذي تقوم عليه الدراسة هنا هل هذا التعبير أو ذاك مستعمل أم لا؟ معنى هذا: أن الدراسة الوصفية تهتم بدراسة الواقع اللغوي كما هو.

أما الدراسة المعيارية فالأمر فيها يختلف عن الدراسة الوصفية، ففيها يختار الباحث مادتها من بين الوقائع اللغوية الكثيرة وغالباً ما تكون هذه المادة محافظة على مستوى معين يحظى برضى الطبقة المثقفة، وفي هذه الدراسة يميز الباحث بين مستوى الصواب ومستوى الخطأ(٢).

الجانب الثاني، وهو دراسة اللغة دراسة تاريخية، ويهتم البـاحث هنا بدراسة التطور الذي يطرأ على اللغة والطرق التي يتبعها في هذه الدراسة هي

---

(١) David Crystals, Linguistics, pp. 10-103.

(٢) د. عبد الرحمن أيوب: اللغة والتطور، ص ٦٨.

المقارنة بين مرحلتين تاريخيتين معينتين، ذلك أن اللغة تتغير باستمرار، ويلاحظ أن الدراسة التاريخية لا تبدأ إلا بعد وصف اللغة في كل مرحلة زمنية معينة، والهدف من الدراسة التاريخية هو إيضاح التغيرات التي تطرأ على اللغة، وأكد (دي سوسير) ضرورة دراسة اللغة في ضوء هذين الأساسين.

٢ – ميز دي سوسير بين مصطلحات ثلاثة هي:

(أ) **اللغة بالمعنى الأعم**: أي بمعنى الظاهرة الاجتماعية وأطلق عليها مصطلح (Le Langue).

(ب) **اللغة المعينة**: وهي التي تتخذ موضوعاً للدراسة وأطلق عليها مصطلح (La Langue).

(ج) **الكلام**: وهو النشاط العضلي الصوتي الذي يقوم به الفرد الواحد وأطلق عليه مصطلح (Le Parole).

فاللغة بالمعنى الأعم ظاهرة اجتماعية، تقع في مجال علم الاجتماع، واللغة المعينة هي النشاط الإنساني الذي ينتجه كل المخلوقات الآدمية بالوراثة نتيجة لاستعمال الجهاز الممتد من الصدر حتى الرأس والذي يسمى الجهاز الصوتي. ويرى دي سوسير أن اللغة المعينة وحدة كلية من دراسة الصور المخزونة في ذاكرة مستخدمي هذه اللغة، فاللغة إذن مستودع يضم صور العلاقات المخزونة في عقول هؤلاء الأفراد، وأكد دي سوسير أن ملامح اللغة المعينة وخصائصها موجودة بالفعل في أذهان المتحدثين بها، وهكذا فإن المتكلم الواحد يستطيع أن يستعمل اللغة ببساطة ولكنه لا يستطيع بمفرده أن يؤثر عليها لأن اللغة ظاهرة اجتماعية مشتركة.

أما الكلام فهو الأداء الفعلي والملموس للغة من قبل الفرد، وهذا الأداء نفسي واجتماعي معاً، ويحدث نتيجة لتأثر السامع بموقف معين.

فالكلام إذن شيء واللغة شيء آخر، فالكلام نتيجة تأثر السامع بشيء معين، أما اللغة فهي الصور الذهنية الموجودة في أذهان كل المتحدثين في مجتمع معين، والكلام هو الصورة الملموسة للغة، وهو الذي يستمد منه اللغوي

دراسته لكي يصل إلى الصور الذهنية في عقول المتحدثين باللغة، وتفيدنا دراسة الكلام أيضاً في دراسة نفسية هؤلاء المتحدثين.

وقد تعمق دي سوسير في دراسة اللغة المعينة، واستخدم مصطلحين أساسيين هما:

(أ) **اللهجة**: ويقصد بها النظام اللغوي الذي تتبعه جماعة صغيرة من الجماعات التي تشترك جميعها في استعمال لغة معينة، من هنا نادى دي سوسير بدراسة أثر عامل المكان على الاختلاف اللغوي، وأطلق على هذا النوع من الدراسة مصطلح علم اللغة الجغرافي[1]، وأوضح أن هذا العلم يدرس العلاقة بين الظاهرة اللغوية ومجال انتشارها، وقرر في بداية دراسته لهذه الناحية أنه إذا كانت الاختلافات اللغوية تخفي عن أعين الباحثين في نطاق الزمان، فإن هذه الاختلافات تقفز إلى عين المرء بحسب المكان، مهما كان ضئيل الحظ من الثقافة، بل إن البدائيين أنفسهم يدركون ذلك حين يتصلون بالآخرين من القبائل المجاورة التي تتحدث بلسان آخر[2].

(ب) **المستوى الشخصي للاستخدام اللغوي**: يقصد به أن لغة المثقفين تختلف عن لغة الحرفيين، فكل منا يعبر بلغته عن المستوى الشخصي الذي ينتمي إليه.

٣ ـ الأساس الثالث الذي يقوم عليه منهج دي سوسير، يتمثل في قضية المعنى:

أوضح دي سوسير أن الدراسات السابقة عليه اعتمدت في دراسة قضية المعنى على ما قرره أفلاطون، من أن هناك علاقة وثيقة بين اللفظ ومعناه، ورفض هذا المبدأ وأكد أن العلاقة بينهما اعتباطية، وميز بين أمور ثلاثة هي:

---

(١) د. عبد الرحمن أيوب: اللغة والتطور، القاهرة، ص ٦٧/٦٨.

(٢) د. عبد الصبور شاهين في علم اللغة العام، ص ١٥١.

(أ) الموجود الخارجي: ولنفرض أنه النبات الخشبي الـذي نسميه شجرة.

(ب) اللفظ: مجموعة من الأصـوات تستخدم في الإشارة إلى الموجود الخارجي.

(ج) الصورة الذهنية: وهي صورة الموجود الخـارجي الموجـودة في الذهن.

وأطلق على الموجود الخارجي مصطلح (Signifie) أي المدلول، وعلى اللفظ مصطلح (Signifiant) أي الدال، وعلى الصورة الذهنية الرمز، وأوضح أن الصورة الذهنية تمثل العلاقة بين المدلول والدال، وأوضح أن الرمز يشكل الوحدة الأساسية في الاتصال وهو موحد في كل لغة الجماعة وهو ذهني من هنا يؤكد دي سوسير أن اللغة نظام من الرموز.

ويرى دي سوسير أن الجملة عبارة عن تتابع الرموز، وكل رمز يساهم بشيء من معنى الكل، لهذا فكل رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وبما بعده، وأطلق على تتابع الرموز وارتباطها في داخل الجملة مصطلح (Synta gmatic) أي العلاقة الأفقية بين الرموز، فمثلاً جملة: قام محمد، تحتوي على علاقة أفقية تتمثل في أن موقع المسند وهو قام في البداية، ثم يليه المسند إليه، وعلامة المسند إليه الإعرابية هي الضمة، أما المسند فمبني وهو مفرد مذكر وكذلك المسند إليه.

بالإضافة إلى هذه العلاقة تحتوي الجملة على علاقة رأسية أطلق عليها دي سوسير مصطلح: (Paradig matric).

ويقصد بها دخول الرمز الواحد في علاقة مع كل الرموز التي يمكن أن تشغل المكان المحدد والمعين للرمز المعين، فمثلاً مـا الرمز الذي يمكن أن يستخدم في علاقة إضافية مع رمز اللبن (... لبن) الجواب: كوب لبن، أو زجاجة لبن، أو جالون لبن[1] إذاً كوب يدخل في علاقة رأسية مع زجاجة أو جالون.

---

(١) البنيوية، ص ٩٦.

٢ ـ المدارس اللغوية الحديثة:

وقد طور تلاميذ دي سوسير نظريته تطويراً كبيراً وكونوا مدارس لغوية متميزة في أوروبا وأميركا، ومن أهم هذه المدارس:

□ مدرسة براغ:

بعد وفاة دي سوسير سنة ١٩١٣ تشكلت في براغ في عام ١٩٢٦ مجموعة لغوية عرفت باسم مجموعة براغ، ومن بين المشاركين فيها كارتشيفسكي (S. Karcevski) وتربتسكوي وجاكسون. ونشرت هذه المجموعة أول أفكارها في عام ١٩٢٩ تحت عنوان أعمال مدرسة براغ اللغوية.

حافظت هذه المدرسة على أفكار دي سوسير بخصوص تعريف اللغة بأنها نظام من الرموز، واهتمت بمنهج دي سوسير الوصفي أو السانكروني ولكنها ركزت في دراستها اللغوية على الجانب الفونولوجي، والكتاب الذي يلخص مبادىء هذه المدرسة هو كتاب مبادىء الفونولوجيا لترويتسكوي ونشره في براغ عام ١٩٣٩.

□ مدرسة فرنسا:

سارت المدرسة الفرنسية في نفس الاتجاه الذي سارت فيه مدرسة براغ فركزت بحوثها حول الفونولوجيا سواء أكانت وصفية أو تاريخية ومن أهم رواد هذه المدرسة مارتينيه وكوجنهايم وبنفنست.

وأهم باحث فرنسي هو مارتينيه، ركز دراسته في التحليل اللغوي على الوحدة اللغوية، وأوضح أنها هي التي تقوم بوظيفة الاتصال بين المتكلم والسامع، وان ارتباط الوحدات فيما بينها يؤدي إلى التركيب، وهناك نوعان من التراكيب، الأول: تتداخل فيه المونيمات[١] لتكوين الجملة؛ والثاني: تتداخل فيه المونيمات لترتبط ببعضها أكثر من ارتباطها بمونيمات الجملة، فمثلاً إذا نظرنا إلى جملة: الفريق الوطني سيحصل على كأس دول إفريقيا[٢]، سنجد أن التراكيب

(١) سنشرح معنى المونيم بعد قليل.
(٢) البنيوية، ص ٧٥.

الآتية ترتبط ببعضها ويشكل كل منها تركيباً مستقلاً: الفريق الوطني ـ سيحصل على ـ كأس إفريقيا.

الوحدة اللغوية: يرى مارتينيه أن للوحدة اللغوية وجهين، الأول أسماه مونيم؛ والثاني أسماه فونيم.

والمونيم: هو أصغر عنصر له معنى في السلسلة الكلامية، ويتكون من قسمين، الأول أسماه لكسيم وهو يتبع المعجم؛ والثاني أسماه مورفيم وهو يتبع النحو، فإذا حللنا الجملة الآتية: «المسلمون يطيعون الله ورسوله». سنجد أن اللكسيمات هي مسلم. (أ) طاع ـ الله ـ رسول. والمورفيمات أي العناصر النحوية هي: أل. ون. ياء المضارع، بعد ذلك انتقل مارتينيه إلى دراسة المونيم على مستوى المحتوى والتعبير، فأوضح أن كل لغة تستخدم عدداً معيناً من المونيمات للتعبير من عدد لا نهائي من التعبيرات، وشرح ذلك بأن أورد الجدول الآتي:

المناسبة	التعبير
١	(أ)
٢	(ب)
٣	(ج)
الخ . .	الخ . .

وأوضح أنه لا يوجد اشتراك بين (أ) و(ب) أو(أ) و(ج)، بل يوجد تناسب بين (أ) و١، (ب) و٢، (ج) و٣. وهذا التناسب يؤدي إلى الوضوح وعدم الغموض، وإذا قارنا بين العمودين، أي عمود المناسبة وعمود التعبير، سنرى أن عمود المناسبة يمتد إلى ما لا نهاية، وأنه من المستحيل على عمود التعبير أن يصاحبه إلى ما لا نهاية، فما العمل؟ وكيف تسير الأمور إذن؟ علينا أن ننظر إلى الجدول الآتي:

المناسبات	التعابير
١	(أ) أنا وصلت أمس
٢	(ب) أنا لم أدخل
٣	(ج) هو لا يعرف

نلاحظ أن التعابير (أ) و (ب) و (ج) بينها عناصر مشتركة، ففي (أ) و (ب): أنا وتاء الفاعل. وفي (ب) و (ج): لم ـ لا[1].

معنى ذلك أنه توجد وحدات تدخل في تكوين التعابير المتعددة، وهذه الوحدات هي مونيمات، فعدد معين من المونيمات يسمح بوجود عدد لا نهائي من التعبيرات، وذلك بفضل التداخلات الممكنة، فالمونيمات إذن وحدات دلالية صغرى، ولهذا يتركز البحث في الوجه الأول على مستوى المحتوى ومستوى التعبير[2].

الفونيم: إذا نظرنا إلى هذه الوحدات الثلاث، كتب ـ عتب ـ جمع، نلاحظ أنها تشترك في عدد من العناصر هي: ت. ب. ع. فالعناصر المشتركة في تكوين المونيمات تحتل الوجه الثاني، وهي لا يمكن أن تدخل في مستوى التعبير، وليست رموزاً لغوية، وليست وحدات دالة، فماذا تسمى؟ تسمى مونيمات. وكل مونيم يتكون من ارتباط هذه الفونيمات، ودراسة الفونيم تكون على مستويين: مستوى الفونولوجيا، ومستوى الفوناتيك، وتقتصر الفنولوجيا على دراسة الأصوات التي تساهم عند ارتباطها مع أصوات أخرى في دلالة الكلمة على معنى معين، وحصر الاختلافات في نطق كل صوت سواء أكان هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف الناطقين أو إلى اختلاف السياق[3].

□ مدرسة كوبنهاجن:

تأسست هذه المدرسة في عام ١٩٣١ تحت تأثير هلمسليف وبروندال ونشرت أول أعمالها عام ١٩٣٣. . ومن أهم روادها هلمسليف. .

أيد هلمسليف وجهة نظر دي سوسير عن اللغة وعلم اللغة، فاللغة تشمل فرعين هما اللغة والكلام واللغوي يهتم باللغة فقط، أما علم اللغة فهو علم مستقل ويرى أن نظرية الدراسة اللغوية تقوم على ثلاثة محاور هي:

١ ـ أنها استقرائية أكثر منها استنباطية.

٢ ـ أنها اعتباطية أكثر منها ملائمة.

(١) البنيوية، ص ٨٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

٣ ـ أنها تستجيب للعوامل الثلاثة المعروفة في الدراسات التجريبية وهي التماسك الداخلي والتكامل والبساطة[1].

يتمثل الاستقراء في ترتيب القضايا وتعميم الملاحظات بعيداً عن أي فكرة سابقة، ويتمثل الاستنباط في استنباط مجموعة من الأوليات الشكلية التي تقوم على تصور عام للكلام، وهذه النظرية اعتباطية لأنها لا يمكن أن تخضع لمراقبة القضايا التجريبية، وهي ملائمة لأنها تطبق ما تتوصل إليه من نتائج على أكبر عدد من اللغات. وعلاوة على ذلك تستجيب لأسس الدراسات التجريبية الثلاثة وهي التماسك الداخلي والتكامل والبساطة، يقول هلمسليف إن البساطة هي المبدأ الوحيد لقياس صحة أو عدم صحة المبدأين السابقين أي التماسك والتكامل، لأنها هي المعيار الذي تلتقي فيه النظرية بالتطبيق[2].

وقد بلور هلمسليف اتجاهاً معيناً في الدراسة اللغوية عرف بإسم (Glossmatic) جلوسماتيك... ومما يمتاز به هذا المنهج أنه لا يهتم بدراسة لغة معينة، بل يهتم بوصف ما هو عام ومشترك بين جميع اللغات، وانه عندما يدرس لغة معينة فإنما يدرسها باعتبارها نموذجاً يستنبط منه الظواهر اللغوية العامة، والتأكد من ذلك بتطبيق هذه الظواهر على أكثر من لغة. وتنطلق الجلوسمايتكية من دراسة النص وتحليله إلى وحدات صغرى. ويجب أن يهتم اللغوي إضافة إلى التحليل لوحدات صغرى بوصف العلاقات التي تربط بين هذه الوحدات وأجرى هلمسليف تغييراً في المصطلحات التي استخدمها دي سوسير من ذلك أنه استبدل الدليل والدال والمدلول، بمستوى التعبير (بدلاً من المدلول) ومستوى المحتوى (بدلاً من الدال) وأوضح أن لكل منها شكلاً وجوهراً، والشكل قابل للتحليل إلى هياكل، وأطلق على هياكل التعبير مصطلح (Plérème) وعلى هياكل المحتوى (Cènèmes) فمثلاً كلمة مدرسة أو الدليل اللغوي كما يستعمل دي سوسير «مدرسة» يتكون من مستويين، التعبير والمحتوى... والتعبير إذا حُلِّل فإنه يحلل إلى هياكل تعبيرية هي: (Plérémes) وهي (أل) + (مَدْ) + (رَ) + (سَة) والمحتوى إذا حلل إلى هياكل المحتوى وهي

---

(١) البنيوية، ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه.

(Cènèmes) وهي (بناية) + (النوع)، وهكذا فالاختلاف في (ال) (Plèrèmes) يؤدي إلى اختلاف في (Cenemes)، وهذا يؤدي إلى اختلاف في التعبير، من هنا ترى الجلوسماتيكية أن البنية تشكل جوهراً عاماً تشترك فيه كل اللغات، والاختلاف الذي يطرأ على البنية له علاقة بالشكل وليست له علاقة بالجوهر. والجوهر يوصف من خلال الشكل، وليس من خلال الأصوات أو معانيها، وهذا يبعد عن الميدان فكرة إمكانية وجود نظام صوتي عالمي، وهكذا يؤيد هلمسليف دي سوسير في تعريفه للفونيم بأنه وحدة مجردة بعيدة عن التحقيق الصوتي في الإنجاز. واللغة في ضوء هذه النظرية تعتبر بنية تتكون من:

١ ــ محتوى وتعبير ويرتبط كل منهما بالآخر.

٢ ــ سياق ونظام، وهناك علاقات معينة داخل السياق وداخل النظام، وتستخدم هذه النظرية مصطلح جلوسيم، ويقصد به الأشكال الصغرى التي لا تقبل التجزيء إلى أشكال أقل منها، سواء أكان ذلك على مستوى التعبير أو المحتوى، ففي مثال المدرسة نجد أن (ال) جلوسيم و(مَدْ) جلوسيم آخر وكذلك (رَ) و(سَة) هذا على مستوى التعبير أما على مستوى المحتوى (فالبناية) جلوسيم وأوصاف المدرسة الخاصة بالبناية جلوسيم آخر. وتستخدم هذه النظرية مصطلح وظيفة وتقصد به العلاقة بين عنصرين على مستوى الكلمة أو على مستوى التركيب[١].

□ المدرسة الإنجليزية:

أسس هذه المدرسة فيرث، وسار على منهج دي سوسير فأيده في دراسة اللغة من أجل اللغة، ومن هنا أكد أن علم اللغة ليس أكثر من مجموعة من أساليب البحث التي تمكن الباحث من علاج الأحداث اللغوية، وأكد أن هذا العلم مستقل ولا يتفرع عن علم آخر كعلم الاجتماع أو علم النفس ورفض فيرث القول بثنائية الفرد والمجتمع التي قال بها دوركايم ودي سوسير، وأوضح أن شخصية الفرد وحدة قائمة بذاتها ولها خصائصها التي تميزها عن الشخصيات

(١) البنيوية. ص ٨٦ ــ ٩٠.

الأخرى ويرى فيرث أننا عندما ندرس اللغة فإنما ندرسها باعتبارها جزءاً من عملية اجتماعية، وهكذا أسس فيرث وأتباعه مدرسة لغوية جديدة أطلق عليها المدرسة اللغوية الاجتماعية، ويعتقد فيرث أن أصحاب المدارس الأخرى سواء أكانت في أوروبا أو في أميركا اهتموا بالتركيب الداخلي للغة أكثر مما ينبغي ولكنهم أهملوا جانب الاستعمال الفعلي للغة في إطار المجتمع، وما يمكن أن يفرضه ذلك المجتمع من الضوابط والقيود على مستعملي تلك اللغة... وبما أن المعنى بأبعاده المختلفة هو ما يهدف المتكلم إلى إيصاله إلى أفراد المجتمع الآخرين، لذلك ركز بعض أنصار هذه المدرسة على قضية المعنى، وبدأوا بتحليل المفاهيم العامة والخاصة التي يرغب كل إنسان أينما كان في هذا العالم في التعبير عنها عن طريق اللغة. ثم أخذوا يدرسون الخصائص العامة والخاصة التي يؤديها كل تركيب لغوي، ومن ثم انطلقوا إلى إيجاد الصيغ والتراكيب اللغوية التي يمكن أن تعبر عن تلك الوظائف ضمن إطار كل من المفاهيم العامة. ويحاول هؤلاء العلماء التوصل إلى القواعد التي تحكم الاستعمال الفعلي للغة في المجتمع، ومعرفة ما هو عام منها ينطبق على المجتمعات المختلفة وما هو خاص بمجتمع معين.

وهناك أمران يحكمان الاستعمال اللغوي.

أولهما: السياق اللغوي، فالمفردات لا تتحدد معانيها بمعزل عنه، فكلمة أكل مثلاً لا تتحدد معناها إلا في داخل السياق. نحو:

أكل علي طعامه.
أكل علي مال اليتيم.
أكل علي أصابعه ندماً.
أكل علي ضربة على رأسه.
أكل السكين اللحم.

قال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾.

ثانيهما: الموقف أو المناسبة التي يقال فيها الكلام، وهي التي أطلق عليها اللغويون العرب عبارة «لكل مقام مقال». وعناصر المقام عديدة، أولها: المتكلم

نفسه، هل هو ذكر أو أنثى، صغير السن أو كبيره، واحد أم إثنان أم جماعة أم جمهور، وما هو جنسه ودينه وشكله الخارجي ونبرة صوته ومكانه الاجتماعي؟

وثانيها: المستمع؛ وثالثها: علاقة المتكلم بالسامع من حيث القرابة أو الصداقة أو المعرفة السطحية أو عدم المعرفة أو اللامبالاة أو العدوان أو المركز الاجتماعي «المالي أو السياسي... الخ».

ومن عناصر المقام موصو.

وثالثها: موضوع الكلام في أي جو يقال وفي أي مكان وأي زمان وكيف يقال وما الداعي لقوله[1].

ويرى فيرث أن ما نسميه بالنظم الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ليس أكثر من هياكل مبتكرة ومنظمة، الفرض منها الوصول إلى تحليل الأحداث اللغوية[2].

□ المدرسة الأميركية التوزيعية:

ركزت المدرسة الأميركية بحوثها على لغات الهنود الحمر، وكانت هذه اللغات منطوقة فقط وليست مكتوبة، ولم يكن يعرف تاريخ لها، ومن أعلام هذه المدرسة:

١ ــ بوس (Boas) (١٨٥٨ ــ ١٩٤٠)، تحدث عن العلاقة بين اللغة والسلالة التي تستعملها.

٢ ــ سابير (Sapir) (١٨٨٤ ــ ١٩٣٩)، وهو متخصص في لغات الهنود الحمر وله كتاب أسماه اللغة، اهتم فيه بتحديد معنى الفونيم وبتعريف اللغة باعتبارها شكلاً.

---

(١) نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٩، ١٢٢ ــ ١٢٣.

(٢) Leyous, Theoretical Linguistics, p. 15.

٣ ــ بلومفيد: تأثر بالاتجاه السلوكي وطبق نتائجه تطبيقاً دقيقاً في كتابه اللغة الذي أصدره في عام ١٩٣٣، من ذلك أنه يرى أن اللغة قائمة على الدوافع وردود الأفعال، ومن هنا اهتم الرجل بالجانب الحسي من اللغة ورفض الرجوع إلى المعنى لتحديد الوحدات اللغوية، ويُعد بلومفيد هو مؤسس المنهج التوزيعي، ومبدأ التحليل بالمكونات المباشرة الذي يتدرج في تحليل التنظيم اللغوي من الفونيم إلى الجملة(١).

٤ ــ هاريس: نشر في عام ١٩٥٤ كتابا عنوانه «مناهج علم اللغة البنيوي» استعرض فيه المنهج التوزيعي، وأوضح أنه ينطلق من دراسة العينة اللغوية، ومن خلال دراستها يتم التوصل إلى معرفة النظام الذي تسير عليه العينة. وهذا النظام هو الذي يسمى لغة كما قال دي سوسير. وما دام الأمر كذلك فإن دور اللغوي عند دراسة العينة يتركز في تجزيئها إلى عناصر ثم تصنيفها، وأوضح أنه يجب على اللغوي قبل دراسة العينة اللغوية أن يكون في ذهنه أسس تصنيف العينة حتى يستطيع تصنيفها بطريقة آلية. وأوضح أيضاً أن دور اللغوي يقتصر على الوصف. وتعد أفكار هاريس هي الممهد الرئيسي لظهور المدرسة التوليدية التحويلية(٢).

٣ ــ أسس الاتجاه التوزيعي:

يرى هذا الاتجاه أن اللغة نظام من الدلائل الاعتباطية، ويرى أن اللغة تنتظم في شكلين، الأول أفقي، وهذه الأفقية هي السبب في أن كل عنصر لغوي يشغل مكاناً يتسع لمحتواه المادي، وهي السبب أيضاً في أن السلسلة الكلامية يمكن أن تجزأ إلى عناصر مستقلة ومتميزة، ومع ذلك فليس كل ترتيب لعدد من الفونيمات يؤدي إلى تكوين كلمة مقبولة، وليس كل ترتيب لعدد من الكلمات يؤدي إلى تكوين جملة مقبولة، معنى هذا أن ترتيب الفونيمات لتكوين الكلمة وترتيب الكلمات لتكوين الجملة يخضع لعوامل معينة(٣). أما الشكل الثاني،

---

(١) Leyons, Theoretical Linguistics, p. 15. والبنيوية، ص ٩٥.
(٢) البنيوية، ص ٩٥.
(٣) المصدر نفسه.

فهو الشكل الرأسي ويهدف إلى تحديد العناصر التي تتبادل المكان أو الموقع المعين سواء أكان ذلك على مستوى الفونيمات أو على مستوى التركيب النحوي، فعلى مستوى الفونيمات نجد في مثل: قال (وكال)... «الفونيم المراد دراسته في الشكل الرأسي هو الفونيم الذي يحتل المكان الأول... ونرى أنه عندما حلت الكاف محل القاف في هذا الموقع نشأت كلمة جديدة إذاً يطلق على الصوت الأول اسم فونيم» أما إذا قلنا قال وجال «المستخدمة في لهجة الرياض، سنجد أن الجيم في هذا الموقع تقوم بالوظيفة التي تقوم بها القاف، معنى هذا أن أهل الرياض ينطقون القاف جيمًا ويسمى هذا الوفونيم.

وعلى مستوى التركيب، عندما نقول: كتاب جديد وكتاب قديم وكتاب كبير نجد أن كلمة جديد وقديم وكبير احتلت الموقع الثاني أي بعد موقع كلمة كتاب مباشرة، وكل كلمة من هذه الكلمات قامت بوظيفة تحديد الكتاب، مرة بأنه جديد، ومرة بأنه قديم.. إلخ، معنى هذا أنه يمكن تحديد الجنس الصرفي للكلمة التي تقوم بوظيفة التحديد وهي النعت.

وفي مجال التركيب يهدف التحليل على المستوى الرأسي إلى إيضاح الجنس الصرفي للعناصر التي تتبادل الوقوع في مكان معين، لهذا نلجأ إلى ثلاثة جداول سنوضحها في الدراسة الصرفية، وهي جدول إلحاق وجدول تصريف وجدول إسناد، وجدول الإلحاق يوضح لنا الملحقات التي تلحق بالكلمة، سواء أكانت هذه الملحقات في بداية الكلمة أو في وسطها أو في طرفها... فإن كانت هذه الملحقات أداة للتعريف أو تنويناً أو ضمائر الإضافة فالكلمة تكون اسمًا أو صفة أو ظرفاً. وإن كانت حرف مضارعة أو ياء المخاطبة أو نون التوكيد أو التاء المتحركة أو الساكنة، فالكلمة فعل، وهذا الجدول إذن يلقي الضوء على الجنس الصرفي العام للكلمة، نلاحظ ذلك مما يلي: كلمة باغْ عندما تكون ساكنة، هنا يصعب تحديد جنسها الصرفي لذلك نلجأ إلى جدول الإلحاق.

	(أ)		(ب)	
أل	:	الباعُ = الدراع	التاء المتحركة أو الساكنة :	باعت. بعتُ
التنوين	:	باعٌ	حرف المضارعة :	يبيع
ضمائر الإضافة	:	باعي	ياء المخاطبة :	تبيعين
			نون التوكيد :	تبيعَن

الاستنتاج: ١ ـ نستنتج من العمود (أ) أن الكلمة اسم.
٢ ـ نستنتج من العمود (ب) أن الكلمة فعل.

ولكن جدول الإلحاق يوضح الجنس الصرفي العام، وقد لا يكفي هذا في التحليل النحوي لذلك نلجأ إلى جدول آخر هو جدول التصريف لحصر الجنس الصرفي وخاصة عندما نريد تمييز الصفة أو الظرف عن الاسم، فمثلاً «قُرْط» تعني نوع من الحلي توضع في الأذن، ومُرٌّ نجد أن قُرط ليس منها فعل ولا يأتي منها بالتالي مشتقات لهذا الفعل، أما مُرّ فهي من الفعل مَرّ أي يشعر بالمرارة وتأتي منه صفة مشبهة وصيغة مبالغة وأفعل تفضيل. نستنتج من هذا أن قَرْط اسم أما مُر فهي صفة والذي أعاننا على ذلك هو جدول التصريف.. فالكلمة التي تقبل الدخول في جدول التصريف تكون إما صفة أو فعلاً، أما التي لا تقبل الدخول في هذا الجدول فتكون اسمًا وفي هذه الحالة نلجأ إلى الجدول الثالث لتمييز الصفات عن الأفعال، وهذا الجدول هو جدول الإسناد، فالكلمة التي تقبل الإسناد إلى ضمائر الرفع المتصلة أو التي تسند إلى حرف من حروف المضارعة تكون فعلاً، والتي لا تقبل هذا الإسناد تكون صفة، وهكذا فـ «جميل» لا تقبل الدخول في هذا الجدول، أما «جَمُلَ» فتدخل فيه.

□ المصطلحات السائدة في هذا الاتجاه:

١ ـ التوزيع التكاملي: يقصد به وجود عنصرين، ولكن أحدها لا يتبادل المكان مع الآخر، إنما يظهر معه، نحو أل + ولد.. فـ (أل) لا تتبادل المكان مع ولد، وإنما تظهر معها وملازمة لها فيقال الولد... فـ (أل) تكون حينئذ في توزيع تكاملي مع ولد... ونفس الشيء نجده على مستوى الفنولوجيا نحو ي ـِ ق ـُ ـُ ل ـُ... فالياء لا تتبادل المكان مع الكاف، إنما تأتي قبلها.

٢ ـ علاقة التقاطع وعلاقة الإدماج: يقصد بعلاقة التقاطع أن العنصرين يظهران في سياقات مشتركة نحو:

الرجل حضر. الرجل جاء. الرجل ذهب.

لذلك يقال للعنصر الذي يكون في توزيع تكاملي إنه في علاقة تقاطع، أما علاقة الإدماج، فيقصد بها أن العنصرين قد يظهران في بعض السياقات ولا يظهران في بعض آخر من السياقات نحو العنصرين: طيب وجيد، فنقول:

هذا الرجل الطيب.
هذا الرجل الجيد.

ولكن إذا قلنا:

هذا القلم الطيب.
هذا القلم الجيد.

نجد هنا أن طيب وجيد لم يستعملا في هـذين السياقين... فهما لا يتبادلان نفس المكان، وتوصف هذه العلاقة بأنها علاقة إدماج[١].

□ المدرسة التوليدية التحويلية:

أسس هذه المدرسة أفرام نوعم تشومسكي (Avram Noâm Chomsky). وُلد تشومسكي في ولاية فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٢٨، ويعمل الآن أستاذاً لعلم اللغة في معهد (ماساشوستس) للتكنولوجيا.

٤ ـ تشومسكي والدراسات الإنسانية:

هناك اتجاهان للدراسات الإنسانية بوجه عام، الأول: يعتبر أن تقدم المعرفة يرتبط بالملاحظة الدقيقة للسلوك الفعلي عند الإنسان[٢]. والثاني: يرى

---

(١) البنيوية، ص ١٧٢ ـ ١٧٧.
(٢) أيدت هذا الاتجاه كل المدارس اللغوية التي تحدثنا عنها حتى الآن وخاصة المدرسة التوزيعية التي أسسها بلومفيد.

أن مثل هذه الملاحظات لا تكتسب أهميتها إلا بالقدر الذي تكشف لنا فيه عن القوانين الكامنة التي لا يتضح لنا في السلوك الفعلي إلا صورة جزئية أو محرّفة منه[1].

وأيد تشومسكي الاتجاه الثاني وهو الاتجاه الذي يبحث عن القوانين الكامنة التي تحكم السلوك الفعلي عند الإنسان، لهذا ميز بين شيئين عندما درس اللغة، الأول: وهو النظام اللغوي الكامن في عقول الذي يتكلمون لغة واحدة وأطلق عليه مصطلح الكفاءة (Competence). والثاني: هو السلوك الفعلي أو الممارسة العملية للنظام الذهني وأطلق عليه مصطلح الأداء (Performance)[2].

٥ ـ نقد السلوكيين:

إن تأييد تشومسكي للاتجاه الذي يبحث عن القوانين الكامنة في عقول المتكلمين جعله يهاجم أنصار الاتجاه، الأول: الذي يهتم بملاحظة السلوك الفعلي للإنسان، من هنا هاجم تشومسكي سكنر باعتباره زعيمًا للمدرسة السلوكية، وركز هجومه على النتائج التي نشرها في كتابه «السلوك اللغوي» عن التجارب العملية التي أجراها على الحيوانات واستنتج منها أن اللغة لا تعدو أن تكون عادة اجتماعية مثلها مثل أي عادة أخرى، وأن اكتسابها يتم بنفس الطريقة التي تكتسب بها سائر العادات الاجتماعية وهي المحاولة والخطأ، وركز هجومه على أمرين هما:

الأول: لا علاقة مطلقاً بين سلوك الفئران في صناديق التجارب في المختبرات وبين اللغة البشرية، والسبب بسيط وواضح جداً، وهو أن اللغة من اختصاص البشر، وأن جميع وسائل الاتصال الأخرى التي تستعملها الحيوانات، والتي ندعوها تجاوزاً لغات الحيوانات، وسائل قاصرة للغاية، ولا تتمتع بالعناصر الأساسية التي تكون لغة الإنسان.

---

(١) جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية. مجلة الفكر العربي، ص ٨ ـ ٩، ١٢٤.

(٢) David Crystal: Linguistics. p. 130.

الثاني: أن فهم (سكنر) لطبيعة اللغة فهم خاطىء، ذلك أنه يرى أن اللغة مجموعة من العادات وتتكون عند الإنسان نتيجة للاستجابات المتواصلة للمؤثرات الخارجية، وبالتالي فإنه يرى أنه ليس هناك حاجة إلى جهاز فطري أو عقلي خاص يعين على ذلك، ويعتقد كذلك بإمكانية التنبؤ بالسلوك اللغوي للفرد عن طريق دراسة المؤثرات الخارجية التي تحيط به.

وأوضح تشومسكي أن سكنر ليس في موقف من يستطيع الحديث عن مسببات السلوك اللغوي ما دام أنه لا يعرف طبيعة ذلك السلوك(١).

وأعرب تشومسكي عن تأييده للمذهب العقلي الذي دعا إليه ديكارت وليبينتيز والذي يرى أن الذهن الإنساني يحوي أفكاراً فطرية وهذا على خلاف أنصار المذهب التجريبي الذين يرون أن أي معرفة إنسانية تنشأ عن الخبرة، وهكذا يرى تشومسكي أن بعض المعرفة فطري وسابق على الخبرة كما يرى أنصار المذهب العقلي، وراح تشومسكي بعد ذلك يدحض رأي التجريبيين السابق الذكر وركز دحضه على الطريقة التي يتعلم بها الطفل اللغة فأوضح أن قدرة الطفل على تعلّم لغة معينة لا ترتبط بالذكاء أو الحافز، ذلك أن جميع الأطفال سواء أكانوا أذكياء أو أغبياء أو سواء كان لديهم حافز أو لم يكن يتعلمون التكلّم بلغتهم الأم، وإذا افترضنا أن الطفل لم يتعلم اللغة الأولى قبل البلوغ فمن المستحيل أن يتعلمها فيما بعد.

ويؤكد تشومسكي أن الطفل الذي تعلم لغته الأولى ينجز عملاً ذهنياً باهراً، فهو عندما يسيطر على النحو في ذهنه فإنه يكون تقريباً قد بنى نظرية للغة، ولا يمكن تفسير هذه الوقائع بالقول إن الذهن عبارة عن صفحة بيضاء، ولكن التفسير الصحيح هو أن الطفل كان يمتلك مسبقاً شكل اللغة مرسوماً في ذهنه قبل أن يتعلم التكلم مطلقاً، فالطفل كما يرى تشومسكي يولد مزوداً بمعرفة تامة بالنحو الكلي أو الكوني أي أنه مزود بمخطط مثبت يستخدمه لاكتساب اللغة، ولذلك يستطيع أن يكتسب أية لغة إنسانية، وهذا يرجع إلى

---

(١) David Crystal, Linguistics, p. 130-131.

أنه يمتلك الأشكال العامة المشتركة بين كل اللغات الإنسانية، بوصف جزءاً من تجهيزه العقلي الفطري.

واستطرد تشومسكي يقول إنه مما يدل على وجود ملكة للغة خاصة بالإنسان أن أنظمة الاتصال الحيواني تختلف بصورة جذرية عن اللغات الإنسانية، فلهذه اللغات طاقة توليدية لا متناهية، ومن غير الممكن التكهن بعبارات اللغة التي يمكن أن تقال استناداً إلى المثيرات الخارجية، هذه الصفة الإبداعية لاستعمال اللغة هي من اختصاص الإنسان[1].

٦ ـ نقد اللغويين السلوكيين:

أوضحنا من قبل أن اللغويين السلوكيين يهدفون في عملهم إلى تصنيف وتوزيع عناصر اللغة. يقول (هوكيت) إن علم اللغة علم تصنيفي، فإذا أراد لغوي أن يصف لغة معينة كالعربية مثلاً، فإنه يبدأ عمله بجمع كمية كبيرة من جمل هذه اللغة، ويقوم بتسجيلها على مسجل أو بتدوينها بوساطة الرموز الصوتية الفوناتيكية، بعد ذلك يبدأ بتصنيف عناصر هذه الجمل إلى عدة مستويات، المستوى الأول: هو المستوى الفونولوجي وفيه يصنف اللغوي فونيمات هذه اللغة. الثاني: هو المستوى المورفولوجي وفيه يهتم اللغوي بحصر الوحدات النحوية أو المورفيمات. الثالث: هو المستوى النحوي وفيه يدرس اللغوي تركيب الكلمات ويصنفها إلى تركيب إسمي وتركيب فعلي، ثم ينتقل إلى المستوى الأرفع وهو تتابع هذه التراكيب أي الجمل وأنواعها المختلفة.

كان هدف اللغويين التصنيفيين أو السلوكيين هو إذاً تحديد الطرق الدقيقة التي تساعد اللغوي على تصنيف عناصر اللغة التي يقوم بدراستها، ولم يهتم هؤلاء اللغويون بدراسة معنى الجمل ذلك لأنهم اعتقدوا أن الدلالات من اختصاص علماء النفس لأنها تمثل أنماطاً من السلوك محددة بالعلاقة بين المثير والاستجابة.

---

(١) جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية. ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

وحين كان تشومسكي يقوم بإعداد رسالته لنيل درجة الدكتوراة في جامعة (بنسلفانيا) حاول أن يطبّق طرق السلوكيين على دراسة التركيب. . . فأدرك أن هذه الطرق تتمتع بفعالية كبيرة في دراسة الفونيمات والمورفيمات ولكنها لا تجدي مطلقاً في دراسة الجمل، وفي هذا يقول تشومسكي إن كل لغة تتضمن عدداً محدوداً من الفونيمات كما تتضمن عدداً محدوداً من الموفيمات، وفي مقابل ذلك فعدد الجمل في لغة معينة لا مُتناهٍ، فما من حد لعدد الجمل الجديدة التي يمكن إنشاؤها. وفضلاً عن هذا فإن أسس اللغويين التصنيفيين غير قادرة على بحث العلاقات الداخلية القائمة في الجمل أو عن العلاقات التي يمكن أن تقوم بين مختلف الجمل، فقد تشترك جملتان في بنية نحوية واحدة، كما في قولنا:

١ ــ دُفِعَ المال من زيد.

٢ ــ سُرِقَ المال من زيد.

فكل جملة من هاتين الجملتين تتكون من: فعل مبني للمجهول ونائب فاعل وحرف جر واسم علم مجرور، وبالرغم من هذا الاشتراك في التركيب فإنهما مختلفتان من الناحية النحوية، ففي الجملة الأولى يقوم زيد بوظيفة الفاعل للفعل دفع، رغم أن ذلك لا يظهر في الترتيب السطحي للكلمات، إذ تعني الجملة: دفع زيدٌ المال، أما في الجملة الثانية، فإن زيداً يؤدي وظيفته كمفعول به للفعل سرق، إذ تعني الجملة سرق أحدهم زيداً ماله، ولا يوجد عند التوزيعين أية وسيلة للتمييز بين مثل هذين النوعين من الجمل[1].

ومن ناحية أخرى هناك جمل تتكون من تركيب معين ومن مفردات واحدة وموقعها لم يتغير، ومع ذلك فإنها تحتمل معانٍ متعددة (Ambigiuns Sentences)، من أمثلة ذلك مثلاً: طلب فؤاد من كمال أن يسافر. فهذه الجملة تعني أن فؤاد طلب من كمال أن يسافر (فؤاد) أو طلب فؤاد من كمال أن يسافر (كمال) والسبب في ذلك يرجع إلى وجود تركيبين داخليين لهذه الجملة هما:

(أ) طلب فؤاد من كمال (يسافر فؤاد).

(ب) طلب فؤاد من كمال (يسافر كمال).

---

(١) جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية، ص ١٢٥ ــ ١٥٦.

ثم حدث عند تحويل البنية الداخلية إلى تركيب خارجي أن حذف الاسم المتكرر وهو فؤاد في الجملة (أ) وكمال في الجملة (ب) واكتفى بالضمير المستتر (هو) الذي يحتوي عليه الفعل يسافر في الجملتين. . . ثم ربطت الجملة الثانية بالجملة الأولى فأصبحت مفعولاً به للفعل طلب، فأصبح الفعل يسافر يقوم بوظيفة المفعول به، والمفعول به اسم أومصدر صريح وما يعادل الاسم أو المصدر الصريح هو المصدر المؤول لهذا أضيفت (أن) إلى هذا الفعل المضارع وبالتالي نتجت جملة واحدة تعبر عن البنيتين الداخليتين وهي طلب فؤاد من كمال أن يسافر.

من هذا أيضاً: خالد يحترم ليلى أكثر من عمر. فلهذا التركيب الخارجي بنيتان داخليتان هما:

(أ) خالد يحترم ليلى أكثر من (خالد يحترم عمر).
(ب) خالد يحترم ليلى أكثر من (عمر يحترم ليلى).

وبعد ذلك حدث عند تحويل هاتين البنيتين الداخليتين إلى تركيب خارجي أن حذفت العبارة المكررة وهي في (أ) (خالد يحترم) وفي (ب) (يحترم ليلى) فنتج تركيب خارجي واحد هو: خالد يحترم ليلى أكثر من عمر. ولزيادة الإيضاح أنظر إلى تحويل الجملتين:

(أ) خالد يحترم ليلى أكثر من (عمر).
(ب) خالد يحترم ليلى أكثر من (عمر).

ومن ناحية ثالثة هناك جمل لها تراكيب خارجية مختلفة، ولكن معانيها واحدة، مثل:

١ ــ المعلم أكرم التلميذ.
٢ ــ أكرم المعلم التلميذ.

---

(١) د. داود عيدة: التقدير وظاهر اللفظ. مجلة الفكر العربي، ٨ ــ ٩ / ٦ ــ ٩.

فالمعنى هنا واحد رغم اختلاف البنية الداخلية. والعلاقة بينهما تدل بوضوح على أنهما نتجتا من بنية داخلية واحدة. وأن الاختلاف الظاهري نتج من نقل إحدى المفردات من موقع إلى موقع آخر لتوكيد فكرة معينة، فإن كان هدف المتكلم أن يؤكد أن المعلم هو الذي أكرم التلميذ، فإنه يقول: «المعلم أكرم التلميذ». أما إذا أراد توكيد الإكرام فيقول «أكرم المعلم التلميذ».

ومن ناحية رابعة هناك شروط معينة على صحة البنى الخارجية للجمل حتى توصف بأنها جمل مقبولة نحوية (Grammaticalness) لا يمكن تحديدها إلا بالرجوع إلى البنى الداخلية. فكيف نفسر صحة الجملتين الأولى والثانية وعدم صحة الجملة الثالثة مما يلي:

١ ــ هذا هو الطالب الذي نجح.
٢ ــ هذا هو الطالب الذي نجحت أخته.
٣ ــ هذا هو الطالب الذي نجحت أخت المعلم.

إن صحة الجمل السابقة أو عدم صحتها مرتبطة بالضمير العائد في جملة الصلة، وهذا الأمر يتضح حين نقدر البنى الداخلية التي نتجت منها الجمل الثلاث السابقة.

١ ــ هذا هو الطالب (الذي + نجح الطالب).
٢ ــ هذا هو الطالب (الذي + نجحت أخت الطالب).
٣ ــ هذا هو الطالب (الذي + نجحت أخت المعلم).

فجملة الصلة وهي جملة تصف أساساً أحد الأسماء في الجملة الأساسية، يجب أن تحتوي على تكرار للاسم الموصوف وإلا تصبح جملة الصلة خاطئة، ومن هنا كانت الجملتان الأولى والثانية صحيحتين وكانت الثالثة غير صحيحة[1].

ومن ناحية خامسة هناك أمور أخرى تبرر تقدير بنى داخلية للجمل، منها وجود عنصر في المعنى غير متمثل في أي من المفردات الملفوظة، فحين يقال:

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ١١ ــ ١٣.

١ ــ إذهب فإننا نفهم أن المتكلم يعني إذهبْ أنت.
٢ ــ ذهبَ فإن المتكلم يعني: هو ذهب.
٣ ــ الولد الطويل كسول وأما القصير فنشيط، فإن المتكلم يعني أن الولد الطويل كسول وأما الولد القصير فنشيط[١].
٤ ــ الرجل وابنه في البيت، فإن المتكلم يعني أن الرجل في البيت وابنه في البيت.

فرغم أن المتكلم لم يلفظ كلمة أنت في المثال الأول، وهو في المثال الثاني، والولد في المثال الثالث، وفي البيت في المثال الرابع، إلا أن المعنى الذي نقل إلينا يدل على وجود هذه المفردات في البنى الداخلية للأمثلة السابقة[٢].

٧ ــ النحو التوليدي:

لكل الأسباب الخمسة السابقة رفض تشومسكي مبادىء المدرسة التوزيعية وأكد أن هدف الوصف اللغوي يجب أن يتجه إلى بناء النظرية التي تولي اهتماماً بالعدد اللامتناهي للجمل في اللغة المعينة، وتشرح ما هي تتابعات الكلمات التي تشكل جملاً نحوية صحيحة والتتابعات التي تشكل جملاً نحوية غير صحيحة وتصف البنية النحوية لكل جملة.. وأطلق على هذه النظرية فيما بعد اسم النحو التوليدي لأنها اتجهت إلى بناء الأولية التي «تولّد» الجمل في لغة معينة[٣]. وفي هذا يقول تشومسكي: «إن كل لغة تتضمن عدداً لا متناهياً من الجمل، لذا فإن كل متن، حتى إن احتوى هذا العديد من الجمل الذي تحتويه مجموعة من المؤلفات الموجودة في المكتبة الوطنية، هو متن صغير غاية الصغر. فبدل أن يدرس علم اللغة تلك المجموعة من الجمل المنتقاة انتقاء اعتباطياً، يجب أن يحدد له الموضوع الحقيقي للدراسة وهو المعرفة الضمنية التي يمتلكها المتكلم عن لغته، أي الكفاية اللغوية التي تتيح للمتكلم إنشاء وفهم الجمل التي لم يكن قد سمعها من قبل[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٤.
(٣) جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية، ص ١٢٧.
(٤) نقلاً عن جون سيرل، المرجع السابق، ص ١٢٧.

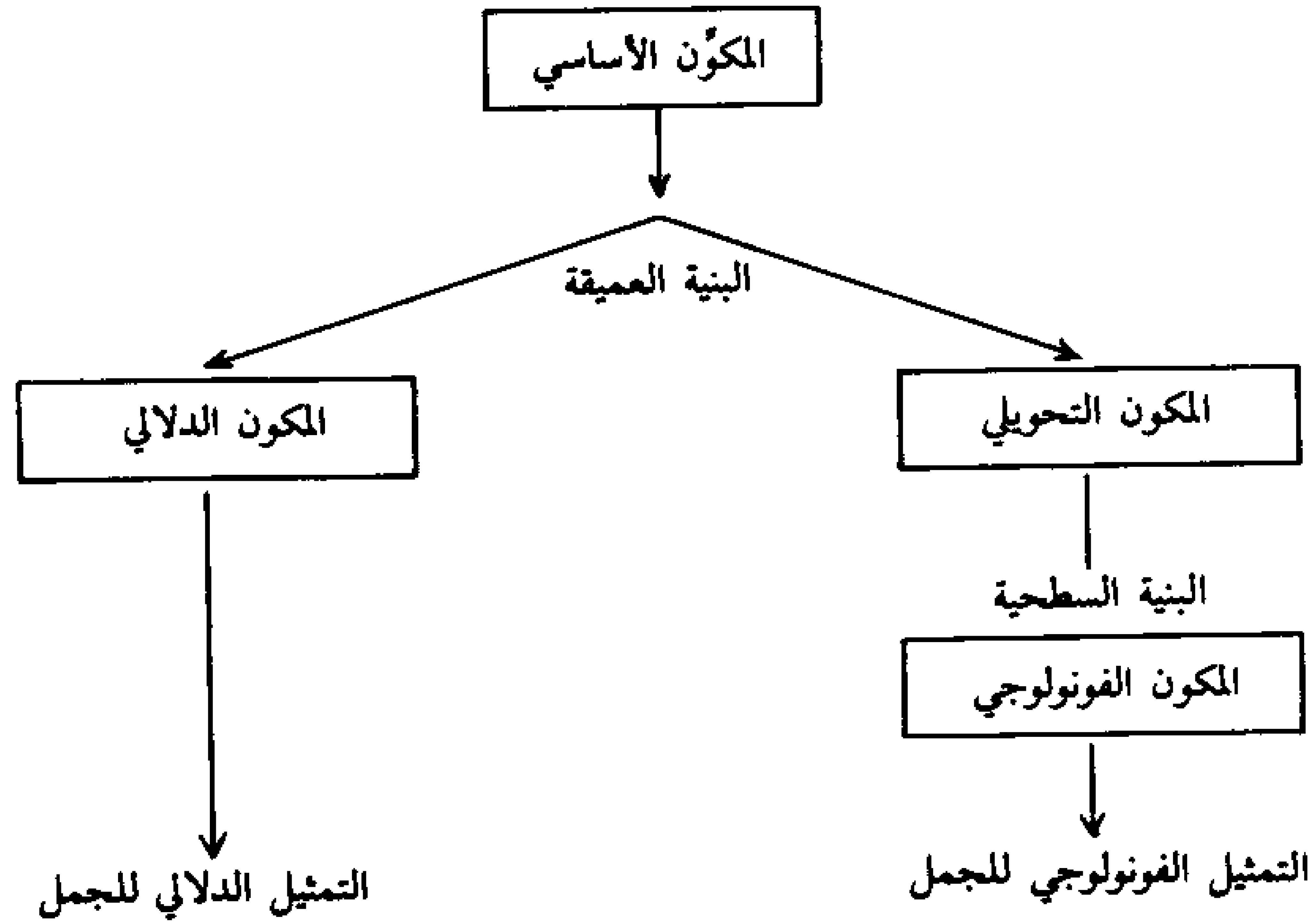
ولقد كان هدف تشومسكي من نظريته اللغوية التي عرضها في كتابه البنى التركيبية الذي أصدره عام ١٩٥٧ هو تعيين البنى الداخلية للتراكيب الخارجية، ولكن هذه النظرية أدركت النضوج في كتابه وجوه النظرية التركيبية الذي أصدره تشومسكي في عام ١٩٦٥ وأصبح هدفها هو تفسير العلاقات اللغوية القائمة في اللغة بين نظام الأصوات ونظام الدلالات. ولبلوغ هذه الغاية كان على النحو الكامل للغة المعينة أن يتضمن ثلاثة أقسام:

(أ) القسم التركيبي: وهو يشرح البنى الداخلية لعدد الجمل اللامتناهي في اللغة المعينة وتوليدها.

(ب) القسم الفونولوجي: ويشرح البنية الصوتية للجمل التي ولّدها المكوِّن التركيبي.

(ج) القسم الدلالي: وهو الذي يشرح معنى البنية.

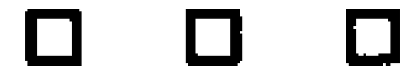
ويحتل التركيب موضع الأساس أما الفونولوجيا والدلالة فهما مجرد عاملين يصفان صوت ومعنى الجمل التي أنشأها التركيب. والرسم الآتي يوضح العلاقة بين علم التركيب وعلمي الدلالة والفنولوجيا:



٨ ـ البنية الداخلية والتركيب الخارجي والقواعد التحويلية:

عرفنا من العرض السابق أن تشومسكي اهتم في نظريته بالبحث عن البنى الداخلية لأنه يتولد منها عدد لامتناهٍ من الجمل ولأنها تفسر لنا علاقات لا يعبر عنها التركيب الخارجي للجملة، ويرى تشومسكي أنه كي يهتم النحو بهذه الوقائع فإنه يتطلب زيادة على إيضاح البنى الداخلية نوعاً آخر من القواعد، أطلق عليها اسم القواعد التحويلية، فهذه القواعد تحول البنية الداخلية أو المقدرة إلى تركيب خارجي عن طريق الاستبدال أو الإضافة أو الحذف لبعض العناصر. إن هذه القواعد تفسر لنا دلالة الجملة الواحدة على معنيين مختلفين أو اختلاف وظيفة العنصر الواحد في جملتين لتغيير في أحد عناصرها. . أو اتحاد معنى جملتين مختلفتين.

والخلاصة أن النحو عند تشومسكي يتضمن البحث عن البنية الداخلية وقواعد تحويلها إلى تركيب خارجي وتفسير التركيب الداخلي بتقدير العناصر المحذوفة فيه وإيضاح وظيفة العناصر التي تساهم في تكوينه[1].



(١) جون سيرل: تشومسكي والثورة اللغوية: ص ١٣٠ ــ ١٣١.

الفصل الخامس

علم اللغة وصلته بالعلوم الأخرى

١ ـ علم اللغة وعلم النفس:

يوضّح علم النفس للغويين كيف يكتسب الطفل اللغة ويركز على دراسة أحوال تعثر اكتساب اللغة عند الأفراد البالغين، وكان لا بد لعلماء النفس أن يتصلوا بالدراسات اللغوية لمعرفة مناهج دراستها لأن ذلك سيساعدهم على إنجاز أعمالهم، من هنا نشأ علم يجمع بينهما هو علم النفس اللغوي، ويرجع الفضل في نشأته إلى كارول (Caroll) في عام (١٩٥٣).

□ إكتساب الطفل للغة:

بدأت دراسة إكتساب الأطفال للغتهم الأم في القرن الثامن عشر، وبلغت أوج كمالها على أيدي ستيرن (Stern) وزوجته، فقد نشرا في عام (١٩٠٧) بحثاً ضمناه نتائج تجاربهما التي أجرياها على أطفالها الثلاثة حول كيفية اكتسابهم اللغة.

وفي النصف الأول من القرن الحالي، قام علماء النفس بدراسة إكتساب الطفل للغته الأم وبنوا دراستهم على أساس الافتراض إن تعلم اللغة مهما كان معقداً فإنه لا يختلف عن أي نوع آخر من التعلم، وتركزت دراسات علماء النفس في المرحلة الأولى على اكتشاف العلاقة بين إكتساب اللغة والذكاء عند الطفل، ومن رواد البحث في هذا الموضوع مَكّارتي (Maccarthy)، ثم انتقلت الأبحاث إلى ناحية أخرى وهي التركيز على النواحي النفسية في التفكير، ثم

انتقلت إلى تطور اللغة عند الطفل منذ ولادته حتى ذهابه إلى المدرسة، واتبع علماء اللغة والنفس المنهج العلمي في هذه الدراسة فبدأوا عملهم بتسجيل نطق عدد من الأطفال حديثي الولادة على فترات متقاربة، ثم كتبوا المادة المسجلة كتابة صوتية، ثم درسوا المادة المكتوبة. . . ومن التسجيلات التي ثار الجدل حولها أكثر من غيرها التسجيلات التي قام بها روجر براون (Roger Brown) وزملاؤه لثلاثة من الأطفال حديثي الولادة.

وفي عام ١٩٦٠ تطورت دراسة لغة الأطفال تطوراً ملحوظاً بسبب الثورة التي قام بها تشومسكي في علم اللغة، فلقد عرفنا في أثناء شرحنا لمنهج هذا الباحث اللغوي أنه ميز بين بنيتين للجملة هما البنية العميقة والتركيب السطحي، وأن البنية العميقة هي أساس التركيب السطحي، وأكد تشومسكي أن الطفل يولد ولديه معرفة فطرية عن العلاقات النحوية الأساسية، وقد كان لهذه النظرية نتائج عميقة لتفسير اكتساب الطفل للغته الأم.

وكان علماء النفس قبل ظهور نظرية ناحوم تشومسكي ينظرون إلى اللغة على أنها عادة مكتسبة، مثلها مثل إكتساب أي عادة أخرى، وكانوا يرون أن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة، وكانوا يرون أن سبب إكتساب الطفل لغة أبويه هو التدريب المتواصل الذي يمارسه الأبوان لتعليم ابنهما عادة الكلام ومن رواد هذه النظرية بافلون وفيجو تسكي (Vygotsky) وسكنر (Skinner). وهذه النظرية تسمى نظرية علم النفس السلوكي، وبنت هذه النظرية وجهة نظرها على أساس أن اللغة تتألف من ردود فعل أو استجابات لمثيرات خارجية، ويصبح الشكل المقبول اجتماعياً منها عادة لدى الفرد اكتسبها من والديه ومن الأشخاص المحيطين به. وكان السلوكيون يرون كذلك أن الطفل بعد أن يتعلم اللغة من والديه يتوصل إلى حفظ واختزان عدد محدد من نماذج الجمل التي يمكن مدها وتوسيعها أفقياً بطرق مختلفة مع الإبقاء على أساس كل نموذج منها. وعندما يتأثر الفرد بمؤثر خارجي يستجيب له بأحد هذه النماذج المخزونة عنده.

ولكن هذه النظرية لم تلق قبول علماء النفس في العصر الحاضر، بل هم

يؤيدون وجهة النظر التي نادى بها ناحوم تشومسكي والقائلة إن الطفل يأتي إلى هذا العالم وهو مزود بموهبة فطرية تميزه عن المخلوقات الأخرى، وهذا يعني أن الطفل يولد وعنده قدرات عامة عن طبيعة اللغة وعن العلاقات والأبواب النحوية الأساسية، كباب الفاعل والمفعول؛ وهذه العلاقات والأبواب عامة في كل اللغات الإنسانية وهناك اتجاه حديث جداً ظهر في علم النفس يرى أن الطفل يولد وعنده معلومات فطرته عن الأبواب والقواعد النحوية والدلالية والفونولوجية، وعنده القدرة على استعمال قواعد خاصة به ثم يستمر في تعديلها إلى أن تشبه القواعد التي تحكم لغة الكبار.

□ تطور اللغة عند الطفل:

أصبح من الأشياء المسلم بها في علم النفس أن البدء بالنطق والسلوك اللغوي عند الطفل يخضع لجدول زمني دقيق يمر فيه الطفل بالخطوات الآتية:

١ ــ أول ما يتعلمه الطفل هو المبادىء المتعلقة بتصنيف المفردات إلى أسر، فكلمة كرسي مثلاً تشير بالنسبة للطفل إلى أسرة الكراسي جميعاً بغض النظر عن أحجامها والمواد التي صنعت منها، ويتعلم كذلك الأسس التي تمكنه من تركيب الأصوات بعضها مع بعض لتكوين الكلمات، ثم يبدأ الطفل في نطق كلمات مفردة، ويرى (فيجوتسكي وبلوم) أن الكلمات التي يرددها الطفل في هذه المرحلة تعبر عن تراكيب نحوية كاملة.

٢ ــ بعد ذلك يبدأ الطفل بنطق جمل تتكون من كلمتين، ومن علماء النفس الذين اهتموا بدراسة هذه المرحلة لوي بلوم وأجرت تجاربها على أطفالها الثلاثة وأثبتت أن الجمل التي يتكلمها الطفل في هذه المرحلة تتكون من كلمتين تؤلف نظاماً نحوياً ثابتاً يعتمد على قواعد ثابتة، ويعبر الطفل بواسطتها عن علاقات معينة كعلاقة الفاعل والمفعول به.

٣ ــ بعد ذلك يبدأ الطفل توسيع جملته لتشمل أكثر من كلمتين.

□ اللغة والأمراض النفسية:

كان من ثمرة التعاون بين علماء اللغة وعلماء النفس أن استطاع علماء

النفس الاستفادة من مبدأ تقسيم اللغة إلى قسمين، الأول: هو اللغة ويعني النظام الكامن في الذهن أو إن شئت قلت الهيكل العظمي للغة؛ والثاني: هو الكلام وهو التعبير الفعلي عن النظام الذهني... ولما استفاد علماء النفس من هذا التقسيم اللغوي راحوا يحددون منطقة اللغة ومنطقة الكلام في مخّ الإنسان... فوجدوا أن مركز النطق يقع في المنطقة اليسرى من الدماغ التي تسمى منطقة بروكا (Broca's Area) أما مركز اللغة أو القدرة اللغوية كما يسميها تشومسكي فيوجد في منطقة أخرى من الدماغ تسمى منطقة فيرنيكه (Wernica's Area).

وبالتالي إذا أصيب الإنسان في المنطقة الأولى فإنه سيصاب بخلل في نطق الأصوات أو في التركيب النحوي للجملة أما إذا أصيب في المنطقة الثانية فإن المصاب سيجد صعوبة في اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن الموقف المعين الذي يواجهه كما سيجد صعوبة في فهم ما يسمع أو يقرأ. وهذا هو المرض الذي يسميه العلماء بالأفازيا (Aphazia).

٢ ـ علم اللغة وعلم الاجتماع:

يتصل علم اللغة بعلم الاجتماع، وذلك أن اللغة تساعد على الاتصال بين أعضاء المجتمع الواحد، من هنا نشأ فرع في علم اللغة يسمى علم الاجتماع اللغوي، ويهدف هذا العلم إلى أيضاح تأثير المجتمع على اللغة.

ويتمثل ذلك فيما يلي:

١ ـ أدى انقسام المجتمع إلى عدة طبقات، طبقة عليا، وطبقة متوسطة، وطبقة دنيا إلى نشوء ثلاث مستويات للغة الواحدة، فللمثقفين لغتهم، وللأدباء والمفكرين لغتهم الخاصة وللطبقة الدنيا لغتها الخاصة.

من ذلك مثلاً تقسيم لغة جاوا إلى ثلاث مستويات حسب الطبقات التي يتكون منها هذا المجتمع، وهي لغة الطبقة الدنيا وتسمى (Ngoko).

ولغة الطبقة الراقية وتسمى (Krama) ولغة الطبقة المتوسطة وتسمى (Dmaclya).

ولكل مستوى لغوي من هذه المستويات مميزاته الخاص، ولقد درس فندريس لغة الأشقياء والخارجين على القانون في فرنسا فوجد أنها تمتاز بغنى ملحوظ في: التعبيرات التي تشبع الغرائز المادية والصفات المذمومة التي تنطوي على الجريمة كالسرقة والزنا والسكر، من ذلك مثلاً أنها تحتوي على ثمان عشرة كلمة تعبر عن الأكل، وعشرين كلمة تعبر عن الخبز، وأربعين كلمة تعبر عن السكر، واثنتي عشرة كلمة تعبر عن الشرطي لخوفهم الدائم منه، ومن أمثلة مصطلحاتهم الخاصة، أنهم سموا السجن معهداً والبؤس فلسفة، والحذاء البالي فيلسوفاً والرجل المستقيم بسيطاً، أما السيدة الفاضلة فلم يعبروا عنها بكلمة واحدة.

وأوضح (فندريس) أن الدارس الممعن للنظر لا يكتفي بتقسيم المستويات اللغوية إلى ثلاثة، بل إن التقسيم أكثر من ذلك، لأن لكل جماعة لغتها الخاصة، فلتلاميذ المدارس لغتهم الخاصة، بل إن هذه اللغة تختلف بإختلاف الفصول، ولكل أصحاب حرفة معينة لغة خاصة كعمال المناجم والصيادين والنجارة. وأوضح كذلك أن المجتمع له قوي قاهرة على اللغة، ذلك أنه إذا حاول فرد الخروج على إحدى الظواهر اللغوية في لغته فإنه سرعان ما يشعر برد فعل مضاد من مجتمعه يتمثل في التهكم عليه أو السخرية، ونشعر بذلك عندما نتكلم الفصحى أمام الأميين أو العكس[٢].

ولكن هناك أساليب خمسة يستطيع الفرد أن يستعملها دون أن يسخر منها المجتمع، ولقد حدد هذه الأساليب مارتن جوس (Martin Joos)، وهي:

(أ) **الأسلوب الجامد**: وهو الذي يستعمل فيه كلام رسمي كأسلوب الخطب الرسمية والصلوات والأدعية الدينية وتلاوة الكتب الدينية.

---

(١) د. رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة. القاهرة ١٩٨٠.

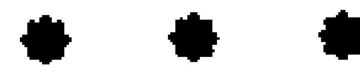
(٢) فندريس، اللغة، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة ١٩٥٠، ص ٣١٥ ــ ٣٢٥.

(ب) الأسلوب الرسمي: وهو الأسلوب الذي يُعد إعداداً جيداً ويُقرأ بعناية بالغة، كعدد من برامج الإذاعة والتليفزيون والمحاضرات الجامعية.

(ج) الأسلوب الاستشاري: وهو أسلوب فيه كثير من الأسلوب الرسمي ولكن لا يخطط له المتكلم بعناية وفيه يتجنب استعمال العبارات المقننة، ويستخدم هذا الأسلوب مثلاً بين الحاكم ومستشاريه أو وزرائه عندما يناقشون بعض أمور الحكم.

(د) الأسلوب العادي: وهو الأسلوب الذي يستعمله الأصدقاء فيما بينهم، وهذا الأسلوب يفترض خلفية من المفاهيم والمعلومات المشتركة بين المتحادثين ويستعمل فيه كثيرة من اللغة السائدة في طبقة المتحدثين.

(هـ) أسلوب الألفة الشديدة: وهو أقل الأساليب رسمية ويتألف عادة من أشباه جمل ومفردات وإيماءات وتستخدم فيه اللغة الشائعة في طبقة المتحدثين[1]، ويستعمل بين الأحباب والأزواج وأفراد الأسرة الواحدة.
ويستطرد جوس القول فيقول: كثيراً ما يقرر المتكلم أن يستعمل أسلوباً معيناً بغض النظر عن المقام، ويكون هذا إما لإثبات هوية المتكلم، وغالباً ما يكون ذلك بقصد التعالي أو إشعار المستمعين بأهمية المتكلم، أو يقرر أن يستخدم المستوى اللغوي الخاص بأبناء الطبقة أو الشريحة الاجتماعية التي تعلوه مباشرة بقصد التشبه بهم»[1].



٢ ــ تختلف اللغة باختلاف سن الأفراد الذين يكونون المجتمع المعين:

تطور لغة الفرد أثناء مراحل نموه المختلفة، وقد رأينا أن الطفل عندما يكتسب اللغة يجتاز عدة مراحل، تبدأ بمرحلة المناغاة التي يصدر فيها الطفل أصواتاً غير محددة للتعبير عما يشعر به من جوع أو ألم أو مرض، ثم ينتقل بعد ذلك إلى تكوين جمل تتكون من كلمة واحدة، فكلمتين، فعدة كلمات، والطفل خلال هذه المراحل الثلاث يتكلم لغة تسمى بلغة الأطفال، فالكلمات التي يستخدمها

---

(١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، دار المعرفة، الكويت، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٥.

دائمًا هي «أمبو» للدلالة على الماء... و«مح» للدلالة على اللحم و«كخ» للدلالة على القذارة و«دح» للدلالة على الشيء الجديد و«تاتا» للدلالة على المشي. وعندما يبلغ الطفل سن الخامسة أو السادسة يكون قد تمكن من قواعد لغته واكتسب عدداً كبيراً من المفردات قبل أن يدخل المدرسة، وهنا يطرأ على لغته تغير كبير فهو يبدأ في تعلم اللغة الراقية تدريجياً، ويبدأ من ناحية أخرى يحتك مع زملائه من الأطفال القادمين من مستويات مختلفة فتتأثر لغته بما يسمع وبالتالي يبدأ الطفل في استخدام لغة لها طابع مختلف عما كان يستخدمه قبل دخول المدرسة، وتستمر اللغة في التطور مع تطور الطفل وتختلف عندما يجتاز مرحلة المراهقة فيستخدم تعبيرات ومفردات مغرقة في العامية، (Slang) ثم تتطور لغته مرة أخرى في فترة نضوجه.

من هذا نستنتج أن لكل مرحلة يمر بها الطفل لغة تتناسب معها وبالتالي سيكون خصائص تختلف عن لغة المرحلة الأخرى التي يمر بها الطفل... ويعرف كل فرد في المجتمع القواعد التي تحكم استعمال اللغة في كل مرحلة من المراحل التي يمر بها الطفل. وإذا حدث أن خرق أحد الأفراد إحدى تلك القواعد فإنه سيكون عرضة لنقد الجميع كما رأينا ذلك فيما سبق[1].

٣ ــ تختلف اللغة باختلاف الجنس: من الفروق الملحوظة بين الجنسين، المذكر والمؤنث، أن أصوات الإناث أكثر حدة وأعلى طبقة من أصوات الرجال، كما أن النساء أكثر وضوحاً في النطق من الرجال وأكثر منهم حرصاً على النطق السليم للمفردات والجمل. والنساء أيضاً محافظات في استعمال اللغة أكثر من الرجال. ويستعمل النساء بعض المفردات التي لا يستعملها الرجال عادة، من ذلك استعمالهن لعدد كبير من الألوان، مثل موف وتركواز وبيج وزهري وبني، فهذه المفردات نادراً ما يستخدمها الرجال. وتمتاز لغة النساء بأنها تزخر بالصفات التي تعبر عن قوة العاطفة سواء أكانت حقيقية أم تستعمل من باب المجاملة[2].

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٤٠.

الباب الثالث

المنهج الوصفي

- الفصل الأول: الأصوات.
- الفصل الثاني: المورفيم، والمورفولوجيا.
- الفصل الثالث: النحو الشكلي.
- الفصل الرابع: النحو التحويلي والتوليدي.

مقدمة:

علم اللغة الوصفي أساسي لبحث مناهج علوم اللغة الأخرى، أي علم اللغة التاريخي وعلم اللغة المقارن، ويقوم علم اللغة الوصفي بتحليل اللغة في ضوء المستويات الآتية:

١ ــ مستوى الأصوات.
٢ ــ مستوى الصرف.
٣ ــ مستوى النحو.
٤ ــ مستوى الدلالة.

ويهتم بدراسة اللغة في فترة تاريخية معينة، ولا يهتم هذا المنهج إلا باللغة المتكلمة، ويتجنب عادة الاعتماد على المادة المكتوبة أو على القواعد النحوية القديمة[1] لأنها أسست على معايير يرفضها هذا المنهج مثل التعليل والافتراض والتأويل.

ويعتمد عالم اللغة الوصفي في دراسة اللغة المعينة على تزويده بأحد أبناء هذه اللغة، ويعرف باسم الراوي اللغوي، ودرجة الثقافة المطلوبة في الراوي اللغوي أمر نسبي فإذا كان اللغوي يبحث في لغات مجتمع متخلف فلا معنى

---

(١) ماريو باي: أسس علم اللغة. ترجمة د. أحمد مختار عمر، طرابلس، ص ٧٣.

إطلاقاً لإثارة مثل هذا السؤال أما بالنسبة للغات المجتمعات المتحضرة فهؤلاء الرواة يمكن أن ينتقوا من بين من يحسنون تمثيل المستوى اللغوي المراد تحليله، فإذا أراد دراسة اللغة العربية الفصحى فإن الراوي يختار من بين الطبقات المثقفه ثقافة عالية من أمثال أساتذة الجامعات أو الأدب، أو المحامين أو غيرهم من المثقفين.

(١) نفس المرجع السابق، ص ٣٦.

الفصل الأول

الأصوات

مقدمة (الفوناتيك، والفونولوجيا):

إذا حاولنا تحليل شريحة لغوية سنجد أنها تتكون من جمل... وإذا أردنا تحليل الجملة سنجد أنها تتكون من عدد من الكلمات، وإذا حللنا الكلمة سنجد أنها تتكون من عدد من الحروف وكل حرف يرمز إلى صوت معين.

وإذا سئل لغوي عن صوتين، هل هما متشابهان أم مختلفان؟ أو كم صوتاً في لغة معينة، كالعربية مثلاً، هنا نجد أن اللغوي قبل الإجابة عن هذا السؤال يحدد أياً من هذين السؤالين يتعلق بالمادة وأيها يتعلق بالشكل... فإذا كان السؤال يتعلق بالمادة فهذا يعني أنه يتعلق بالعناصر التي يتكون منها هذه الصوت، وبتعبير آخر الذبذبات التي يتكون منها هذا الصوت، وأنواعها والحزم الصوتية التي يضمها هذا الصوت وما دام الموضوع هنا يتعلق بتحليل مكونات الصوت المعين فإن البحث هنا لا يرتبط بلغة معينة، أما إذا كان السؤال يتعلق بالشكل فهذا يعني أنه يتعلق بالوظيفة التي يؤديها هذا الصوت في لغة معينة.

والعِلْمُ الذي يدرس الأصوات من حيث المادة هو علم الفوناتيك، أما العلم الذي يدرس الصوت من حيث الشكل أي الوظيفة التي يؤديها في لغة معينة هو علم الفونولوجيا، ومجال البحث في علم الفوناتيك هو الصوت المجرد الذي تنتجه أعضاء النطق عند الإنسان ومجال البحث في علم الفونولوجيا هو

الصوت الذي تكون له وظيفة تمييـز معاني الكلمات، وهو الذي يسمى باسم الفونيم[1].

(١)
الفوناتيك

يهتم هذا العلم ببحث الصوت الإنساني من ثلاث نواح هي:

علم الأصوات الأكوستيكي؛ علم الأصوات النطقي؛ وعلم الأصوات السمعي.

وأقدم هذه الفروع علم الأصوات النطقي وأحدثهـا علم الأصوات السمعي، ولا يزال علم الأصوات السمعي في دور نشأته، لذلك لن نتعرض إليه في هذا البحث.

١ ـ علم الأصوات الأكوستيكي:

يهتم هذا العلم بدراسة انتاج الصوت وانتقاله في الهواء.

يعتمد إنتاج الصوت على ثلاث عوامل هي:

١ ـ مصدر طاقة.
٢ ـ جسم يتذبذب.
٣ ـ حجرة رنين لضبط الذبذبات وتكييفها[2].

تنتقل الذبذبات الصوتية بسهولة خلال الهواء، وتشكل الذبذبات الصوتية حدثاً كيماوياً، فهي تضم موجات من الطاقة ناشئة من الجسم المتذبذب وتنقل من ذرة هوائية إلى أخرى، وتتحرك موجات الطاقة بعيداً عن الجسم المتذبذب في شكل دوائر مختلفة القطر.

ويتكون الهواء من مجموعة من الغازات ومن أهم خواص الغاز أنه يمكن أن يتكثف ويتخلخل، فعندما يتكثف يزداد الضغط الهوائي، ويسمى بالضغط

---

(١) Leyons, Introduction to Theoretical Ling. p. 99-100.

(٢) د. كمال ابراهيم بدري: علم اللغة المبرمج. جامعة الرياض ١٤٠١هـ، ص ١٢.

الإيجابي وعندما يتخلخل يقل الضغط الهوائي، ويسمى الضغط السلبي، وظاهرة تكثف الهواء وتخلخله تحدث عندما تنتقل فيه ذرات الجسم المتذبذب، والضغطان السالب والموجب يختلفان عن الضغط العادي، هذه الظاهرة تفسر لنا كيف ينتقل الصوت في الهواء، فعندما نتكلم نخرج ذبذبات صوتية من فمنا، وخروجها إلى الهواء يؤدي إلى تحريك ذراته من الضغط العادي إلى الضغط الإيجابي فتتركز هذه الذرات معاً، ثم تتجاذبها منطقة الضغط السلبي فتتفرق الذرات ثم تتجاذبها منطقة الضغط الإيجابي فتمر أولاً في منطقة الضغط العادي.

وهكذا يستمر تحرك الذرات بين منطقتي الضغطين السلبي والإيجابي إلى أن تصل هذه الذرات إلى أذن السامع.

ولتسهيل دراسة انتقال الصوت سنركز جهودنا الآن على تذبذب الجزيء الواحد.

□ **الذبذبة الصوتية**: إن نماذج تذبذب الهواء في الأصوات الكلامية معقدة للغاية، لهذا نفضل التركيز على أبسط أشكال الصوت، أي الأصوات التي تمتاز بأشكال بسيطة من الذبذبة، كالشوكة الرنانة مثلاً، عندما نطرق ذراعي الشوكة الرنانة، فإنها تبدأ في التذبذب بانتظام، وكل ذراع سيتحرك أولاً في إتجاه ما نحو مسافة معينة ثم يعود إلى وضع الراحة، ويطلق على تحرك الذراع من نقطة الراحة إلى اتجاه ما ثم عودته إليه نقطة الراحة، ثم تحركه إلى نقطة عكسية للنقطة(١) الأولى ثم عودته إلى وضع الراحة اسم الذبذبة الصوتية الواحدة.

□ **الموجة**: يُطلق على مجموع الذبذبات المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى اسم الموجة الصوتية.

□ **التردد**: يقصد به عدد الذبذبات التي ينتجها الجسم في الثانية الواحدة.

---

(١) Derek, Phonetics, p. 12-13, O'Conor, Phonetics, p. 12.

□ **الدرجة**: يقصد بها عدد الذبذبات التي تسمعها الأذن في الثانية الواحدة، ذلك أن الأذن لا تسمع كل الذبذبات التي ينتجها الجسم، ولكل متكلم درجة صوتية معينة لا يستطيع أن يتعداها[1].

□ **طبقة الصوت**: يقصد بها المحيط الذي ينتقل فيه الصوت من أقل درجة إلى أعلى درجة، والصوت المدرّب هو الذي يجيد الانتقال من أقل درجة يستطيع إنتاجها إلى أعلى درجة.

□ **الرنين**: إن أي فراغ يقوم بدور في تحديد طبقة الصوت.

وهذا معناه أنه يتسبب إما في وصول درجة الصوت إلى الحد الأقصى أو الأدنى لها، ويعتمد هذا على حجم الفراغ وشكله[1].

ويوجد عند الإنسان ثلاث غرف للرنين هي الحنجرة والفراغ الفموي والفراغ الأنفي[2].

٢ ــ علم الأصوات النطقي:

علم الأصوات النطقي أقدم فروع علم الأصوات، ويهتم بإنتاج الصوت من الجهاز الصوتي عند الإنسان، وبالطبع لا يهتم هذا العلم بالاختلافات الفردية في نطق الأصوات أو بالاختلافات بين صوت الرجل والمرأة أو بين صوت الولد والبنت.

(أ) الجهاز الصوتي عند الإنسان:

إن قيام هذا الجهاز بإنتاج الأصوات يمثل دوراً ثانوياً من بين نشاطات هذا الجهاز فهو يقوم بالأكل والشرب والبلع والتنفس.

ويتكون هذا الجهاز مما يلي:

١ ــ **الرئتان**: وتقومان بدور المنفاخ الذي يبث هواء الزفير ويطرده خارج جسم الإنسان.

---

(١) د. عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، ص ١٠١ ــ ١٠٢.
(٢) د. كمال بدري: علم اللغة المبرمج. ص ٢٢ ــ ٢٥.

٢ ـ **القصبة الهوائية**: وهي أنبوب يتكون من غضاريف مرنة تلي الرئتين.

٣ ـ **الحنجرة**: تقع في نهاية القصبة الهوائية، وهي عبارة عن غرفة تعتمد على ثلاثة غضاريف ويمتد أعلى هذه الغرفة غشاءان مرنان مثبتان من الأمام، من خصائص هذين الغشاءين أنهما يمكن أن يرتخيا أو ينشدا، وتسمى الفتحة التي بين هذين الغشائين فتحة المزمار.

وعندما يرتخي الغشاءان تأخذ فتحة المزمار شكل (V) ويمر الهواء الصاعد من الرئتين بينهما دون عائق يذكر، وحينئذ لا يكون هناك صوت. ويحدث هذا الوضع عند الأكل أو الشرب أو عند النوم.

وقد ينشد هذان الغشاءان فينطبقان، وبذلك يغلقان ممر الهواء ثم يبتعدان فجأة فيسمع صوت إنفجاري يطلق عليه الهمزة، ومن ثم توصف بأنها وقفة مزمارية وقد ينشد الوتران الصوتيان ويكونان في وضع متوتر وتكون فتحة المزمار في هذه الحالة متوسطة، فلا هي مفتوحة إلى أقصى حد ولا هي مغلقة غلقاً تاماً فيكون هذا الوضع الملائم للكلام، ولانتاج الأصوات، وقد يقترب الوتران الصوتيان وتضيق الفتحة بينهما، وفي هذه الحالة يتسبب الهواء الخارج من الرئتين في تذبذبهما فيكون للصوت الناتج درجة معينة.

٤ ـ **تجاويف ما فوق المزمار**: وتشمل ما يلي:

(أ) تجويف البلعوم: (Pharynx).
(ب) تجويف الفم: (Oral Cavity).
(ج) تجاويف الأنف: (Nasal Cavity).

إن شكل وحجم تجاويف الأنف ثابتان، أما تجويف الفم فتتغير بصورة كبيرة في الشكل والحجم عن طريق تحريك اللسان الذي يشغل الأرضية بالنسبة له. ويبدأ تشعب مجرى الهواء في الزور (Throat) فوق

الحنجرة، فيتجه إما إلى فتحة الأنف أو فتحة الفم، وتوجيه الهواء يتم عن طريق صمام مستقر عند نقطة تشعب الطريق(١).

٥ ـ **سقف الفم**: يسمى سقف الحنك (Palate). وينقسم إلى:

(أ) اللثة (أصول الثنايا) (Alxeolae, gum ridge, Tooth-ridge) وتقع خلف الأسنان الأمامية مباشرة، وتشكل الجزء البارز من الحنك الصلب وفوق الأسنان الموجودة في الفك الأعلى.

(ب) الحنك الالتوائي (Pretroflex) وهو منطقة محدبة.

(ج) الحنك الصلب (Hard Palate) وهو غير متحرك وصلب.

(د) الحنك اللين (Soft Palate) أو (Velum) وهو جزء عضلي متحرك يمكن رفعه رفعاً كاملاً حتى يتصل اتصالاً كاملاً مع الجانب الخلفي لفراغ البلعوم، ويغلق تبعاً لهذا الطريق إلى الأنف، ولذا فهو الذي يحدد ما إذا كان الصوت أنفياً (حينما يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف) أو فموياً (حينما يمر الهواء خلال الفم فقط). وحينما يرتفع الحنك اللين يسمى الصوت الناتج فموياً، وحينما ينخفض يسمى الصوت الناتج أنفياً(٢).

٦ ـ **اللسان**: ينقسم إلى:

(أ) حد (Tip) أو (Apex) أو (Point).

(ب) طرف (Blade) وهي القطعة التي تستلقى في حالة الراحة ضد اللثة، وربما تحركت في اتجاه الأسنان أو اللثة أو الطبق.

(ج) مقدمة (Front): وهي القطعة التي تستلقى في حالة الراحة ضد الجزء الأمامي للحنك الصلب، وربما تحركت ضد اللثة أو الحنك الصلب أو الحنك اللين.

---

(١) د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي. القاهرة ١٩٨١/٨٣ ـ ٨٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٥ ـ ٨٦.

(د) مؤخرة (Back) أو (Dorsum) وهي القطعة التي تستلقي في حالة الراحة ضد الحنك اللين.

(هـ) أصل اللسان (Root) وهو الذي يشكل الحائط الأمامي للبلعوم، ويؤثر هذا الجزء في إنتاج الأصوات عن طريق تغيير شكل وحجم تجويف البلعوم.

٧ ـ **الشفتان**[١]:

الجهاز النطقي

١ ـ الشفتان: (Lips).
٢ ـ الأسنان.
٣ ـ اللثة.
٤ ـ الحنك الالتوائي.
٥ ـ الحنك الصلب.
٦ ـ الحنك اللين.
٧ ـ اللهاة.
٨ ـ طرف اللسان.
٩ ـ مقدمة اللسان.
١٠ـ مؤخرة اللسان.
١١ـ البلعوم.
١٢ـ لسان المزمار.
١٣ـ موقع الأوتار الصوتية.
١٤ـ حد اللسان.

---

(١) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ٨٧.

(إنتاج الصوت):

ينتج الصوت اللغوي بعد أربعة مراحل، هي:

□ المرحلة الأولى:

١ ـ خروج الهواء من الرئتين ومروره في جهاز النطق عند الإنسان، يقول د. صفي بن عيسى في كتابه علم النفس اللغوي «عندما يستعد الإنسان للكلام العادي يستنشق الهواء فيمتلىء صدره به، وإذا أخذ في التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتي، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للصوت، وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى. فإذا فرغ منها فإن عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعداداً للنطق بالجملة التالية»[1].

٢ ـ اعتراض مجرى الهواء في نقطة معينة على طول الجهاز النطقي عند الإنسان، والنقطة التي يعترض عندها الهواء تسمى المخرج، ويتم هذا الاعتراض نتيجة لتوفر عضوين من أعضاء النطق، أحدهما ثابت والآخر متحرك، والعضو الثابت هو سقف الفم بأقسامه والعضو المتحرك هو اللسان بأقسامه.

وأهم المخارج يمكن حصرها في الجدول الآتي ويوضح الجدول الأعضاء اللازمة لتكوين هذا المخرج:

---

(١) نقلاً عن د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. القاهرة ١٩٨١، ص ٩١.

المخرج	أعضاء النطق	
	العضو الأسفل	العضو الأعلى
١ ــ الشفوي:		
(أ) شفوي	الشفة السفلى	الشفة العليا
(ب) شفوي أسناني	الشفة السفلى	الأسنان العليا
٢ ــ مقدم الفم:		
(أ) أسناني	طرف اللسان	الأسنان العليا
(ب) لثوي	طرف اللسان	اللثة (مغارز الأسنان)
(ج) التوائي	طرف اللسان	الحنك الإلتوائي
٣ ــ وسط الفم:		
(أ) الحنك الصلب	مقدم اللسان	الحنك الصلب
(ب) الحنك الرخو	مؤخر اللسان	الحنك الرخو
٤ ــ اللهاة	مؤخر اللسان	اللهاة
٥ ــ الحلق		

هناك مجموعة من الأصوات تنتج في منطقة الحلق والحنجرة، ولا يقوم الفم والأنف بدور فيهما سوى تشكيل الصوت بمعنى أنه لا يوجد أي عائق في الفم ينتج احتكاكاً أو أي صوت يمكن إدراكه وأطلق جليسون على هذا النوع اسم الأصوات الرنينية. ومن ناحية أخرى يتم إنتاج الأصوات الحلقية عن طريق تقريب الحائطين الأمامي والخلفي للحلق، أو بعبارة أخرى جذر اللسان ومؤخر الفم(٢).

أما انتاج الأصوات الحنجرية فيتم في منطقة فتحة المزمار، وقد يتم الانتاج عن طريق غلق الفتحة فيحدث صوت الهمزة أو عن طريق تضييقها فيحدث صوت الهاء. وهناك أصوات يتسرب الهواء معها من الأنف فقط، ويكون دور الفم هو دور حنجرة الرنين، فيؤثر حجمه وشكله في الرنين المصاحب لنطق الصوت.

---

(١) أنظر جلسون، .Gleason, Descriptive Linquistics p. 250-260

(٢) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ٩٤.

وهذه الأنفيات تحدد أماكن نطقها عن طريق تحديد مواقع الغلق في الفم، ولذا تنسب إليها. والأنفية كما أوضحنا سابقاً خفض الحنك الرخو ليمر الهواء حراً إلى تجويفات الأنف[١].

ويرى جليسون أن الأنفيات تملك تركيباً حزمياً مماثلاً لذلك الذي تملكه الحركات نتيجة الممر الحر لها خلال الأنف، وإن كانت الحزم مع الأنفيات أضعف لوجود الغلق في الفم[٢].

المخارج الرئيسية

١ ــ شفتاني: (Bi Labial).
٢ ــ شفوي أسناني: (Labio Dental).
٣ ــ أسناني: (Dental).
٤ ــ لثوي: (Alveolar).
٥ ــ التوائي: (Petroflex).
٦ ــ حنكي: (Palatal).
٧ ــ حنكي رخو: (Velar).
٨ ــ لهوي: (Uvular).
٩ ــ حلقي: (Pharyngal).
١٠ــ حنجري: (Glottal).

(١) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ٩٤.
(٢) Gleason, Descriptive Linquistics, p. 157.

□ **المرحلة الثانية:**

اعتراض مجرى الهواء في مخرج من المخارج التي حددناها سابقاً، وهذا العائق قد يكون واحداً مما يلي:

١ ــ **عائق تام:** يمنع مرور الهواء عند أي مخرج من المخارج التي تحدثنا عنها، ثم يزول هذا العائق بسرعة، وهكذا يندفع الهواء الخارج بانفجار شديد، ويسمى الصوت الناشيء صوتاً انفجارياً مثل ب، ت، ك.

٢ ــ **عائق غير تام:** لا يُمنع مرور الهواء عند أي مخرج من المخارج السابقة ولكن الهواء يحتك بمكان التضييق ويسمى الصوت الناتج صوتاً احتكاكياً. وتمتاز الأصوات الاحتكاكية بأنها تستغرق وقتاً في نطقها لهذا توصف بأنها استمرارية (Continuants) والأصوات الاحتكاكية نوعان هما:

نوع يكون احتكاك الهواء في مكان التضييق قوياً لضيق المنفذ وتسمى الأصوات الناتجة أصواتاً صفيرية. ونوع آخر يكون احتكاك الهواء في مكان التضييق ضعيفاً لإتساع المنفذ إلى حد ما وهذا هو الصوت الاحتكاكي العادي. أما جليسون فيري خلاف ذلك، وقد بنى رأيه على شكل طرف اللسان، فعند نطق الأصوات الصفيرية ينخفض طرف اللسان ويرتفع مقدمه، وبالتالي فإن اللسان يأخذ شكل الأخدود، وهذا سيؤثر على تيار الهواء المار بهذه المنطقة، إذ أنه سيجعله أقوى مما لو مر بطريقة عادية. ويسمى هذه الأصوات بالأصوات الأخدودية، أما النوع الثاني من الأصوات الاحتكاكية فعند النطق به يأخذ طرف اللسان وضعه العادي وهو الوضع الطولي وهكذا فإن تيار الهواء اللازم لنطق مثل هذه الأصوات سيمر من منطقة التضييق مروراً عادياً ولذلك يسمى هذه الأصوات بالأصوات الاحتكاكية الطولية[١].

٣ ــ **عائق يكون تاماً في مرحلة من انتاج الصوت ثم يكون غير تام في مرحلة أخرى،** ويسمى الصوت الناتج صوتاً مركباً (Affricate). معنى هذا أن

---

(١) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ٩٨ ــ ٩٩،

Gleason, Descriptive Linguistics, p. 157.

نطق هذا الصوت يبدأ بتكوين عائق يعترض مرور الهواء، إلاّ أنه يحدث أن العضوين اللذين يكونان هذا العائق لا ينفصلان انفصالاً سريعاً، وإنما ينفصلان ببطء، وفي الانفصال البطيء مرحلة بين الانسداد المطلق والانفتاح المطلق، وهذه المرحلة تسمح للصوت بأن يحتك بالعضوين المتباعدين ببطء، لذا فهذا الصوت يجمع بين صفتي الانفجار والاحتكاك. وهذا الصوت في العربية الفصحى هو (ج)[1] وفي الإنجليزية (ʃ t) «تش» كما في (Church).

٤ ــ **عائق جزئي**: وهو عبارة عن عائق تام ولكنه جزئي في منطقة يصحبه فتح جزئي في منطقة أخرى، ويشمل ذلك:

(أ) الصوت الجانبي مثل اللام ويتم إنتاجها عن طريق عائق تام في وسط تجويف الفم، ويوجد مجرى جانبي لتيار الهواء حول أحد جانبي العائق.

(ب) الأصوات الأنفية مثل: م و ن.

٥ ــ **عائق متكرر**، وأشهر مواقعه:

(أ) اللهاة: وتنتج صوتاً لهوياً مكرراً وهو صوت شائع في الفرنسية والألمانية والبرتغالية.

(ب) طرف اللسان مع اللثة وينتج صوتاً لسانياً مكرراً هو الراء في العربية.

وشرط التكرار أن يتذبذب العضو أكثر من مرة. ويختلف عدد الذبذبات من لغة إلى أخرى، ولكنه عادة يتراوح بين ذبذبتين وأربع[2].

☐ **المرحلة الثالثة**:

تشمل التعديلات الثانوية التي يمكن أن تطرأ على الصوت بعد تكوينه وهذه التعديلات خمسة هي:

---

(١) د. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة. القاهرة سنة ١٩٨٠، ص ٣٢ ــ ٣٣.

(٢) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ٩٩ ــ ١٠٢.

١ ـ التأنيف: (Nasalization).
٢ ـ التغوير: (Platalization).
٣ ـ الإطباق: (Velarization).
٤ ـ شكل الشفتين: (Shape of Lips)[١].

١ ـ **التأنيف**: فيعني تسرب الهواء من الأنف مع استمرار تسربه من الفم وذلك كما يحدث في نطق بعض الحركات. فتنطق الفتحة أنفية عندما يتلوها صوت أنفي مثل عَنْ[٢].

٢ ـ **التغوير (Palatalization)**: فيعني أن يصحب نطق الصامت رفع مقدم اللسان في اتجاه الحنك الصلب (Palatal) وهو الوضع المميز لنطق صوت الـ (i) ولا يصح الخلط بين الأصوات المغورة (Palatalized) والأصوات الحنكية (Palatal) فالأخيرة تنتج عن طريق نطق مفرد في منطقة الحنك الصلب أما الأولى فيجتمع فيها النطق الحنكي مع نطق آخر معين[٣].

٣ ـ **الإطباق**: ففيه يُرفع مؤخر اللسان في اتجاه الحنك الرخو، وفي اللغة العربية توجد أربعة أصوات مطبقة هي: ص. ض. ط. ظ، ويفضل سليمان العاني وصف هذه الظاهرة بالتحليق لأن اللسان يرتفع نحو الخلف أي نحو الحلق[٤].

٤ ـ **شكل الشفتين**: يحُدد شكل الشفتين نوع الحركة، فالشفتان قد تكونان مستديرتين وهنا تكون الحركة خلفية (u, o) وقد تكونان منبسطتين وهنا تكون الحركة أمامية (i, e)[٥].

---

(١) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ١٠٢.
(٢) أنظر قسم الفنولوجيا، ص ٧٢.
(٣) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ١٠٣.
(٤) د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ١٠٤،
Salman Sal'ani, Arabic Phonology, p. 80.
(٥) Robens, general linguitics, p. 84.

□ المرحلة الرابعة (أوضاع فتحة المزمار):

عند الكلام تكون فتحة المزمار ليست في أقصى انفتاح لها أو انغلاق لها، بل تكون في وضع متوسط وتكون الأوتار الصوتية مشدودة، والفراغ بينهما ضئيل، عندئذ يتسبب الهواء الخارج من الرئتين في تذبذب هذين الوترين ويوصف الصوت الناتج عن تذبذب الوترين بأنه مجهور وقد يكون الفراغ بين الوترين واسعاً قليلاً فلا يتسبب الهواء في تذبذب الوترين، ويوصف الصوت الناتج عن عدم تذبذب الوترين بأنه مهموس[1].

تصنيف الأصوات إلى حركات وصوامت:

(أ) معنى التصنيف:

الكلام الإنساني عملية مستمرة لا تنقطع إلا بالوقف، وعند الكلام تتحرك أعضاء النطق المختلفة، وأصوات الكلام لا تنفصل ولا تشكل أحداثاً متماثلة أو أعمالاً متسلسلة يوضع بعضها بجانب بعض لتكوين النطق كما يحدث عندما نضع حروف الأبجدية بعضها بجانب بعض لتكوين كلمات مطبوعة، ولأغراض الدراسة العلمية نحتاج إلى تصنيف الصوت الإنساني، ويعتمد هذا التصنيف على الأسس الثلاثة التي شرحناها فيما سبق وهي تحديد مكان اعتراض الهواء ونوع الاعتراض والتعديلات الثانوية التي تطرأ عليه، واتضح نتيجة لذلك أن عناصر الكلام الانساني المجردة عنصران هما الصوامت والحركات[2].

(ب) الحركات:

يصف علماء الأصوات الحركات بأنها أصوات مجهورة، أي تهتز الأوتار الصوتية حال مرور الهواء الخارج من الرئتين في الحنجرة، وعند تكوين الحركات يمر الهواء من الحنجرة والفم دون أن يعترضه عائق، يتمثل في الشفتين أو الأسنان أو اللسان، ويعتمد تقسيم الحركات على أساسين هما:

---

(١) Gleason, Descriptive Linguistics, p. 153.

(٢) Robins, General Linguistics, p. 84.

١ ـ وضع اللسان في الفم.
٢ ـ شكل الشفتين.

فقد يَظَلُّ اللسان منبسطاً في الفم أو قد يرتفع بدرجات مختلفة، إلى الأمام نحو الحنك الصلب، أو إلى الخلف نحو الحنك اللين. إن هذه الأوضاع تؤدي إلى تكوين ما يسميه علماء الأصوات بالحركات المفتوحة، والمغلقة الأمامية والمغلقة الخلفية، وتتميز الحركات المفتوحة عن الحركات الامامية أو الخلفية حسب جزء اللسان الذي يكون في أقصى ارتفاع له، أما مدى الاختلاف عندما يكون اللسان منخفضاً في الفم فيكون محدداً. وقد يرتفع وسط اللسان في الفم فينتج حركات مركزية أو حيادية (أي حركات لا نستطيع تمييزها من حيث أنها خلفية أو أمامية).

يلازم اختلاف وضع اللسان اختلافاً. في شكل الشفتين، فقد تكون الشفتان مستديرتين أو منبسطتين. . . وتكون الاستدارة أو الانبساط بدرجات مختلفة وقد لا تكون الشفتان مستديرتين أو منبسطتين، فتكونان في وضع حيادي، وهذا يحدث عندما يكون الفم مرتخياً.

إن ملامح الشفة هذه تميز أنواع الحركة ولكنها قد تختلف عن وضع أقصى ارتفاع للسان، بالرغم من أنه كلما كانت الحركة مفتوحة كلما كانت الشفة منبسطة انبساطاً قليلاً لأن الفك والفم يكونان منفتحين انفتاحاً واسعاً(١).

والانتاج إطار عام وأساسي للحركات يمكن تطبيقه على أية لغة، نطقت ثماني حركات نتيجة لمواقع محددة للسان والشفتين، أربعة أمامية وأربعة خلفية، وسجلت على أنها حركات معيارية وهي الآتي: [i] و [e] و [ε] و [a]، [ə] و [α] و [o]، [u] ويمكن إجراء مطابقة بين هذه الحركات وحركات أي لغة إنسانية أخرى.

---

(١) Robins, General Linguistics, p. 89.

وقد يُحتفظ بموضع الحركة عند نطق كلمة ما فترة أطول عند نطق كلمة أخرى [ويرمز لذلك بنقطتين رأسيتين هكذا:] وهذا يؤدي إلى التمييز بين الحركات الطويلة والحركات القصيرة.

وكل أنواع الحركات يمكن أن تنطق نطقاً أنفياً ـ كما أوضحنا فيما سبق ـ وهذا ما أسماه القدماء بالغنة.

□ الصوامت:

يخضع تصنيف الصوامت للأسس الثلاثة التي أوضحناها فيما سبق، ومما يميز الصوامت عن الحركات، أنه عند نطق الصوامت يصادف تيار الهواء الخارج من الرئتين إلى الجهاز النطقي عند الإنسان عائقاً قد يكون تاماً أو غير تام ويسمى بالمخرج كما أن الأوتار الصوتية قد تتذبذب أو لا تتذبذب، وبالتالي يمكن تقسيم الأصوات إلى أصوات انفجارية واحتكاكية ومركبة، وكل نوع من هذه الأنواع قد يكون مهموساً أو مجهوراً وهناك أصوات أخرى وصفها جليسون بالأصوات الرنينية وهي م. ن. ل. ر. . . وهذه الأصوات تشبه حزمها التكوينية حزم الحركات التكوينية من ناحية ومن ناحية أخرى العائق الذي يمنع تسرب الهواء إما أن يفتح الهواء في جزء آخر غير الجزء المسدود، كما يحدث مع اللام أو أن يأخذ العائق شكل ترددات تتراوح بين ترددين وأربعة كما يحدث مع الراء وإما أن يتسرب الهواء خلال الممر الأنفي فلم تعد للعائق قيمة كما يحدث مع الميم والنون.

وهناك نوع ثالث من الأصوات يسمى أشباه الحركات ويقصد به الواو والياء. . . ذلك لأنه عند تكوين الياء ترتفع مقدمة اللسان إلى سقف الحنك بحيث يكون الفراغ بينهما قليل يسمح للهواء المار بالاحتكاك فإذا انخفض اللسان عن هذا الموضع قليلاً نتج صوت (i). . . وعند تكوين الواو يرتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك بحيث يسمح للهواء الخارج بالاحتكاك وإذا حدث أن انخفض اللسان قليلاً عن هذا الموضع نتج صوت (u). لهذا يسمي علماء الأصوات صوتي الواو والياء بأنهما شبيهات بالحركات (Semi Vowel)(١).

(١) د. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة. ص ٩٤.

(٢)
الفنولوجيا

١ ــ الأساس الفونيمي للفنولوجيا:

تعتمد الفنولوجيا والتحليل الفنولوجي على أساس نظرية الفونيم، وتهدف نظرية الفونيم إلى حصر الأصوات التي يتكلمها الانسان في لغة معينة وهي أصوات كثيرة ولا نهاية لعددها في عدد معين من الوحدات التمييزية... ويطلق على كل وحدة تمييزية في النظام الصوتي للغة المعينة اسم الفونيم... فما المقصود بالوحدة التمييزية؟

المقصود بها الوحدة التي تستخدمها اللغة المعينة عندما تتحد مع وحدة أو مع وحدات أخرى للاتصال بين أفراد المجتمع الذي يتكلم هذه اللغة[١]. ولشرح ذلك نقول: إذا صادفنا كلاماً في لغة غير مألوفة لنا، فلن نعرف مقدماً أي الأصوات التي يعتمد عليها في الاتصال بين الأشخاص، فمثلاً إذا حدث أن نطق إنجليزي صوت الهمزة أثناء كلامه فإن أي شخص إنجليزي يسمعه لن يلتفت إلى هذا الصوت، لأنه لا يوجد في الإنجليزية كلمتان يختلف معنى إحداهما عن الأخرى بسبب وجود الهمزة بها، والنتيجة التي نخرج بها من ذلك هي أن الهمزة في الإنجليزية صوت عرضي، وليس من النظام الصوتي الأساسي في اللغة الانجليزية، ولكن صوت الهمزة في اللغة العربية يقوم بدور أساسي في الاتصال بين الاشخاص، لأنه توجد كلمتان في اللغة العربية يختلف معنى إحداهما عن الأخرى بسبب وجود هذا الصوت، مثل ألم، وعلم، فهاتان الكلمتان تشتركان في اللام والميم، ولكن الهمزة مع اللام والميم أدت إلى تكوين معنى يختلف عن المعنى الناتج بعد استبداله بصوت العين، من هنا يمكن القول

(١) Robins: General Linguistics. p. 121.

إن الهمزة في اللغة العربية تقوم بدور اساسي في الاتصال بين المتكلمين باللغة العربية، وبالتالي تعد جزءاً من النظام الصوتي في اللغة العربية، وهكذا فالهمزة وحدة تمييزية في اللغة العربية. . وتسمى فونيًا كما أوضحنا من قبل، فالفونيم إذاً هو الوحدة الصوتية التي تقوم بدور أساسي في الاتصال بين أبناء اللغة الواحدة، وتشكل جزءاً من النظام الصوتي لهذه اللغة[1].

٢ ـ تحديد الفونيمات في اللغة المعينة:

إن المبدأ الأساسي في تحديد الفونيمات في لغة من اللغات هو اختلاف الصوت عن الصوت الآخر في السلسلة الكلامية اختلافاً واضحاً. يقول دي سوسير مؤكداً هذا المبدأ: «إن الاختلافات تشكل أساس تفسير كل شيء في الظواهر اللغوية»[2]. . . وعالم الفنولوجيا لكي يحدد أن الصوتين مختلفان ويشكل بالتالي كل منهما فونيًا مستقلاً، يشترط أن يقع أحد الصوتين مكان الآخر في نفس الموقع وفي نفس البيئة، بمعنى إذا وقع أحد الصوتين في بداية الكلمة فلا بد أن يقع الصوت الآخر في بداية الكلمة أيضاً، وهذا هو المقصود بالموقع، أما البيئة فيقصد بها الاحتفاظ بنفس العناصر الصوتية من الصوامت والحركات التي اتحدت مع الصوت الأول لتكوين الكلمة الأولى، فمثلاً إذا أردنا التمييز بين صوتي السين والصاد في اللغة العربية وهل يمثل كل منهما فونيًا مستقلاً أم لا ، فإننا نأتي بالسين وبالصاد في كلمتين بحيث تقع كل منهما في البداية، هذا من حيث الموقع، أما من حيث البيئة فهي تمثل العناصر المشتركة بين الكلمتين وهي مثلاً الفتحة الطويلة واللام المتبوعة بالفتحة القصيرة. ونوضح هذا أكثر بما يلي:

١ ـ من حيث الموقع: تقع (س)، (ص) في بداية الكلمة.

٢ ـ من حيث البيئة: العناصر المشتركة بين الكلمتين والتي تقع بعد

(١) David Crystal: Linguistics. p. 116.

(٢) Robins: General Linguistics. .p. 122.

السين أو الصاد، هي الفتحة الطويلة واللام والفتحة القصيرة... سال (؟ + الـ) أي سيكون المثالان:

س سال > صال.

؟ + سالَ ← س + سَال = سَالَ

ص + سَال = صَال

واتحاد البيئة شرط جوهري في تحديد الفونيمات في اللغة المعينة، لذلك لا يستطيع عالم الفنولوجيا أن يحكم على صوتين مختلفين فوناتيكياً بأنهما مختلفان فونولوجياً أي أن كلاً منهما يمثل فونيماً مستقلاً، إذا وقع كل منهما في بيئة تختلف عن الأخرى، مثال ذلك الفتحة بعد الصامت الأول في الكلمتين الآتيتين: عَنْ ــ عَلِم... فالفتحة في الكلمة الأولى أنفية.. أي بها غُنَّة لوقوع النون بعدها، أما الفتحة في الكلمة الثانية فليست أنفية لعدم وقوع النون بعدها... فاختلاف البيئة أدى إلى اختلاف الصوت من الناحية الفوناتيكية ولكنه لم يؤد إلى وجود فونيمين مستقلين من الناحية الفونولوجية، وكذلك الحال في الانجليزية، فالفاء في كلمة (ten)، ستتبع بنفس وتكتب فوناتيكياً هكذا (t^hen) ، أما التاء في كلمة (Steam) فلا تتبع بنفس لأنه وقع بعدها صوت لـ (S) ولم يقع صوت حركي كما هو الحال في الكلمة الأولى بعدها. والمتكلمون الوطنيون لا يشعرون بالضرورة بمثل هذه الاختلافات ولكن قد يشعرون بها إذا انتبهوا إليها وإذا تدربوا تدرباً دقيقاً على علم الفوناتيك.

إن صوت الفتحة الأنفي وصوت الفتحة غير الأنفي في العربية وصوت الـ (T) التنفيسي (Aspirated) وصوت الـ (T) غير التنفيسي في الإنجليزية لا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر في نفس البيئة ولهذا فلا يمكن التقابل أو تمييز أحدهما عن الآخر. ولذلك يُجمِّع الباحث هذين الصوتين اللذين يختلفان في الفوناتيك في مجموعة فونولوجية واحدة متميزة أو في فونيم واحد، ويرمز لهما كتابة هكذا / / فالفتحة العربية نحو /ـَـ/ والـ t الانجليزية نحو /t/، وهكذا يمكن القول إن فونيم الفتحة في العربية يتكون من عدة أصوات مختلفة في الفوناتيك... منها الفتحة الأنفية والفتحة المرققة كما في سَمِعَ والفتحة المفخمة كما في طَلَبَ. وكذلك فونيم /T/ في الانجليزية يتكون من عدة أصوات مختلفة في الفوناتيك.

□ التوزيع التكاملي:

رأينا أن فونيم الفتحة في اللغة العربية يضم أصواتاً مختلفة في الفوناتيك. فالفتحة قد تكون أنفية كما في (عَن) وقد تكون مرققة كما في (سَمِعَ) وقد تكون مفخمة كما في (طَلَبَ)... والآن نشير إلى أن كل صوت من أصوات هذا الفونيم لا يقع في نفس البيئة الذي يقع فيه الصوت الآخر... بمعنى أن البيئة مسؤولة هنا عن هذا الاختلاف، لهذا يقال إن هذه الأصوات المختلفة في توزيع تكاملي[1]...

□ التوزيع الحر:

أوضحنا حتى الآن أن الأصوات التي يضمها الفونيم الواحد تختلف باختلاف البيئة التي يقع فيها هذا الفونيم، كالالف في لفظة الجلالة «الله»، فإنها تنطق نطقاً مفخماً إذا لم تسبق بكسرة، وتنطق مرققة إذا سبقت بكسرة... فالألف المرققة والالف المفخمة تشتركان في بعض الخصائص الفوناتيكية وتختلف في خاصية واحدة هي أن إحداهما مرققة والأخرى مفخمة... وهناك أحوال تختلف فيها أصوات الفونيم الواحد اختلافاً كلياً لدرجة أنه ينشأ صوت جديد نتيجة لذلك، مثل الفعل (قال)، فإنه ينطق عند سكان القاهرة (آلْ) وعند سكان الرياض (جال)... يوصف هذا التوزيع إذن بأنه توزيع حر[2]...

□ التوزيع الحيادي:

قد يتشابه أحد أصوات الفونيم المعين مع صوت فونيم آخر، فمثلاً كفر وقفر... صوت الكاف وصوت القاف فونيمان مستقلان لأن أحدهما يقع في نفس الموقع الذي يقع فيه الآخر... وأن كلاً منهما وقع في نفس البيئة، ولكن عند نطق المضارع من الفعل الأول وهو يكفر فإن الكاف قد تشبه نطق القاف

(١) Robens: general linguistics. p. 123.
د. صلاح صالح: المدخل إلى علم الأصوات. ص ٥٤.

(٢) Lyons: Theoretical linguistics. p. 114.

في الفعل المضارع الثاني، ولا يميز بينهما إلا شدة الضغط، وهذه الظاهرة تسمى بظاهرة الحياد في التمييز بين الفونيمات أو بالتوزيع الحيادي[١].

٣ ـ الأزواج الصغرى: (Minimal pairs)

يمكن أن تصنف الاصوات المستخدمة في كل لغة وتحصر في عدد معين من الفونيمات، وعلى العكس فإن الفونيمات المحددة في العدد سواء أكانت حركات أو صوامت تشمل كل الصوامت والحركات التي يتكلمها أهل اللغة الوطنيين. . . ولا يعتمد تقسيم فونيمات اللغة المعينة على الأسس النطقية وهي المخرج والصفة، أي الجهر والهمس والانفجار والاحتكاك والتفخيم والترقيق، ولكن يعتمد بالإضافة إليها على عنصر التقابل، وبالتالي يستفاد من معطيات علم الفوناتيك النطقي في القيام بالتقابل، ومن أهم التقابلات الفونيمية التقابل بين المخرج، والتقابل بين صفة الانفجار والاحتكاك، وبين الجهر والهمس، وبين الفموية والأنفية وبين الترقيق والتفخيم، وبين الانغلاق والانفتاح[٢].

إذاً التقابل بين الصوتين أساس مهم لتحديد فونيمات اللغة المعينة، ولكن يجب أن نتذكر أن التقابل يجرى في ضوء شرطين هما، وجود الصوتين في موقع معين وفي بيئة واحدة. . . والتقابل يمكن أن يكون بين الصامت والصامت أو بين الحركة والحركة، مثال لذلك ضَلَّ تحتوي على ثلاثة فونيمات، ويمكن إجراء التقابل بين فونيمين هما الضاد واللام. . . والجدول الآتي يوضح هذا التقابل:

١ ـ ضَلَّ.
٢ ـ دَلَّ.
٣ ـ ضَرَّ.
٤ ـ دَرَّ.

---

(١) Ibid, p. 115.

(٢) Palmar: Descriptive ling. p. 66-69.

معنى هذا أن التقابل تم هنا في مكانين فاستبدل الصوت الاول في الكلمة الاولى، وهي (ضل) بالدال فنشأت كلمة اخرى هي (دلّ)، ثم استبدل الصوت الثاني في الكلمة الأولى وهو اللام بالراء فنشأت كلمة جديدة هي (دَرٌّ). ويطلق على هذا التقابل بين الصوتين الأزواج الصغرى، فالاختلاف الفونيمي إذاً يتضح من التقابل بين الاختلافات الفوناتيكية بين صوتين أو اكثر بشرط ألّا يكون هذان الصوتان في توزيع حر[1].

٤ ـ التحليل الفونيمي: (Phonemic analysis)

يهدف التحليل الفونيمي إلى حصر الاصوات التي لا نهاية لعددها والمستخدمة في نطق لغة معينة في عدد معين ومحدد من الفونيمات المتقابلة في بعض البيئات على الاقل.

وتسمى الأصوات التي يمكن أن تجمع في فونيم واحد (فونا ـ Phones) أو ألوفون (Allophones).

٥ ـ الدراسة الرأسية والأفقية للفونيمات:

إن تحديد الفونيمات عن طريق الازواج الصغرى يمثل مستوى الدراسة الرأسي للفونيمات، أما إذا نظرنا إلى كل كلمة من الكلمات التي نتجت عن التحليل بوساطة الازواج الصغرى وهذه الكلمات هي:

١ ـ ضَلٌّ.
٢ ـ دَلٌّ.
٣ ـ ضَرٌّ.
٤ ـ دَرٌّ.

فإننا سنجد أن الكلمة الأولى تكونت من اتحاد الضاد والفتحة واللام الساكنة واللام والفتحة. ويطلق على هذا التتابع اسم الدراسة الأفقية للفونيمات.

---

(١) Robens: Introduction to general linguistics. p. 123.

ويركز اللغوي في الدراسة الأفقية للفونيمات على ما يلي:

(أ) التجانس في تتابع الوحدات الفونيمية:

بمعنى أن اللغة العربية لا تقبل تتابع فونيمين مخرجهما قريب، وإذا حدث ووجدنا هذا التتابع في كلمة، فإنها توصف بالغرابة كتتابع الهاء والعين، في (هُعخُع)، وقد وصفها الخليل بأنها كلمة شنعاء وكتتابع الشين والزاي في كلمة (مستشزرات)، التي وردت في بيت لامرىء القيس:

غدائرة مُسْتَشْزِرات إلى العُلاَ تَضِلُّ المَدَارَى في مِثَنًّى ومُرْسَلِ

ووصف السبكي هذه الكلمة بالثقل، ويرى أن الثقل فيها ناتج عن توسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة[1].

من هنا نفهم ما أورده ابن دريد في الجمهرة: إعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كَلَّفْتَهُ جرساً واحداً وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها، نحو قولهم في: «أم والله هَمْ والله»، وكما قالوا في أراق هراق، ولو وجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء، وإذا تباعدت مخارج الحروف حَسُنَ التأليف[2].

وإذا حصر اللغوي النظام الذي تسير عليه العربية في تأليف الفونيمات، فإن هذا سيساعده على تمييز الكلمات المعرّبة من الكلمات العربية الأصيلة، فالترتيب الذي يخضع للنظام الذي ترتضيه العربية يعني أن الكلمة عربية أصيلة، وقد قام أحد الباحثين الشبان وهو الدكتور سلمان العاني في جامعة (إنديانا بأميركا) بإحصاء لاحتمالات تآلف الأصوات في العربية المتكلمة في

---

(١) د. محمد علي رزق الخفاجي: علم الفصاحة العربية. ص ٨٢ ــ ٨٣.

(٢) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة. ١: ١٦٠ ــ ١٦١.

العراق وانتهى إلى حصر شامل لذلك، ومن هذا الحصر استنتج أن الباء الساكنة لاتتبع بالفاء والتاء لا تتبع بالدال أو الذال والتاء والطاء والضاد، والظاء لا تتبع بالتاء والدال والظاء والتاء والذال والضاد(١).

وإذا صادف اللغوي كلمة لا تخضع للنظام الذي استنتجه بعد حصر أجراه لذلك فهذا يعني أن الكلمة تخضع لنظام آخر ارتضته لغة أخرى، وهذا يعني أن الكلمة معربة جاء في المزهر للسيوطي: يقول أئمة العربية، تُعْرَفُ عجمة الاسم بوجوه منها: أن يكون اول الكلمة نون ثم راء نحو نَرْجِس، أو أن يكون آخر الكلمة زاي قبلها دال نحو مهندز، أو أن يجتمع فيها الجيم والصاد نحو جص وصولجان أو الجيم والقاف نحو الجردقة وهو الرغيف والجرامقة وهم قوم بالموصل، أو الجيم والتاء نحو جبت، أو الدال والذال نحو الداذيّ(٢).

(ب) التغييرات الناتجة عن تتابع الفونيمات:

تتعرض الفونيمات عند دراستها على المستوى الأفقي لتغييرات، ويمكن تقسيم هذه التغييرات إلى قسمين:

الأول مطلق أي غير مرتبط بصيغة صرفية معينة.
الثاني مقيد أي مرتبط بصيغة صرفية معينة.

التغييرات المطلقة:

تشمل التغييرات المطلقة ما يلي: المماثلة ــ والمخالفة، إضافة حركة قصيرة للتخلص من التقاء ثلاثة صوامت في بداية الكلمة أو في وسطها، حذف الصوامت المتماثلة في أول الكلمة لتعذر تشديدها أو في وسط الكلمة عندما يتكرر ثلاثة صوامت متماثلة ــ حذف الحركة القصيرة. حذف أنصاف الصوامت عندما تقع بين حركتين مثلين. تقصير الحركة الطويلة عندما تتلى بصامتين: إحلال حركة محل أخرى للمناسبة.

---

(١) Salman al aani: Arabic phonology. p. 120-130.
(٢) المزهر، ص ١٦٠ ــ ١٦١.

□ **القانون الأول (المماثلة):**

هي أن يؤثر صوت على صوت آخر فيغيره إلى صوت مماثل له أو قريب منه، وقد يكون الصوت المؤثر هو الصوت الاول فتسمى المماثلة مقبلة، وقد يكون الصوت المؤثر هو الصوت الثاني فتكون المماثلة مدبرة.

المماثلة المقبلة: وهي أن يؤثر الصوت الأول في الصوت الثاني، ومن أمثلتها ما يلي:

١ ــ تؤثر الياء على الواو التي تليها فتتحول إلى ياء مثلَ أيْوَام وأيَّام.

٢ ــ تؤثر الكسرة على الواو التالية لها فتتحول إلى ياء نحو: رَضِوَ، وَرَضِيَ، إوْعَاد، وَإيعَاد، مِوْلاد، وَميلاد، عَالِوْ وعَالِي، مِوْزان ومِيزان.

٣ ــ تؤثر الضمة على الواو التالية لها فتتحول إلى ضمة طويلة نحو: مُوْصَدَة ومُوصَدة. وتؤثر الضمة على الياء التالية فتحولها إلى واو نحو: مُيقِن وموقِنْ، وتؤثر الكسرة على الياء الساكنة التالية لها فتتحول إلى كسرة طويلة نحو: بِيْض وبِيض.

٤ ــ تؤثر الفتحة المفخمة على الصوت المرقق التالي لها فيتحول إلى نظيره المفخم نحو أفلت وأفلط، ويؤثر الصوت المجهور على المهموس التالي له فيتحول إلى نظيره المجهور نحو:

K B T وهي صيغة سامية قديمة ← كَبِدٌ.

و : α B T > وهي صيغة سامية قديمة ← عَبَدَ.

ويؤثر الصوت اللثوي على الصوت الشفوي التالي له فيتحول مخرجه إلى مخرج قريب من المخرج اللثوي، كتحول الميم إلى نون، في دمدم ودندن وأيَّم وأيَّن[1].

---

(١) د. صلاح صالح: المدخل إلى علم الأصوات. ص ٧٥ ــ ٧٧.

□ المماثلة المدبرة:

وفيها يؤثر الصوت الثاني على الأول ومجال هذه المماثلة أوسع من مجال المماثلة التقدمية، ومن أمثلتها:

١ ـ المماثلة بين الصوامت:

(أ) يؤثر الصوت الثاني المهموس على السابق له المجهور فيحوله إلى نظيره المهموس نحو: عُذْتُ وعُتُّ (نطقاً)، وإن كان الصوت الثاني مفخماً والأول مرققاً يتحول المرقق إلى نظيره المفخم نحو: يَسْلُخ ويَصْلخ، وإن كان الصوت الثاني احتكاكياً والأول انفجارياً تحول الأول إلى نظيره الاحتكاكي نحو قوله تعالى: ﴿إذْهَبْ فمن تبعك﴾ إذ هَـب فـمن تبعك، ويؤثر الصوت الأنفي على الصوت الانفجاري غير المقلقل السابق له بأن يجعل خروج الهواء عن طريق الأنف نحو: يأمن، يأنس، يُتِمُّ[1].

(ب) المماثلة بين الواو والياء: تؤثر الياء على الواو السابقة لها مباشرة فتتحول إلى ياء نحو: شَوْى، وشَيّ، كَوْى، وكَيّ.

(ج) المماثلة بين الصامت والحركة السابقة له:

أولاً ـ يؤثر الصوت المفخم على الفتحة المرققة السابقة له فيحولها إلى نظيرها المفخم نحو: يَطْلُب، فالفتحة بعد الياء تختلف عما لو نطقنا يسأل مثلاً.

ثانياً ـ يؤثر صوت الميم أو النون على الفتحة قبله فيحولها إلى فتحة أنفية نحو: عَنْ فالفتحة بعد العين تختلف عن الفتحة بعد الياء في يَكْتُبُ.

(د) المماثلة بين حركة وحركة سابقة: تؤثر الضمة في عين الصيغة على اختيار

---

(١) حروف القلقلة هي حروف قطب جد ومن خصائصها أنها تمنع تسرب الهواء عن طريق الأنف (راجع د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة).

حركة همزة الوصل في الصيغ التي تحتاج إليها فتجعلها ضمة وتؤثر الكسرة عليها فتجعلها كسرة نحو: اجْلِس ــ اكْتُب ــ احْتَرِم[1].

□ **القانون الثاني (المخالفة):**

يقصـد بها نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف ومن مجالاتها: إذا التقت واوان في أول الكلمة تتحـول الأولى إلى همزة نحو: وواق وأواق، وواصل وأواصل، وَوّل وَأوّل.

□ **القانون الثالث:**

إضافة حركة قصيرة للتخلص من التقاء الصوامت في بداية الكلمة أو في وسطها:

(أ) **في بداية الكلمة**: لا تسمح اللغة العربية بتوالي صامتين في بداية الكلمة الواحدة، فمثلاً صيغة الأمر من كَتَبَ هي كـ تـ ـُـ ب، (ذلك أن الأمر يشتق من المضارع بعد حذف حرف المضارعة).

ونتغلب على هذا بإضافة حركة الكسرة (وقد تتحول إلى ضمة للمماثلة أو فتحة كما يحدث مع أداة التعريف «أل») قبل الصامت الأول ثم تضاف همزة إليها. واصطلح القدماء على تسميتها بهمزة الوصل، لهذا يقال في فعل الأمر السابق: أقتَل، أكتَب، إلعَب.

(ب) **في وسط الكلمة**: لا تسمح اللغة العربية بتوالي ثلاثة صوامت كما في: لا تهن الفقير، ونتغلب على هذا بإضافة كسرة بعد الصامت الأول، ويُفسر المثال السابق هكذا:

ل ـَـ ـَـ ت ـَـ هـ ـُـ ن ل ف ـَـ ق ـَـ ـَـ ر ـَـ ←

ل ـَـ ـَـ ت ـَـ هـ ـِـ ن ـِـ ل ف ـَـ ق ـَـ ـَـ ر .

لاحظ أنه أضيفت حركة الكسرة بعد صوت النون.

---

(١) د. داود عبده: ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية. المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي، العدد الأول.

□ **القانون الرابع:**

حذف الصوامت المتماثلة إذا وقعت في أول الكلمة لتعذر البدء بصوت مشدد، أو إذا وقعت في وسط الكلمة منعاً لتكرار ثلاثة صوامت متماثلة.

(أ) في أول الكلمة:

أولاً ـ تحذف الهمزة إذا وقعت ساكنة في بداية كلمة تبدأ بصامتين كما في فعل الأمر من:

أَخَذَ ـ اُخُذْ ← خُذْ، وأَمَرَ ـ اُمُرْ ← مُرْ.

ثانياً ـ تحذف تاء المضارعة عندما تدخل على الفعل الذي على وزن تَفَعَّلَ، أو تَفَاعَل نحو: تَسَكَّعَ وتَسَكَّعُ[٢]، ويفصل ذلك كالآتي:

تَ ـَ ت ـَ س ـَ ك ك ـَ ع ـُ
ت ـَ س ـَ ك ك ـَ ع ـُ

(لاحظ أن تاء المضارعة وحركتها قد حذفتا من بداية المضارع يَتَسَكَّعُ) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾. ومنه أيضاً ما جاء في الحديث الشريف: «ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا».

(ب) **في وسط الكلمة:** تميل العربية عند توالي ثلاثة صوامت متماثلة في وسط كلمة إلى حذف الصامت الأول، ويحدث هذا عند توكيد الفعل المضارع المسند إلى ألف الإثنين أو إلى واو الجماعة بنون التوكيد الثقيلة، فتحذف النون التي هي علامة الرفع كما في يَكْتُبَانِ ويَكْتُبُون وتفصيل ذلك كما يلي:

المثال الأول:

ي ـَ ك ت ـُ ب ـَ ـَ ن ـَ ن ن ـَ
ي ـَ ك ت ـُ ب ـَ ـَ ن ن ـَ

(١) د. تمام حسان: العربية معناها ومبناها. ص ٢٩٨.

(لاحظ أن النون المتبوعة بالكسرة وهي علامة رفع المثنى قد حذفت) ثم استبدلت الفتحة المتطرفة بالكسرة نتيجة لقانون المخالفة فأصبحت الصيغة «يكتبانٍّ».

المثال الثاني:

ي ـَ ك ت ـُ ب ـَ ـَ ن ـِ ن ن ـَ
ي ـَ ك ت ـُ ب ـُ ـُ ن ن ـَ

(لاحظ أن النون المتبوعة بالفتحة وهي علامة رفع الفعل المسند إلى واو الجماعة قد حذفت) ثم يقصر[1] المقطع الطويل الواقع قبل الأخير لأنه محظور في العربية فتصبح الصيغة «يكتُبُنَّ».

□ **القانون الخامس:**

حذف الحركة القصيرة يحدث هذا فيما يلي:

(أ) حذف حركة فاء الفعل المضارع نحو: يَكْتُبُ، ونفصلها كالآتي:

ي ـَ كـ ـَ ت ـُ ب ـُ
ي ـَ ك ت ـُ ب ـُ

(ب) في الفعل الماضي عندما يسند إلى التاء المتحركة أو نا الدالة على الفاعلين أو نون النسوة.

كَتَبَ + تُ = كَتَبْتُ
كَتَبَ + نا = كَتَبْنَا
كَتَبَ + نَ = كَتَبْنَ

(ج) في الفعل المضارع أو الأمر عند إسناده إلى نون النسوة نحو: يَكْتُبْنَ ــ واكْتُبْنَ.

(د) عندما تقع الحركة القصيرة بين صامتين مثلينْ ويحدث هذا فيما يلي:

---

(١) د. تمام حسان: العربية معناها ومبناها. ص ٢٩٨.

١ ــ صيغة الماضي من الفعل المضاعف ومشتقاته نحو:

ح ـَ ل ـَ ل ـَ ← ح ـَ ل ل ـَ ← حَلَّ
ح ـَ ـَ ل ـَ ل ـُ ن ← ح ـَ ـَ ل ل ـُ ن: حَالٌّ

٢ ــ عند اتصال لاحقة بالجذر نحو: يُـدْرِكُ + كُم = يُدْرِكُكُم ــ يُدْرِكُّمْ.

٣ ــ عند اتصال كلمتين نحو: أَوْجَسَ صَابِراً ــ أَوْجَسْ صَابِـراً ــ أَوْجَـ/ صَّابِراً.

□ القانون السادس:

حذف أنصاف الصوامت عندما تقع بين حركتين مثلينْ:

(أ) تحذف الواو أو الياء إذا وقعتا بين حركتين مثلين مثل: قَوَمَ ← قَامَ[1] بَيَنَ ــ وبَانَ، وشرح ذلك كما يلي:

ق ـَ و ـَ م ـَ ← ق ـَ ـَ م ـَ = قَامَ
ب ـَ ي ـَ ن ـَ ← ب ـَ ـَ ن ـَ = بَانَ

□ القانون السابع:

تقصير الحركة الطويلة عندما تقع في وسط الكلمة بين صامتين مثل: دَعَا، وَدَعَتْ وشرح ذلك كما يلي:

د ـَ ع ـَ ـَ ت ← د ـَ ع ـَ ت ← دَعَتْ

---

(١) هذا التفسير في نطاق علم اللغة الوصفي، أما في نطاق علم اللغة المقارن فإنه يرجع إلى تطور في الصيغة ترتيبه كالآتي:
١ ــ تحول فتحة عين الفعل إلى سكون.
٢ ــ تطور المقطع المزدوج الناشىء عن حركة ممالة.
٣ ــ تحول الحركة الممالة إلى فتحة (انظر المدخل لعلم اللغة ومناهج البحث فيه للدكتور رمضان عبد التواب).

ونحو يَنَالُ وَيَنَلْنَ، وشرح ذلك كما يلي:

ي ـَ ن ـَ ـَ ل ن ـَ ← ي ـَ ن ـَ ل ن ـَ يَنَلْنَ

ونحو: عَصَا و عَصاً.

□ **القانون الثامن:**

إحلال حركة محل أخرى للمناسبة:

من ذلك إحلال الكسرة التي تسبق ضمير ياء المتكلم محل حركة الإعراب لمناسبة الكسرة للياء نحو كِتَابي مُفِيدٌ، ونحو ضم لام الفعل الماضي أو المضارع أو الأمر عند إسناده إلى واو الجماعة: ضَرَبُوا، يِضْرِبُون، اضْرِبُوا، وكذلك فتحها عند اسناد الفعل إلى ألف الاثنين وكسرها عند اسناد المضارع والأمر إلى ياء المخاطبة.

ومن المناسبة أيضاً استبدال الكسرة بالفتحة في الفعل المضارع الذي يحتوي على حرف حلق: قَطَعَ ـ يَقْطِعُ ـ يَقْطَعُ.

التغييرات المقيدة:

تشمل ما يلي:

١ ـ حذف الواو في المضارع الواوي المجرد عندما تكون عينه مكسورة.

٢ ـ القلب المكاني بين الصوامت أو بين أشباه الصوامت.

□ **القاعدة الأولى:**

حذف الواو في المضارع الواوي المجرد عندما تكون عينه مكسورة نحو: وَعَدَ ـ يَعِدَ وتفسير ذلك كالآتي:

ي ـَ و ـَ ع ـِ د ـُ

(أ) تطبق أولاً قاعدة تسكين عين المضارع:

ي ـَ و ع ـِ د ـُ

(ب) تحذف الواو لوقوعها في صيغة المضارع المكسور العين:

ي ــَ ع ــِ د ــُ ← يَعِدُ

□ **القاعدة الثانية:**

القلب المكاني:

(أ) بين الصوامت: ويحدث هذا في وزن افتعل.

أصل هذا الوزن أن يتكون من إضافة اللاصقة ت + وزن فَعَلَ.
فمثلاً إن أصل صيغة كَتَبَ مع هذا الوزن هو =
ت + كَتَبَ، ويحدث فيه التغييرات الآتية:

(ب) تطبق قاعدة إضافة حركة قصيرة قبل الصامت الساكن في أول الكلمة ويؤدي ذلك إلى إضافة همزة الوصل =

كْ ــَ ت ــَ ب ــَ

(ج) يحدث قلب مكاني فتصبح الصيغة هكذا:

ا ــَ ك ت ــَ ت ــَ ب ــَ ــ اكْتَتَبَ

(د) بين أشباه الصوامت والحركات التالية لها:

عندما تسبق الواو أو الياء بصامت وتتلى بحركة فإنها يتبادلان المكان مع الحركة تمهيداً لحدوث مماثلة بينهما. نحو:

يَسْيِرُ ومُصْوِبُ وَيقْوُلُ وتفسير ذلك كالآتي:

١ ــ ي ــَ س ــِ ي ر ــُ ← وبعد مماثلة الكسرة والياء تصبح الصيغة يَسِيُر.

٢ ــ م ــُ ص و ــِ ب ــُ
م ــُ ص ــِ و ب ــُ ← وبعد المماثلة تنتج صيغة مُصِيبٌ

٣ ــ ي ــَ ق و ــُ ل ــُ
ي ــَ ق ــُ و ل ــُ وبعد المماثلة تنتج صيغة يَقُول.

□ ملحوظات:

(أ) عند تطبيق أكثر من قانون صوتي على الكلمة فإن التطبيق يحدث بطريقة متعاقبة (Sequentially) وليس بطريقة متزامنة (Simultaneously) مثال ذلك اتحاد قد مع اتخذ في السياق، سيؤدي هذا الاتحاد إلى تطبيق قانونين: الأول قانون المماثلة، التاء ستؤثر في الدال السابقة لها فتتحول إلى تاء؛ والقانون الثاني إضافة حركة الكسرة منعاً لتوالي ثلاث صوامت.

والشرح الآتي يوضح ذلك:

ق ـَ د ت ت ـَ خ ـَ ـت ذ ـَ

١ ـ تنفيذ قانون المماثلة:

ق ـَ ت ت ت ـَ خـ ذ ـَ

٢ ـ إضافة حركة قصيرة بعد صوت التاء منعاً لتوالي ثلاثة صوامت في وسط الكلمة.

ق ـَ ت ـِ ت ت ـَ خـ ـَ ذ ـَ ← = قَتُّخَذَ

ونتيجة لذلك فقد يؤدي تطبيق القوانين بطريقة متعاقبة إلى إلغاء مجال تنفيذ قانون آخر، لو نفذ لأدى إلى الوقوع في الخطأ نحو صيغة الأمر من أخذ هو أَخُذْ، أوضحنا أن اللغة العربية تعامل الصيغة التي تبدأ بالساكن معاملتين فإما أن يسبق الساكن بحركة تجانس حركة عين الفعل وهذا يؤدي إلى نشوء همزة وصل، أو حذف الساكن إن كان همزة، فتطبيق القانون الأول سيؤدي إلى عدم تطبيق القانون الثاني والعكس بالعكس صحيح.

وهذا يدل على التعاقب في تطبيق القوانين الصوتية.

(ب) أنواع ترتيب القوانين الصوتية:

هناك أربعة أنواع هي:

١ ـ الترتيب المقيد (Bleeding Order)، ويعني أن تطبيق قانون ما يلغي تطبيق قانون آخر في نفس المجال كما أوضحنا في صيغة الأمر السابقة، وكما في صيغة المضارع: ينالُ، فأصل هذه الصيغة هو:

ي ـَ ن ـَ و ـَ ل ـُ هنا وقعت الواو بين حركتين مثلين فتسقط، ويؤدي هذا إلى نشوء صيغة ينال. إن تطبيق هذا القانون منع المجال امام قانون إسكان فاء الفعل في المضارع، وقد اختارت اللغة في فعل معتل آخر هو: وَجَلَ، أن تنفذ قانون تسكين فاء الفعل وبذلك منعت تنفيذ قانون آخر وهو سقوط الواو عندما تقع بين حركتين مثلين، لهذا فالمضارع منه هو يَوْجَلُ.

٢ ـ الترتيب المضاد للمقيد (Counter Bleeding)، ويقصد به عكس الاتجاه الأول أي إتاحة المجال لتطبيق قانونين بدلاً من قانون واحد كما في الحالة السابقة. . . فمثلاً عبارة (في الانتظار) نجد أن الحركة الطويلة قد تبعت بصامتين ولذا فإنه يجب تقصيرها. ثم يحدث أن اللغة لا تسمح بتوالي ثلاثة صوامت في وسط الكلمة، فيضاف حركة بعد الصامت الأول، وتفسير ذلك كالآتي:

١ ـ ف ـِـ ـِـ ل ن ت ـَ ظ ـَ ـَ ر
٢ ـ تقصر الحركة الطويلة الاولى لوجود صامتين بعدها:
ف ـِـ ل ن ت ـِـ ظ ـَ ـَ ر
٣ ـ تضاف حركة قصيرة بعد اللام لعدم توالي ثلاثة صوامت:
ف ـِـ ل ـِـ ن ت ـِـ ظ ـَ ـَ ر

ومن ذلك أيضاً المضارع من وضع فإنه يتكون بعد تطبيق قانونين. وتفسير ذلك كالآتي:

١ ـ الصيغة الأساسية ي ـَ و ـَ ض ـَ ع ـُ
٢ ـ يطبق قانون حذف الواو لوقوعها في مضارع مجرد مكسور العين فتصبح الصيغة: ي ـَ ض ـِـ ع ـُ

٣ ـ يطبق قانون المناسبة فتستبدل الفتحة لتناسب العين فتصبح الصيغة: ي ـَ ض ـَ ع ـُ: يَضَعُ.

٣ ـ الترتيب الممهد (Feeding Order)، ويقصد به خلق مجال لتطبيق قاعدة لم يكن موجوداً في الأصل، مثال لذلك صيغة يَقُلْنَ وأَجَبْتُ وتفسير ذلك كالآتي:

صيغة يَقُلْنَ:

(أ) أصل الصيغة هو: يـَ ق ـَ و ـُ ل ن ـَ

(ب) تسكن فاء الفعل ← ي ـَ ق و ـُ ل ن ـَ

(ج) يحدث قلب مكاني بين الواو والضمة ← ي ـَ ق ـُ و ل نَ

(د) تماثل الواو والضمة ـ ي ـَ ق ـُ ـُ ل ن ـَ

(هـ) نشوء مجال جديد لم يكن موجوداً من قبل وهو وجود صامتين نتيجة لإسناد الفعل إلى نون النسوة وإسكان لامه، فبعد هذا الإسناد تلا الحركة الطويلة صامتان فأدى هذا إلى تقصيرها فأصبحت الصيغة:

ي ـَ ق ـُ ل ن ـَ يَقُلْنَ

الصيغة الثانية وهي إسناد التاء المتحركة إلى الفعل أَجَابَ، فاصبحت أَجَبْتَ وتفسير ذلك كالآتي:

١ ـ الصيغة الأصلية: أ ـَ جـ ـَ ـَ ب ـَ ت ـُ

٢ ـ يؤدي إسناد التاء المتحركة إلى إسكان اللام فتصبح الصيغة:

أ ـَ جـ ـَ ـَ ب ت ـُ

٣ ـ أدى تسكين لام الفعل إلى نشوء وضع جديد يتمثل في وقوع صامتين بعد حركة طويلة، من هنا نشأ مجال لتطبيق قانون تقصيرها فتصبح الصيغة:

أ = جـ ـَ ب ت ـُ ← أَجَبْتُ

٤ ـ الترتيب المضاد للممهد (Counter Feeding)، ويقصد به عدم تنفيذ قانون كان يمكن تنفيذه، لأن تطبيقه سيؤدي إلى الالتباس بصيغة صرفية أخرى، أو يؤدي إلى نشوء وزن صرفي لا وجود له في العربية.

من ذلك مثلاً وجود حركة طويلة بعدها صامت أو صامتين في آخر الكلمة، ويتحقق ذلك مع الصامت المتكرر أو في صيغة الوقف (.)[1].

□ **الحالة الأولى ـ وجود حركة طويلة متلوة بصامت مكرر:**

قوله تعالى: ﴿ولا الضالِّين﴾ وتفسيره كالآتي:

١ ـ أصل هذه الصيغة هو: ضـَـ ـَـ ل ـِـ ل، اسم فاعل من المضاعف.

٢ ـ تطبق القاعدة الأولى وهي تحذف الحركة القصيرة إذا وقعت بين صامتين مثلين فتصبح: ض ـَـ ـَـ ل ل.

٣ ـ عدم تطبيق قاعدة تقصير الحركة الطويلة لأنها متلوة بصامتين لأن هذا سيؤدي إلى لبس صيغة إسم الفاعل بصيغة الماضي: ضَلَّ.

مثال آخر: صيغة تفاعل من الفعل حَبَّ هي تحابٌّ،

تفسير هذه الصيغة كالآتي:

١ ـ ت ـَـ حـ ـَـ ـَـ ب ـَـ ب ←

لا يوجد مجال هنا لتقصير الحركة الطويلة لأنها ليست متلوه بصامتين، والمجال المتاح حالياً هو حذف الحركة القصيرة بين صامتين مثلين فتصبح الصيغة:

ت ـَـ حـ ـَـ ـَـ ب ب ـَـ تَحَابٌّ.

ولا يمكن تقصير الحركة الطويلة لأنها متلوه بصامتين، لأن التقصير سيؤدي إلى نشوء صيغة ليست على وزن عربي، أي أنها ستكون في صيغة خاطئة.

□ **الحالة الثانية ـ وجود حركة طويلة قبل صامت في آخر الكلمة وعدم تقصيرها:**

مثال لذلك كلمة: بَابٌ، ففي الوقف يقال: بَابْ،

---

(١) يقتصر هذا على أسلوب النثر فقط. راجع فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب.

وتفسير ذلك كالآتي:

١ ــ إن كلمة «باب» على وزن «فَعْلَ» وعينها واو بدليل أنها ترد في الجمع أبواب.

فالصيغة الأصلية هي:

ب ـَـ و ـَـ ب ـُـ ن

٢ ــ تسقط الواو لوقوعها بين حركتين مثلين فتنتج الصيغة الآتية:

ب ـَـ ـَـ ب ـُـ ن

٣ ــ في حالة الوقف تصبح الصيغة باب.

٤ ــ لا يمكن تقصير الحركة الطويلة بحجة أنها متلوة بصامت ساكن في آخر الكلمة لأن ذلك سيؤدي إلى تغيير الجذر الثلاثي إلى جذر ثنائي، وهو غير موجود في العربية.

من هذا أيضاً سُور وفيل.

* * *

إن دراسة تتابع الفونيمات من صوامت وحركات، لا تكفي لإيضاح المعنى، ذلك لأن المعنى لا يرتبط فقط بتجزيء الكلمة (Segmantation) إلى صوامت وحركات وإنما يرتبط كذلك بالتجمع الصوتي ككل، لهذا نجد أصحاب نظرية الفونيم يقسمون الفونيم إلى قسمين: فونيم تركيبي (Segmental Phoneme) وفونيم فوق التركيبي (Super Segmental Phonem) ويقصدون بالفونيم فوق التركيبي الملامح غير التركيبية التي يحتوي عليها تركيب الكلمة أو الجملة ككل، فهذه الملامح هي المسؤولة عن تنوع معاني الرسائل اللغوية ومن أهمها النبر والمفصل(١).

(١) بتصرف من د. أحمد مختار عمر: الصوت اللغوي. ص ١٨٥ ــ ١٨٧.

(٣)
المقطع

مقدمة:

لقد ركزنا الحديث في الدراسة السابقة على الصوامت والحركات، أما كلامنا فهو عبارة عن تتابع مجموعة محددة من الصوامت والحركات، ومن بروز عنصر أو أكثر عن غيره، ولتوضيح هذا البروز نفترض أننا سنقوم بتصميم لوحة فنية تتكون من خرز مشدود بعضه إلى بعض بسلك، ولكي نزيد عدد التركيبات الممكنة يمكن استخدام بعض الخرز الملون أو استخدام خرز حجمه أكبر من حجم سائر الخرز الآخر، والخرز المطلوب أو الأكبر حجمًا هو الذي يقابل الحركات في الكلام الإنساني، ونستطيع أن نوضح البروز كذلك بلى السلك، فبذلك يكون بعض الخرز أعلى من بعضه الآخر، والذي يوضح البروز في اللغة هو ما اصطلح على تسميته باسم النبر (Stress) ولكن تحديد معنى البروز في اللغة لن يتضح إلا إذا درسنا المقطع[١].

تعريف المقطع:

يدرك المتكلمون هذه الوحدة في الكلام التي اصطلح على تسميتها بالمقطع عندما يؤدون أغنية أو يكتبون شطرة من شعر، بل إن نظم الكتابة القديمة كانت تقوم على نظام المقطع، وكانت تسمى بالكتابة المقطعية، بالرغم من معرفة الرجل البسيط لهذه الوحدة التي تسمى بالمقطع، وبالرغم من شيوعها في نظام الكتابة القديم إلا أن اللغويين المحدثين لم يتفقوا فيما بينهم على تعريف المقطع، وأشهر النظريات لتفسير المقطع نظريتان:

---

(١) Palmar, Descriptive Linguistics, p. 25, 26.

☐ **النظرية الأولى، وهي نظرية عالم الاصوات الاميركي ستيتسون (Stetson)،**

وتسمى نظرية الانقباض الصدري، لاحظ ستيتسون وجود علاقة بين تقسيم المقاطع وبين أداء عضلات جهاز التنفس، فبانقباض هذه العضلات واسترخائها السريعين ينتج تتابع من انفجارات النفس الصغيرة وانطلاق الهواء هو الذي ينتج الجهد، أو الطاقة اللازمة لتكوين قمم البروز التي نستقبلها على أنها مقاطع[٣].

☐ **النظرية الثانية، وهي نظرية (جسبرسن) (Jerpersen):**

وهي قائمة على الأساس الصوتي، وتقوم على أساس تحديد معنى الإسماع، ان إسماع الصوت يعتمد على عمود من الهواء المتذبذب، وكلما كان هذا العمود أكبر من غيره كان إسماعه اوضح من العمود الاصغر، ولهذا لا يتفق صوتان كلاميان في نفس درجة الإسماع، ومن الممكن أن تنظم هذه الدرجات المختلفة من الإسماع في سلسلة أقلها إسماعاً الأصوات المهموسة، وأوضحها إسماعاً الحركات، وميز جسبرسن بين ثماني درجات من الإسماع هي كالآتي:

١ ــ الأصوات المهموسة الانفجارية أو الاحتكاكية.
٢ ــ الاصوات المجهورة الانفجارية.
٣ ــ الأصوات المجهورة الاحتكاكية.
٤ ــ الأصوات المتوسطة م. ن. ل.
٥ ــ الراء.
٦ ــ الحركات المغلقة المتوسطة والمفتوحة.
٧ ــ الحركة المركزية وهي الفتحة.

---

(١) Palmar, Descriptive Linguistics, p. 25, Ibid; p. 26.

ونستطيع تطبيق هذه النظرية من خلال تقسيم كلمة كَتَبت إلى مقاطع:

فتحة فتحة فتحة

٨ ــ الفتحة.
٧ ــ الضمة أو الكسرة الممالة.
٦ ــ الضمة أو الكسرة الصريحة.
٥ ــ ر.
٤ ــ م ن ل.
٣ ــ الصوت المجهور الاحتكاكي.
٢ ــ الصوت المجهور الانفجاري.
١ ــ الصوت المهموس.

ك ت ب

بعد ذلك نستطيع التوصل إلى تعريف صوتي للمقطع، فالمقطع هو الصوت الذي يمثل قمة الإسماع، وهكذا فإن الكلمة السابقة تتكون من ثلاثة مقاطع، لهذا نسمي الحركات بالأصوات المقطعية، تعد مقاطع الكلمة حسب عدد الحركات التي تحتوي عليها.

إن أي حدث كلامي إذن يحتوي على مراحل مختلفة من الارتفاعات والانخفاضات والارتفاعات تمثل القمم، والانخفاضات تمثل الأودية، والصوت الذي يمثل القمة يعد نواة المقطع، أما الأصوات التي تمثل الأودية فهي هامشية في تكوين المقطع ولكنها تستخدم في تحديده، وقد توجد هذه الأصوات قبل النواة أو بعدها[١].

أنواع المقاطع في اللغة العربية:

تتحدد أنواع المقاطع في اللغة العربية حسب العناصر[٢] التي تتكون منها، وهكذا يمكن تقسيم المقاطع حسب تكوينها إلى ما يلي:

---

(١) Palmar, Descriptive Linguistics p. 25-30.

(٢) سيرمز إلى الصامت برمز «ص» وإلى الحركة برمز «ح».

(أ) **مقطع قصير:**

١ ـ ص ح أي مقطع يتكون من صامت وحركة كالمقطع: كَ ــَ تَ ــَ بَ ــَ في كلمة كَتَبَ.

(ب) **مقطع متوسط:**

١ ـ ص ح ص أي أنه يتكون من صامت وحركة قصيرة وصامت مثل يَكْ في كلمة «يَكْتُبُ».

٢ ـ ص ح ح أي أنه يتكون من صامت وحركة طويلة مثل المقطع كا في كلمة كَاتِبُ.

(ج) **مقطع طويل:**

١ ـ ص ح ح ص أي أنه يتكون من صامت وحركة طويلة وصامت مثل قَالْ، فهي تتكون من هذا المقطع وشرح ذلك كالآتي:

قــَــَ ل وهذا النوع من المقاطع يستخدم في آخر الكلمة في حالة الوقف فقط، وقد أوضحنا في القوانين الصوتية أن حق هذا المقطع التقصير إلاّ أنه سار في مسار المضاد للممهد ذلك أنه لو قصر لأدى إلى ضياع معالم الصيغة الصرفية، فمن المعروف أن قال فعل على صيغة فَعَلَ أصله: ق = و = ل.

وحذفت الواو نتيجة لوقوعها بين حركتين مثلين من هنا نشأت قَالَ، وفي الوقف تصبح قَالْ، والفتحة الطويلة هنا حقها التقصير لأنها متلوة بصامت، في آخر الكلمة ولكن منعها ذلك أن التقصير سيؤدي إلى نشوء صيغة «قل» وهذه صيغة ليست من الصيغ العربية.

٢ ـ ص ح ح ص ص أي أنه يتكون من صامت وحركة وصامتين (صامت مشدّد في حالة الوقف) مثل «شَابّ»، وفي هذا النوع من المقاطع تتبع الحركة الطويلة بصامتين (أو بحرف مشدد) وقد أوضحنا في

القوانين الصوتية أن هذا المقطع سار في المسار المضاد للممهد، ذلك أن من حق هذه الحركة التقصير ولكن التقصير هنا سيؤدي إلى اختلاط هذه الصيغة الصرفية بصيغة صرفية أخرى، فمن المعروف أن «شَابّ» اسم فاعل من الفعل «شَبَّ» فلو حدث التقصير لاختلط اسم الفاعل بالفعل الماضي، وهذا المقطع منبور دائماً[1] بعد أن انتهينا من شرح المقطع نعود إلى موضوعنا الأساسي وهو النبر، لقد أوضحنا أن النبر يعني بروز عنصر أو أكثر من غيره، وينشأ هذا البروز عن ضغط على الصوت وهذا الضغط كما يرى (هنري سويت) يرتبط بالتركيب لا بالتحليل، ولهذا الضغط جانبان جانب عضلي يتمثل في المجهود الذي يبذل لإخراج الهواء من الرئتين، وجانب صوتي يتمثل في العلو السمعي الناتج عن زيادة مدى الموجات الذبذبية التي تسبب الإحساس بالصوت.

(١) راجع في كل ما سبق د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة. ص ١٧٠ ــ ١٧٧. ود. عبد الصبور شاهين: المنهج الصوتي للبنية العربية. ص ٣٨ ــ ٤٠.

(٤)
النبر

رأينا أن النبر يعني بروز مقطع على غيره في النطق.

قواعد النبر:

١ ـ يقع النبر على المقطع الطويل الذي يتكون من ص ح ح ص أو ص ح ح ص ص إذا وقع في آخر الكلمة مثل «نستعينْ» أو «شَابّ».

٢ ـ يقع النبر على المقطع قبل الأخير بشرط أن يكون المقطع الأخير وقبل الأخير من النوع المتوسط أي الذي يتكون من ثلاثة عناصر سواء كان يتكون من ص ح أو ص ح ح نحو سَلَّمَ (س ـَ ل ل ـَ م) وقَاتَلَ (ق ـَ ـَ ت ـَ ل).

أو إذا كان الأخير قصيراً أي يتكون من ص ح وما قبل الأخير متوسط نحو أَخْرَجْتَ (ء ـَ خ ر ـَ ج ت ـَ).

ويقع على المقطع قبل الأخير أيضاً إذا كان ما قبل الأخير قصيراً في حالة من حالتين هما:

(أ) إذا بدئت به الكلمة نحو كتب (كـ ـَ ت ـَ ب ـَ).

(ب) إذا سبقت المقطع القصير والذي يتكون من ح ص مثل «إنْحَبَسَ» ء/ ـِ ن ح ـِ ب ـِ س ـِ.

٣ ـ يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير إذا كان الأخير وما قبله من نوع ص ح ص ـ ص ح نحو حَـاسَبْـك أو من نـوع ص ح ـ ص ح ح: حَاسَبوا[1].

(١) د. تمام حسان: العربية معناها ومبناها. ص ٣٠٤ ـ ٣٠٨.

المفصل:

المفصل سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ أو مقطع ما وبداية آخر[1].

ويقابل مصطلح المفصل في التراث العربي الوقف، فالوقف كما يقول الدكتور تّمام حسان مفصل من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسلة النطقية فينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية تعتبر كل دفعة منها وقفة تكليمية منعزلة[2].

علامات الوقف:

أولاً ـ بالنسبة إلى الإسم المنوّن:

(أ) الصحيح الآخر:

المفرد المذكر:

١ ـ إن كان التنوين واقعاً قبل فتحة أبدل ألفاً، ويشمل ذلك ما فتحته للإعراب نحو: رأيت زيداً، ورأيت زيدَا، وما فتحته لغير إعراب نحو إيها ويها ـ إيهَا ووبها، إذاً وإذَا.

٢ ـ إن كان التنوين واقعاً بعد ضمة أو كسرة، حذف وسكن ما قبله، كقولك في جاء زيدٌ، جاء زيدْ، ومررت بزيدٍ ـ مررت بزيدْ[3].

المفرد المؤنث:

١ ـ إن كان آخره هاء التأنيث وقف عليها بالسكون كقولك في «هذه فاطمة» أقبلت ـ هذه فاطمة، وهذا حمزه وهذه فتاه.

٢ ـ إن انتهى الاسم بالتاء الساكن ما قبلها فيوقف عليها بالسكون نحو هذه بنتْ.

---

(١) الصوت اللغوي، ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) نقلاً عن د. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. ص ٢٧٠.

(٣) ابن عقيل: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ص ٥٠٨.

جمع المؤنث:

يوقف على تاء جمع المؤنث بالسكون نحو هنداتْ(1).

(ب) الإسم المنقوص:

١ ـ إن كان منصوباً أبدل من تنوينه ألف نحو قولك في: رأيت قاضياً رأيت قاضيَا.

٢ ـ إن لم يكن منصوباً فيوقف عليه بحذف الياء نحو قولك في: هذا قاضي هذا قاضْ، ومررت بقاضي ـ مررت بقاضْ(2).

٣ ـ إن كان المنقوص محذوف العين نحو مُرٍ (إسم فاعل من أَرَى).

أو الفاء نحو يَفِي، يوقف عليه بإثبات الياء فيقال: مُرِي، ويَفِي.

ثانياً ـ بالنسبة إلى الإسم غير المنوّن:

(أ) الصحيح الآخر:

يوقف على الإسم غير المنون بوسيلة من الوسائل الآتية:

١ ـ باختلاس الحركة أي الإشارة إلى الفتحة أو الكسرة أو الضمة بصوت خفي يسمى الرَّوْم.

٢ ـ بالإشمام وذلك إذا انتهى الإسم بالضمة والإشمام عبارة عن ضم الشفتين بعد تسكين الحرف الأخير.

٣ ـ بالتضعيف ويشترط هنا أن يسبق الحرف الأخير بحركة مثل الجَمَل ـ والجَمَلّ.

٤ ـ بالنقل ويشترط فيه أن يسبق الحرف الأخير بسكون، وفي هذه

---

(1) المصدر نفسه، ٢/٥١٠.

(2) يجوز الوقف عليه بإثبات الياء كقراءة ابن كثير (ولكل قوم هادي).

الحالة يسكن الحرف الأخير وتنقل حركته إلى الساكن قبله، نحو: الضَرْبُ، والضَرُبْ.

(ب) الإسم المنقوص:

١ ـ إن كان منصوباً تثبت ياؤه ساكنة نحو رأيت القاضِي.

٢ ـ إن كان مرفوعاً أو مجروراً يجوز إثبات الياء أو حذفها نحو: هذا القاضي أو هذا القاضْ[1].

ثالثاً ـ إذا وقف على هاء الضمير:

(أ) إن كانت مضمومة نحو رأيته أو مكسورة نحو مررت به، حذفت صلتها ووقف على الهاء ساكنة فيقال: رأيته، ومررت به.

(ب) إن كانت مفتوحة نحو هذه رأيتها وقف على الألف ولم تحذف.

رابعاً ـ الفعل:

١ ـ الفعل الذي ينتهي بتاء التأنيث لا يحدث فيه تغيير نحو هند قامت.

٢ ـ يجوز الوقف بهاء السكت على كل فعل حذف آخره نحو:

لم يعط	ولم يُعْطِه
أعط	أَعْطِه
عِ	عِه
قِ	قِه
لم يع	لم يَعِه
لم يق	لم يَقِه

(١) شرح ابن عقيل، ٢/٥٠٩ ـ ٥١٠.

خامساً ـ الأدوات:

١ ـ إذا وقف على ما الاستفهامية بعد دخول حرف الجار عليها[١]، فإما أن يكون الجار لها حرفاً أو اسماً، فإن كان حرفاً جاز الحاق هاء السكت نحو عَمَّه وفيمَهْ، وإن كان اسماء وجب إلحاقها نحو اقتضاء مه ومجيء مه.

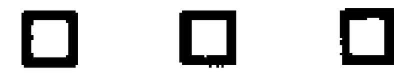
٢ ـ يجوز الوقف على كل متحرك بحركة بناء لأزمة بهاء السكت كقولك[٢] كيف كيفه.

التقسيم البروسوري:

هذا منهج من مناهج الدراسة الفونولوجية وأسس هذا المنهج فيرث وأتباعه في لندن في السنوات العشرين الماضية، ويختلف التقسيم البروسوري عن التقسيم المبنى على نظرية الفونيم في أنه لا يهتم مطلقاً بالفونيم سواء أكان وحدة صغرى في التقسيم أو وحدة فوق التركيبية تساعد على إيضاح الملامح المميزة، بل على العكس فإنه يتشابه تشابهاً معيناً مع آراء مدرسة براغ اللغوية.

يرى (فيرث) أن الكلمة تتكون من بعدين الأول أساسي يتكون من تتابع الوحدات الفونيمية والثاني التركيب الفوقي للكلمة.

ويهتم في هذا التركيب بإيضاح عدد التقابلات الفونولجية في الكلمة، وهذا يعني أن التقسيم البروسوري ينظر إلى الأبعاد المختلفة لتكوين الكلمة، في حين أن التركيب القائم على الفونيم يهتم بنوعين فقط من التركيب[٣].



---

(١) في هذه الحالة تحذف ألفها نحو عم تسأل، وبم جئت.

(٢) ابن عقيل، ٥١٢/٢.

(٣) Lyons, Theoretical Ling. p. 140.

الفصل الثاني

المورفيم، والمورفولوجيا

(١)
المـــورفيم

تعريف المورفيم:

هو أصغر وحدة في التقسيم النحوي، وبالتالي فهو يمثل طبقة أدنى من الكلمة ومنه تتكون وحدات الطبقة الأعلى[١].

مثال ذلك: المصريون عرب، هذه جملة تتكون من وحدتين هما:

المصريون وعرب. . . وكل وحدة من هاتين الوحدتين تمثل أعلى طبقة في التحليل اللغوي، فإذا حللنا الوحدة الأولى إلى وحدات أصغر منها سنجد أنها تتكون من الوحدات الصغرى الآتية: أل + مصر + ي + ون. أما الوحدة الثانية فتتكون من عرب + نون التنوين.

ونظرية المورفيم تساعد اللغويين على إيجاد شرح مرن للتقسيم النحوي في كل اللغات فهي تساعد على تجزىء النحو إلى وحداته الأساسية، وهي تمثل أهم فرق بين علم اللغة والفلسفة واستخدام مصطلح المورفيم في الدراسة النحوية أفضل من استخدام مصطلح الكلمة للأسباب الآتية:

---

(١) David Crystal , p. 105.

١ ــ إذا تركزت الدراسة حول الكلام المنطوق فلن يمكن وضع حدود لبداية الكلمة ولنهايتها لأننا في الكلام المنطوق لا نقف بعد كل كلمة ننطقها، ونحن نصادف هذه الصعوبة بالطبع عندما نحتك بلغة أجنبية لأول مرة، ذلك أننا نواجه خضمًا هائلاً من الضوضاء المتصل لا نستطيع في البداية أن نتعرف عليه، فالجمل تتحدد بوضوح ولكن لا توجد طريقة لتحديد أجزائها إلا بالتعمق في الدراسة وبالتالي لا نستطيع أن نعرف مثلاً عدد الكلمات التي تتكون منها الجملة، أو ما الحدود التي تفصل كلمة عن أخرى، ووضع الحدود بين كلمة وأخرى في لغة لم ندرسها من قبل أمر من الأمور الشائكة.

٢ ــ لا تعد الكلمة أصغر وحدة من الوحدات التي تكون الجملة لأن هناك كلمات يمكن أن تستعمل بمفردها جملة: نحو إِذْهَبْ، فهذه كلمة واحدة ولكنها تعبر عن جملة كاملة فهل هي كلمة أم جملة هنا.

٣ ــ هناك أجزاء من كلمات لا يمكن اعتبارها كلمة ولكنها مهمة في تركيب الجملة مثل حروف الجر ومثل اللواحق التي تعبر عن التثنية أو الجمع أو التأنيث والضمائر المتصلة التي تتصل بالفعل مثل: قَتَلَنِي وقَتَلْتُهُ، ومثل اللواصق كأداة التعريف (أل).

٤ ــ هناك وحدات معجمية تعبر عن معناها باتحاد كلمتين مثل معد يكرب. وحضرموت، فهذه الوحدات تتكون من كلمتين فكيف نصفها نحوياً هنا.

لهذا بدأ كثير من اللغويين في الأربعينات يميلون إلى إسقاط مصطلح الكلمة من الاعتبار في الدراسة النحوية والبحث عن مصطلح آخر يكون أكثر ملاءمة في التقسيم النحوي، وبذلك تمهد الجو لظهور فكرة المورفيم لحل المشكلات الناتجة عن عدم تحديد وتصنيف العناصر النحوية التي فشل مصطلح الكلمة في إيضاحها وبالتالي استخدم مصالح المورفيم لتحديد أجزاء الجملة سواء كانت كلمات أو أجزاء من كلمات فهذا المصطلح إذن عام ودقيق في نفس الوقت، فالوحدات التي تستخدمها اللغات اللاصقة كاللغة التركية مثلاً،

ستظهر في ظل نظرية المورفيم على أنها أجزاء أساسية في تكوين الجملة واستخدام مصطلح المورفيم يساعد على المقارنة بين نحو اللغات المختلفة أو على التقابل بين النحو في لغتين مختلفتين، ويساعد المورفيم على حصر مورفيمات اللغة المعينة وتصنيفها بسهولة كبيرة[١].

أنواع المورفيم:

للمورفيم نوعان: حُرٌّ، ومقيد.

فالمورفيم الحر هو الذي يستقل بنفسه مثل ضَرَبَ، ومُحَمَّد، وعلي.

والمورفيم المقيد هو الذي لا يستقل بنفسه ويتصدر مورفيًا مستقلاً نحو الهمزة في أَكْتَبَ، أو يكون حشواً كالألف في كَاتَبَ، أو يلحق طرف الكلمة كتاء التأنيث في فَاطِمة.

١ ـ المورفيم الحروفية يهتم اللغوي بدراسة الصيغ وعلاقاتها التصريفية من ناحية والاشتقاقية من ناحية أخرى.

٢ ـ المورفيم المقيد ويهتم فيه اللغوي بحصر كل المورفيمات التي تلحق المورفيم الحر سواء أكانت صدوراً أو أحشاءاً أو إعجازاً[٢].

المورفيم والمورف: (Morphem & Morph)

إذا نظرنا إلى كلمة مثل أكبر سنجد أنها تدل على معنى صوتي عام هو التفضيل، وقد عبر عنه بعلامة خاصة أو صيغة خاصة هي أكبر، لذلك يطلق على المعنى الصرفي اسم المورفيم. ويطلق على العلامة أو الصيغة التي تعبر عنه اسم مورف (Morph)[٣].

ويقابل المورفيم والمورف في اللغة العربية الوزن والصيغة، فالمعنى الذي

---

(١) د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص ٢٠٤.
Lyons: Theoretical Ling. p. 150.

(٢) د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة. ص ٢٠٤.

(٣) Lyons: Theoretical. p. 150.

يدل عليه الوزن هو المورفيم وصيغةالوزن هي المورف، فإذا حاولنا تحليل «كاتَبَ» مثلاً نقول أنه مـورفيم يدل عـلى المشاركـة، أما المـورف أو وزنه فهو فَاعَلَ، والصيغة التي أمامنا هي كَاتَبَ، وبالطبع فلن نتعرض في دراسة النحو إلى المعنى الدلالي للصيغة كَاتَبَ، لأن هذا من اختصاص المعجم[1].

المورفيم والألومورف:

يحدث في كثير من اللغات أن لا يُعَبَّر عن المورفيم المعين بنفس المورف، ولكن يعبر عنه بعدد من المورفات (Morphs) في بيئات مختلفة، وتسمى العناصر المعبرة عن المورفيم الواحد ألو مورفات، مثل لذلك: مورفيم المطاوعة في اللغة العربية، فيعبر عنه بـ ألو مورفات مختلفة هي:

١ ـ الألف والنون في صيغة انفعل مثل انكسر.
٢ ـ الألف والتاء في صيغة افتعل مثل اعتدل.
٣ ـ التاء تضعيف العين في صيغة تَفَعَّل مثل تكسر.

معنى هذا أن المورف اختلف ولكن كل هذه المورفات تعبر عن مورفيم واحد هو المطاوعة.

ومن أمثلة الألومورفات في العربية الواو والنون للدلالة على جمع المذكر السالم في حالة الرفع كما في: المحمدون حاضرون، والياء والنون في حالتي النصب والجر كما في: سرت مع المحمدين، وشاهدت المحمدين، والألف والتاء لجمع المؤنث السالم كما في: المسلمات مؤمنات.

التعبير السلبي عن المورفيم: (Zero Morphem)

إذا حللنا جملة: كَتَبَ الدَّرْسَ، فإننا سنجد أنها تتكون من المورفيمات الآتية فعل + فاعل + مفعول، والفعل علامته كتبَ، والفاعل ليس له علامة، وإذا تأملنا هذا الفعل نجد أنه يحتوي بالضرورة على ضمير الغائب معنى، هذا لأن صيغة الفعل الماضي غير المسندة إلى شيء تعبر بذاتها عن مورفيم الفاعل

(١) د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة. ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨.

وهو ضمير الغائب، ويقال هنا: إنه عبر عن الفاعل بعلاقة سلبية أو (Zero Morphem) ويقابل هذا في المصطلح العربي القديم الاستتار، والإعراب على المحل نحو موسى في جملة جاء موسى، والاسم المنقوص في حالتي الرفع والجر: القاضي عادل، وكذلك الاسم المضاف إلى ياء المتكلم في: كتابي جديد[1].

(١) Lyons: Theoretical Ling. p. 155.

(٢)
الدراسات الصرفية
أو المورفولوجية

أهمية الدراسة الصرفية:

تساعدنا الدراسة الصرفية على إيضاح العلاقات النحوية بين الكلمات في داخل الجملة وعلى تحليل البناء الداخلي للكلمات وحصر المورفيمات المتصلة التي تلحق بكل نوع من أنواع الكلمات سواء ألحقت في البداية أو في الوسط أو في الطرف.

١ ـ إيضاح العلاقات النحوية في داخل الجملة:

العلاقات النحوية للكلمات في داخل الجملة ثلاث هي: الموقعية والتضام والاستبدال... فإذا افترضنا أن شخصاً لا يعرف اللغة العربية ويريد أن يتعلمها، فإذا لم يعرف الأجناس الصرفية لكل كلمة من الكلمات الآتية: جرى ورجل وحصان وزكي، فإنه يصعب عليه تحليل أي جملة تحتوي على هذه الكلمات أو على بعضها، أما إذا عرف جنسها الصرفي فإن هذا يساعده على تحليل الجملة التي تحتوي عليها أو على بعضها، وهكذا يستطيع تحليل الجمل الآتية:

	(أ)	(ب)
١ ـ	جرى رجل	جرى حصان
٢ ـ	*جرى رجل ذكي	جرى حصان ذكي
	جرى رجل [+ ذكي]	جرى حصان [- ذكي]

إذا نظرنا إلى الأمثلة في رقم (١) نجد أن الجملتين (أ) و(ب) صحيحتان، لأن جرى فعل وكل من رجل وحصان اسم ـ وقد تضام الاسم إلى الفعل أو كما يقول النحاة العرب أسند الاسم إلى الفعل فنتج جملة فعلية تتكون من فعل وفاعل.

أما إذا نظرنا إلى الأمثلة في رقم (٢) سنجد أن كلمة ذكي وقعت بعد الفاعل في المثال (أ) و(ب)... وهذه الكلمة صفة والصفة تضام الاسم قبلها في ضوء أربعة شروط هي العدد والجنس والتعيين والعلامة الإعرابية... ولما كانت كلمة ذكي صفة، فإنها وصفت كلمة الرجل في المثال (٢ أ) بالذكاء، لهذا فالعلاقة بينهما موجبة ولكن هذه الصفة لا يمكن أن تضام كلمة حصان إذا استبدلناها بكلمة رجل كما في المثال (٢ ب) لهذا توصف العلاقة بين حصان وذكي بأنها علاقة سلبية، والذي يحدد العلاقة الإيجابية والسلبية في التضام بين الكلمات هو أولاً الجنس الصرفي وثانياً المعنى المعجمي... من هنا يمكن القول إنه لا يمكن استبدال كلمة رجل بكلمة حصان لاستخدام نفس الصفة وهي (ذكي).

من هذا العرض يتضح لنا أهمية إيضاح الجنس الصرفي للكلمات في اللغة المعينة...

والأجناس الصرفية في العربية هي الاسم والفعل والصفة والظرف والضمير والخوالف والأداة[1]...

٢ ـ حصر المورفيمات المتصلة التي تلحق بالكلمة سواء ألحقت في البداية أو في الوسط أو في الطرف:

إن إيضاح الجنس الصرفي للكلمة يساعدنا على تحديد المورفيمات المتصلة التي تلحق بالكلمات فاللاحقة أل تتصدر الاسم والصفة، وحروف المضارعة تتصدر الفعل وكذا لا النافية أو الناهية ولم ولن تتصدر الفعل. والتنوين يلحق أواخر الاسم المتمكن الأمكن... والجر بالكسرة يوضح أن الكلمة اسم والجزم بالسكون يوضح أن الكلمة فعل وهكذا...

---

(١) د. تمام حسان: العربية معناها ومبناها. باب الصرف.

٣ ـ تحليل البناء الداخلي للكلمات:

إن دراسة الأوزان الصرفية المجردة والمزيدة والإعلال والإبدال وما يرتبط به من الأوزان الصرفية تمثل حقلاً خصباً لتحليل البناء الداخلي للمفردات... وهذا يعني أن الصرف يهتم بتقسيم الكلمة إلى كلمة مجردة ومزيدة، ثم يوضح المورفيمات المتصلة والتغييرات التي تطرأ على الجذر لتكوين الصيغة المزيدة، مثل كَتَبَ، واكْتُب وكاتبَ واستكتب، وكَتَّبَ... وإذا كان الجذر معتلاً نحو قال، فإن من مجال الصرف تتبع التغيير الذي يطرأ على الألف (الفتحة الطويلة في قال) نحو قال يقول قولاً... أقال يقيل، وقام يقوم، أقام أقوم...

ويهتم الصرف أيضاً بإيضاح المورفيمات الدالة على العدد أي التثنية والجمع، والجنس أي التأنيث والتذكير، والإعراب أي علامات الإعراب المختلفة.

مجال البحث في الصرف:

يتركز مجال البحث في الصرف على إيضاح الأجناس الصرفية للكلمات في اللغة المعينة والخصائص الوظيفية لكل جنس... وحصر مباني كل جنس صرفي.

١ ـ إيضاح الأجناس الصرفية للكلمات:

هناك لغات لا تميز بين الأجناس الصرفية لكلماتها، منها على سبيل المثال الصينية والفيتنامية[١]، إلا أن معظم اللغات تميز بين أجناس صرفية عديدة للكلمات فيها...

وفي العربية يمكن تقسيم الأجناس الصرفية إلى ما يلي: اسم وفعل وضمير وصفة وظرف وأداة... ويعتمد هذا التقسيم على أربعة أسس هي:

١ ـ **معنى كل جنس من هذه الأجناس**: فالاسم معناه أنه يدل على معين كالعلم أو على حدث كالمصدر أو على جنس ومنه اسم الجنس الجمعي

---

(١) Robens: General Linguistics. p. 216.

كعرب واسم الجمع كإبل أو على مبهم وهو الذي يدل على جهة ووقت وميزان ومكيال ومقياس وعدد[١]، والفعل معناه ما دل على حدث وزمان. . . والضمير هو ما دل على شخص متكلم أو حاضر أو غائب، والصفة هي ما تدل على موصوف، والظرف يعبر عن معنى الجهة[٢]، والأداة تقوم بوظيفة الربط بين الكلمات في داخل الجملة.

٢ ـ **البناء الخاص لكل جنس صرف**: للأسماء أبنية تختلف عن أبنية الأفعال وكل منهما تختلف عن أبنية الضمير.

٣ ـ **الخصائص الصرفية لكل جنس صرفي**: قد يحدث أن تشترك البنية الصرفية الواحدة في التعبير عن أكثر من جنس صرفي نحو صيغة فَعَل فقد تعبر عن الاسم كما في جَمَل وعن الصفة كما في حَسَن وللتمييز بين الأجناس الصرفية التي يعبِّر عنها بصيغة واحدة نلجأ إلى جداول تسمى جداول التصريف. وجداول التصريف ثلاثة، وهي:

(أ) جدول إلصاق: وهو الذي يوضح المورفيمات المقيدة التي تلحق بالأسماء أو تلك التي تتصل بالأفعال.

(ب) جدول اشتقاق: وهو الذي يوضح العلاقة الاشتقاقية بين الصيغة والصيغة الأخرى كالفعل واسم الفاعل واسم المفعول وصيغ المبالغة واسم التفضيل.

(ج) جدول إسناد: وفيه تسند الصيغة الصرفية المعينة التي تقبل الإسناد بحسب الشخص (أي المتكلم والمخاطب والغائب).

وتستخدم هذه الجداول كذلك لتحديد الجنس الصرفي لكلمة لم تساعدنا صيغتها على ذلك. . . فكلمة باع عندما تكون ساكنة الآخر يصعب تحديد جنسها الصرفي لذلك نلجأ إلى هذه الجداول لإيضاح جنسها الصرفي.

---

(١) د. تمام حسان: العربية معناها ومبناها. ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) يقصد بالجهة العنصر الصرفي الذي يحدد زمن الفعل. راجع العربية معناها ومبناها، ص ١٢٢.

١ ـ **جدول الإلصاق**: يوضح عن طريق المورفيمات المقيدة التي تقبلها جنسها الصرف:

١	٢
باع	باع
الباع	ـ
الباعة	باعت
ـ	لم يبع. لن نبيع. لا تَبع[1]
ـ	بِعْ

□ **الخلاصـــة**:

(أ) الجدول رقم (١) يوضح المورفيمات التي تقبلها الأسماء.

(ب) الجدول رقم (٢) يوضح المورفيمات التي تقبلها الأفعال.

(ج) الكلمة في الجدول رقم (١) اسم، وفي الجدول رقم (٢) فعل.

٢ ـ **جدول الاشتقاق**: تصريف الكلمة في هذا الجدول يوضح أنها فعل أو صفة، فإذا كانت الكلمة اسمًا فإنها لا تقبل الدخول في هذا الجدول.

ماض	باع
مضارع	يبيع
أمر	بع
اسم فاعل	بائع
اسم مفعول	مبيع
صفة مشبهة	ـ الفعل متعدي
أفعل التفضيل	ـ الفعل متعدي

---

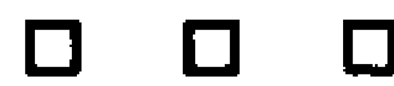
(١) د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة. ص ٢٢٣ ـ ٢٢٩.

(٢) د. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة. ص ٩٩ ـ ١٠١.

٣ ـ جدول إسناد: دخول الكلمة في هذا الجدول يعني أنها فعل:

	ماضٍ	مضارع
متكلم	بِعتُ	أبيعُ
مخاطب	بعتَ	تبيعُ
مخاطبة	بعتِ	تبيعينَ
غائب	باع	يبيعُ
غائبة	باعتْ	تبيعُ
مخاطبان	بعتُما	تبيعانِ
غائبان	باعَا	يبيعانِ[1]

٤ ـ الوظيفة النحوية التي يؤديها كل عنصر صرفي: وتشمل الوظيفة كما أوضحنا من قبل، الموقع والتضام والاستبدال[2]، وتساهم هذه العوامل الثلاثة مجتمعة في تحديد الوظيفة النحوية للجنس الصرفي... فالاسم مثلاً يقع قبل اسم آخر في الجملة الاسمية، وفي هذه الحالة نجعل أحدهما مبتدأ والآخر خبراً نحو أخي مهندس... وقد يقع الاسم بعد فعل ليكون فاعلاً له نحو أكل الولد... أما الصفة فتقع بعد الاسم الموصوف بها ويشترط لذلك المطابقة في العدد والجنس والتعيين والحركة الإعرابية، لذلك نقول الولد الطويل مسرع... وجاء الولد الطويل... وهكذا.



(١) المرجع نفسه.

(٢) Robens: General Linguistics. p. 216.



الفصل الثالث

النحو الشكلي

معنى كلمة نحو:

يهتم النحو بتركيب العناصر التي يتكون منها الكلام، وتحديد الأماكن الوظيفية التي تشغلها، والعلاقة القائمة بين كل عنصر وعنصر آخر في التركيب، وتقوم دراسة النحو على محورين كما رأينا ذلك عند دي سوسير وهما محور أفقي (Syntagmatic) ومحور رأسي (Paradigmatic)(١).

نظرية النحو الحديثة:

توصف نظرية النحو الحديثة بأنها شكلية، في حين توصف نظرية النحو القديمة بأنها نظرية، يقول جسبرسن إن نظرية النحو التقليدية تعتمد على الافتراض لتفسير بعض الظواهر اللغوية(٢) التي لا تنسجم مع القواعد الموضوعة لوصف اللغة المعينة.

ونستطيع أن نستدل على صحة كلام جسبرسن من أن البصريين يرون أن (إذا) وهي ظرف ماضٍ غير محدد، تلزم الإضافة إلى الجملة الفعلية، ولا تضاف إلى الجملة الاسمية نحو آتيك إذا قام زيد(٣) ولكن إذا حَدَث وأضيفت إلى جملة اسمية فإن النحاة البصريين يقدرون فعلاً محذوفاً، يفسره المذكور، وهكذا أعربوا الاسم الواقع بعد (إذا) فاعلاً لفعل محذوف يفسره

(١) Robens, General Linquistics, p. 171.

(٢) Lyons, Theoretical Ling, p. 155.

(٣) ابن عقيل، ٢/٦١.

الفعل الذي يلي هذا الإسم، ونستطيع أن نجد هذا الإعراب في قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم إنكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت﴾ (سورة التكوير: آية ١ ـ ٤) وفي قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت، وإذا البحار فجرت، وإذا القبور بعثرت﴾ (سورة الإنفطار: آية ١ ـ ٤). ونحو قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت، وإذا الأرض مدت﴾ (سورة الانشقاق: آية ١، ٣).

أما النظرية الحديثة في النحو فتوصف بأنها نظرية شكلية، وتقوم هذه النظرية على رفض الافتراض النظري في تفسير الظواهر النحوية، وتهتم سواء على المستوى النظري أو التطبيقي بدراسة الصيغ والوظائف التركيبية والعلاقة بين العناصر المختلفة داخل الجملة وقد سبق أن أوضحنا عند دراستنا للملامح العلمية لعلم اللغة أنه علم تجريبي. والعلوم التجريبية تقوم على الملاحظة، والنحو الشكلي يعتمد اعتماداً كبيراً على الملاحظة في دراسته. إن الدراسة القائمة على الملاحظة توضح أركان النظام الذي تتبعه اللغة المعينة لأداء وظيفتها وهي الاتصال بين أفراد الجماعة الذين يتكلمون هذه اللغة. ولا يحتاج هذا النظام إلى مقارنته بنظام لغة أخرى لأن المتكلمين الوطنيين للغة المعينة يعرفون هذا النظام من خلال ممارستهم اليومية للغتهم ولا يحتاجون أيضاً لمعرفة نظام لغتهم إلى الإلمام بتاريخ هذه اللغة... معنى هذا أن الملاحظة لهيكل النظام الاتصالي للغة المعينة تؤدي إلى إيضاح هيكل هذا النظام.

وترفض نظرية النحو الشكلي الاعتماد على المعنى لتفسير العلاقات بين العناصر في داخل الجملة، فمثلاً إذا كان لدينا العناصر الآتية: لعب، الولد، في، الحديقة. فإن النحو الشكلي يهتم بأسس توزيع هذه العناصر لتكوين جملة مقبولة فمثلاً العنصر لعب قد يأتي قبل عنصر الولد أو بعده، أما العنصر (في) فإنه يرتبط بالعنصر لعب ويأتي بعده دائماً، والحديقة عنصر يلي (في) مباشرة وهكذا فهذا التصنيف لخصائص كل عنصر يساعدنا على تركيبها وتكوين الجملة الآتية: لعب الولد في الحديقة أو الولد لعب في الحديقة. من هنا نرى أن العنصر اللغوي الذي يسبق(أل) يأتي قبل الفعل أو بعده، ويمكن أن يأتي بعد

حرف الجر «في» مثلاً، والعنصر الذي يقابل (أل) في اللغة العربية هو التنوين، وهذا يعني أن العنصر المّنون له نفس الخصائص التي للعنصر المحلى بـ (أل) من هنا ترى نظرية النحو الشكلي عدم الاعتماد على المعنى لتفسير العلاقة بين العناصرفي داخل الجملة والإستعاضة عنه بمبدأ التوزيع[1].

وتهتم نظرية النحو الشكلي فضلاً عن مبدأ التوزيع بمبدأ آخر وهو مبدأ إيضاح العلاقات بين العناصر على مستويات مختلفة، وهي مستوى التركيب، ومستوى الصيغ الصرفية والأبواب النحوية.

وتلجأ نظرية النحو الشكلي إلى المعنى عندما تفسر العلاقة بين عنصرين يمكن عزوهما لملامح نحوية مختلفة... فمثلاً قم قائمًا يصعب تفسير العلاقة بين هذين العنصرين إلا بالرجوع إلى المعنى فقائمًا هنا بمعنى قياماً أي قم قياماً وبالتالي تكون (قائمًا) بمثابة مفعول مطلق لفعل الأمر (قم).

الوحدات النحوية:

□ أسس عامة:

ركزت الدراسات النحوية التقليدية على إيضاح الفرق بين الكلمة والجملة، فكانت تميز بين الجملة والأخرى بواسطة علامة من علامات التنقيط، وكانت تتميز بين الكلمة والأخرى بالاعتماد على الشكل الكتابي، ولم تهتم هذه الدراسات بتقسيم الكلمة إلى وحدات أو عناصر أصغر من الكلمة، في حين أن كل اللغات الإنسانية تستخدم العناصر الصغرى في إيضاح العلاقات النحوية المختلفة، ومثال ذلك في العربية: المسلمون، فهذه الكلمة تتكون من العناصر الثلاثة الآتية: أل + مسلم + ون، ويدل العنصر الأول وهو (أل) على التعريف ويدل العنصر الثاني وهو (مسلم) على شخص يدين بالإسلام، ويدل العنصر الثالث (ون) على جمع المذكر السالم في حالة الرفع، ومثال ذلك في الانجليزية كلمة (Unacceptable) فهي تتكون من العناصر الآتية: (un + accept + able).

---

(١) راجع حديثنا عن إتجاه المدرسة الأميركية التوزيعية.

ولكل عنصر من هذه العناصر خصائص توزيعية وهذه العناصر أقل الوحدات التي لا يمكن تحليلها إلى وحدات أقل منها، والوحدات الصغرى في التقسيم النحوي التي تتكون منها الكلمة هي ما اصطلح عليه باسم المورفيم (Morpheme) لذلك أصبح لدينا ثلاث وحدات في التقسيم النحوي هي: الجملة والكلمة والمورفيم.

ولاحظت نظرية النحو الشكلي أن بين الكلمات والجمل وحدتين آخريين هما التركيب الإسمي والتركيب الفعلي.

□ التركيب الإسمي:

يقصد به مجموعة من العناصر ترتبط ببعضها وتصلح لأن تشغل وظيفة واحدة في الجملة أي أنها تساوي نحوياً كلمة مفردة، فيستبدل بمجموع عناصرها اسمًا.

وأقسام التركيب الإسمي هي:

١ ــ الاسم المعرَّف بأداة التعريف مثل الرجل أو الاسم المنّون مثل ــ رَجَلٌ.

٢ ــ الجار ومجروره نحو بحسبك درهم. . . فـ «بحسبك» مركب يتكون من حرف جار ومجرور ويمكن أن يستبدل به اسم هو حسبك ولهذا يعرب كل هذا المركب مبتدأ، وكذلك الأخ في الدار فالمركب الاسمي هنا هو في الدار ويمكن أن يستبدل بـ كلمة واحدة ولهذا يعرب خبرا.

٣ ــ الإضافة المحضة وهي الإضافة التي تفيد المضاف تخصيصاً إذا كان المضاف إليه نكرة نحو هذا كتابُ ولد وتعريفاً إن كان المضاف إليه معرفة نحو هذا غلام زيدً.

٤ ــ المصدر المؤول من أن والفعل المضارع أو ما والفعل المضارع لأنه يساوي نحوياً اسمًا واحداً نحو قوله تعالى: ﴿أن تصوموا خير لكم﴾ فتركيب أن تصوموا) يتكون من أن + تصوم + واو الجماعة، وهذا تركيب اسمي لأنه يساوي نحوياً اسمًا واحداً هو صومكم. ويعرب مبتدأ.

٥ ـ التابع والمتبوع ويشمل ذلك النعت والتوكيد والبدل والعطف. على نحو ما سنشرحه فيما بعد.

□ التركيب الفعلي:

يقصد به مجموعة العناصر التي ترتبط بالفعل لتفيد التخصيص أو النسبة أو التبعية[1] ويشمل كذلك مجموعة العناصر التي يمكن أن يحل محلها فعل وهي:

١ ـ المصدر العامل وهو المصدر الذي يكون نائباً مناب فعل الأمر نحو ضربا زيْداً... أو المصدر المضاف وقد يضاف المصدر إلى الفاعل فيجره، ثم ينصب المفعول نحو عجبت من مُشْرب زيد العسَل، وقد يضاف إلى المفعول فيجره، ثم يرفع الفاعل نحو: عجبت من شَرْبِ العسل زَيْدٌ وقد يضاف المصدر إلى الظرف، ثم يرفع الفاعل وينصب المفعول نحو عجبت من ضَرْب اليوم زيدٌ عَمّراً.

ويعمل المصدر كذلك وهو منون نحو قوله تعالى: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيمًا﴾. أو وهو محلى بالَ نحو قول الشاعر:

ضعيف النكاية أعداءه ... يخال الفِرَارُ يُراخى الأجَلْ[1]

٢ ـ الوصف العامل ويشمل اسم الفاعل وإسم المفعول والصفة المشبهة نحو أضارِبٌ زيداً عمراً... يا طالعاً جبلاً، ما ضاربٌ زيداً عمراً.

وهناك وحدة أخرى ثالثة هي الجملة وتستخدم للتعبير عن موقع نحوي معين وهذه الجملة قد تكون اسمية أو فعلية، وهذا يعني أن وحدة الجملة في هذا الاستخدام تساوي نحوياً كلمة واحدة، ولهذا تعرب الجملة الآتية خبراً. (أشكالها جميلة) في جملة الازهار أشكالها جميلة.

---

(١) راجع تفصيل الحديث عن التركيب الفعلي فيما بعد.

(٢) راجع في كل ما سبق ابن عقيل باب إعمال المصدر.

◻ الجملة:

يقول بلو مفيلد (Bloomfield) إن الجملة شكل لغوي مستقل وهي أكبر الوحدات اللغوية في الوصف النحوي...

◻ الكلام:

يقول هاريس (Harris) إن الكلام هو كمية حديث الشخص الواقعة بين سكتتين، الأولى قبل بدئه والثانية بعد انتهائه.

ويرى (بلو مفيلد) أن الكلام ليس أكبر من الجملة في الوصف النحوي، لأنه يتضمن جملة واحدة أو جملتين أو ثلاث، ولا يوجد بينها تنظيم نحوي، فما يلي هو كلام: كيف حالك؟ هذا يوم عليل. هل ستلعب تنس بعد الظهر... باستعراض هذه الجمل لا نجد رابطة نحوية بينها.

الكلام الذي يصعب تفسيره نحوياً (Ready made utterance) يتكون أكثر الكلام من جمل والجمل تخضع للوصف النحوي، ويستنبط من استقرائها قواعد تكوينها، ومن الكلام ما يصعب وصف تركيبه النحوي، مثل النداء في اللغة العربية. مثال: أنت يا حسنُ ويا عبدَ الله... هنا يصعب تفسير هذا التركيب نحوياً، فكيف نعلل وجود الضمة والفتحة في المنادى الأول والثاني على التوالي[1]. حقاً إنه يشبه الجملة في أنه مستقل بنفسه ولا يحتاج إلى غيره، بخلاف مثل قولك (أمسِ) جواباً عن السؤال، متى جئت؟ وهي اختصار لجملة: جئت أمس، فأمس هنا جملة، ولكن النداء ليس بجملة، وهو إن كان مستقلاً بنفسه إلا أنه لا يخضع للتفسير النحوي العادي، وهذا النوع من الكلام هو الذي أطلق عليه دي دوسير الكلام الجاهز (Ready made utterance) وأطلق عليه د. تّمام حسان المسكوكات، وهذا الكلام بمثابة تعبيرات غير قابلة للتحليل النحوي ويستخدمه المتكلمون الوطنيون في مناسبات معينة، ومن وجهة النظر النحوية الدقيقة فهذا النوع من الكلام لا يعد جملة فتركيبه الداخلي يختلف عن

---

(١) الصعوبة هنا ناشئة عن الأخذ بالنظرية الشكلية التي ترفض نظرية التقدير التي استخدمها اللغويون العرب في تفسير الضمة والفتحة.

تركيب الجمل التي تخضع للوصف النحوي، فالضم في «يا حسنُ»، يصعب تعليله، وكذلك الفتح في «يا عبد الله» وكذلك الضم والفتح بعد أسماء الأفعال نحو هيهاتِ زيدٌ ودراكِ زيداً، ذلك أن أسمى الفعلين هيهاتِ، ودراكِ، ليسا فعلين لأنها لا يتصرفان تصرف الأفعال كما سيتضح لنا فيما بعد، ولكن مع ذلك ففي الوصف العام للغة يجب أن ننظر إلى مثل هذا النوع على أنه جملاً ونسميها في هذا البحث الجمل المسكوكة.

□ أنواع الجمل:

تصنف الجمل على أساسين، وظيفي وتركيبي.

□ الأساس الوظيفي:

وفيه تقسم الجملة إلى خبرية وإنشائية.

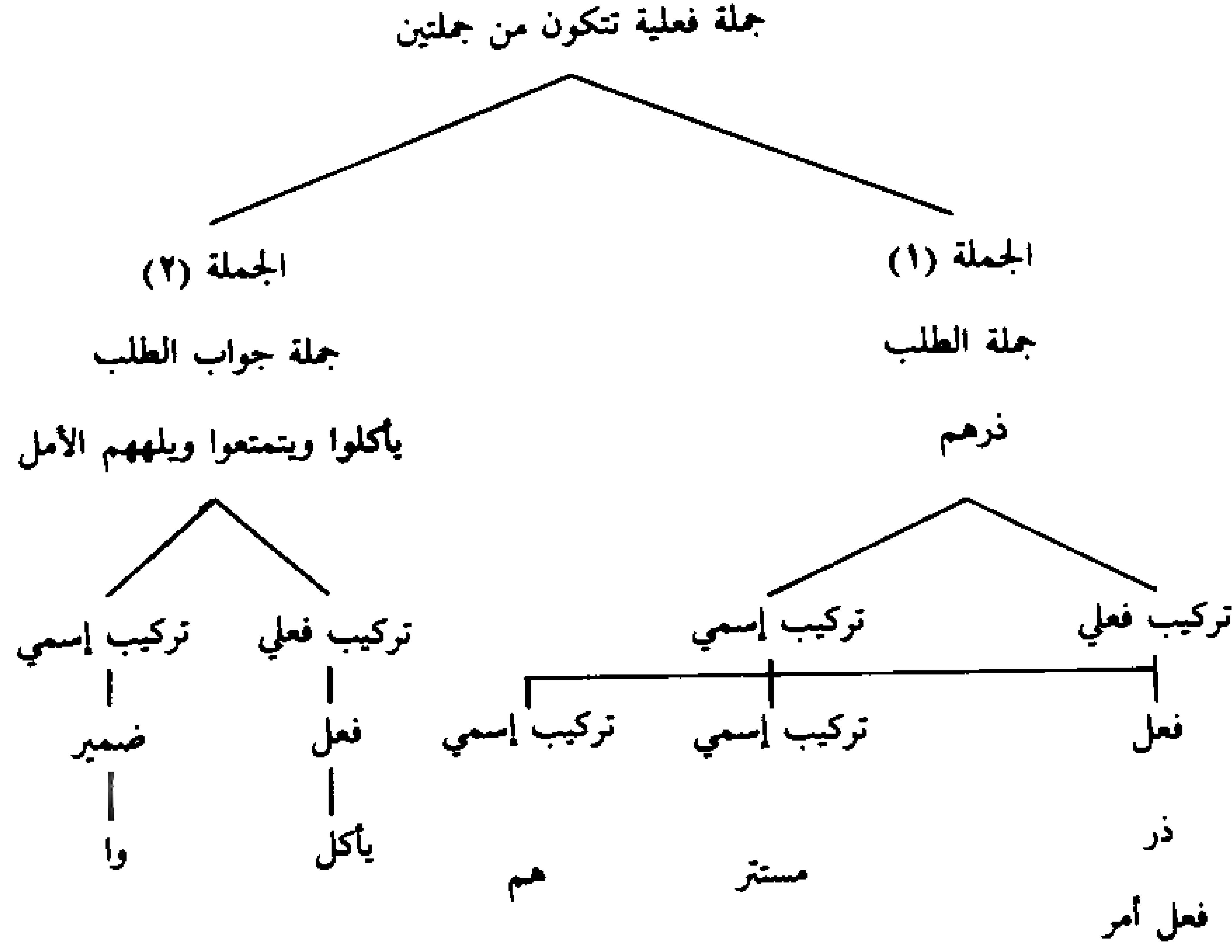
- الجملة الخبرية: تنقسم إلى جملة مثبتة ومنفية ومؤكدة.
- الجملة الإنشائية: تنقسم إلى ثلاثة أنواع هي: طلبية وشرطية وإفصاحية.

١ - الطلبية تشمل جملة الإستفهام والأمر والنهي والعَرْض والتخصيص والتمني والترجي.
٢ - الشرطية والقسم.
٣ - الإفصاح ويشمل المدح والذم والتعجب.

□ الأساس التركيبي:

وفيه تقسم الجملة إلى بسيطة ومركبة، وتتكون الجملة البسيطة من جملة واحدة، أما الجملة المركبة فتتكون من جملتين أو أكثر «جاء الذي عرفته في الحجِّ»... فـ(جاء الذي) جملة تتكون من الفعل جاء والفاعل الذي، (وعرفته في الحج) جملة أخرى جاءت لإيضاح الغموض في اسم الموصول الذي، واعتبرناها جملة ثانية لأنها لا تساوي نحوياً كلمة واحدة ولهذا يقول النحاة إن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب...

ومن الجمل التي تتكون من جملتين جملة الشرط، والجملة الفعلية التي يقع فعلها مجزوماً في جواب الطلب، مثل قوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل﴾ (سورة الحجر: آية٣) وقوله تعالى: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم﴾ (سورة إبراهيم: آية ٣١) وتحلل الجملة الأولى كالآتي:



ومن الجمل التي تتكون من جملتين الجملة التي تحتوي على فعل منصوب بعد فاء السببية أو واو المعية في جواب نفي محض. مثل قوله تعالى: ﴿لا يقضي عليهم فيموتوا﴾ (سورة المرسلات: آية ٢٨) وقوله تعالى: ﴿لا يقضي عليهم فيموتوا﴾ (سورة المرسلون: آية ٣٦) وقوله تعالى: ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين﴾ (سورة البقرة: آية ١٤٢) أو طلب محض بأنواعه المختلفة وهي الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والعرض والتخصيص والتمني، مثل قوله تعالى: ﴿ولا تفتروا على الله كذباً فيُسْحِتَكُمْ بعذاب﴾ (سورة طه: آية ٦١) وقوله تعالى: ﴿ربنا إطمس على أموالهم واشدد

على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (سورة يونس: آية ٨٨) وقوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ (سورة الأعراف: آية ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق﴾ (سورة المنافقون: آية ١٠) وقوله تعالى: ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيًما﴾ (سورة النساء: آية ٧٣)(١).

ومن هذه الجمل أيضاً جملة القسم فهي تتكون من جملة القسم وجوابه نحو أقسم بالله لأفعلَن(٢).

التركيب النحوي:

أوضحنا من قبل أن الكلام في اللغة المعينة ينقسم إلى وحدات أكبرها من الناحية النحوية الجملة ـ والجملة نوعان: الأول وفيه يمكن تحليل الجملة واستنباط قواعد تركيبها لأن الكلمات تخضع لنظام معين في تركيبها. والثاني لا يمكن فيه تحليلها وبذلك يصعب تفسيرها نحوياً، مثل ذلك النداء في العربية: فالمنادي يُبنى على ما يرفع عليه في نحو يا محمد، وينصب في نحو: يا عبد الله، ويا ولداً...

إن تفسير البناء في الضم والنصب على الفتح أمر صعب من وجهة نظر النحو الشكلي الذي لا يلجأ إلى الافتراض والتأويل كما تلجأ الدراسات التقليدية... وهذا النوع من الجمل لا يمكن وصفه من الناحية النحوية الدقيقة جملة، ولكننا نسميه جملة تجاوزاً... ودراستنا في النحو الشكلي لن تتناول بالتفسير هذا النوع من الكلام.

العناصر المباشرة:

أول من استخدم هذا المصطلح هو اللغوي الأميركي بلو مفيلد (Bloom Field) ولكي نفهم المراد به نورد المثال الآتي:

«الولد الطويل جرى سريعاً».

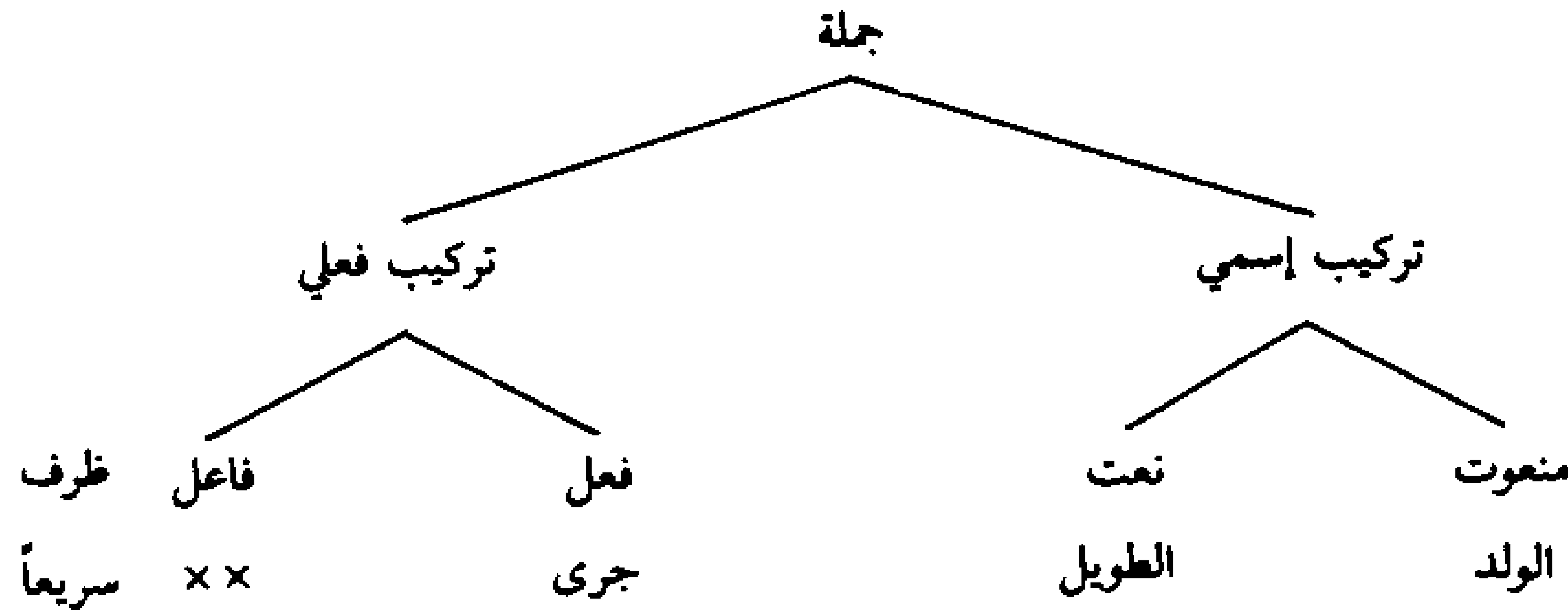
---

(١) راجع د. محمد حماسة عبد اللطيف: في بناء الجملة العربية. الكويت، ١٩٨٢، ص ١٠٤ ـ ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

يدرك المتكلمون بالعربية أن هذه جملة اسمية تتكون من ركنين، الركن الأول يضم: (الولد الطويل) ويضم الركن الثاني (جرى سريعاً) ويقول بلومفيلد. . . إن هذا يعني أن هذه الجملة تتكون من طبقتين عليين الأولى: هي الولد الطويل والثانية هي جرى سريعاً. . . وكل طبقة من هاتين الطبقتين العليين تتكون من طبقتين سفليين أو أكثر، فالطبقة العليا الأولى تتكون من الطبقتين السفليين الآتيين: (الولد + الطويل) والطبقة العليا الثانية تتكون من الطبقات السفلى الآتية: (جرى + الضمير المستتر في الفعل + سريعاً) معنى هذا أن الطبقة السفلى تشكل أجزاء من الطبقة العليا، وعناصر الطبقة السفلى تؤدي مباشرة إلى الطبقة العليا، والطبقة العليا الأولى عنصر مباشر يؤدي إتحادها مع الطبقة العليا الثانية إلى تكوين الجملة، وتقسيم الجملة إلى عدة طبقات يمكن أن يتم بطريقة من طريقتين هما:

(أ) **طريقة الأقواس**: وهي (الولد الطويل) (جرى سريعاً).
(ب) **طريقة الشجرة**، وهي:



من هذا الشكل يتضح أن العناصر المباشرة للركن الأول هي: الولد الطويل. والعناصر المباشرة للركن الثاني هي جرى سريعاً، وأن الركن الأول والركن الثاني يكونان العنصرين المباشرين للجملة.

☐ القواعد السياقية:

تحدثنا حتى الآن عن العناصر المباشرة التي تتكون منها الجملة، والمعاني

الوظيفية لهذه العناصر والجملة لا تتكون من مجرد تتابع هذه العناصر ولكنها تتكون فضلاً عن ذلك من وسائل ارتباط هذه العناصر، وهذه الوسائل هي:

١ ــ العلامة الإعرابية.
٢ ــ الموقع (الرتبة).
٣ ــ التطابق ويشمل التطابق في الجنس والعدد والتعيين (التعريف أو التنكير).

□ العلامة الإعرابية:

من المعروف أن الرفع علامة على الإسناد، أي المسند إليه والمسند إن كان اسمًا[1]، والنصب علامة على التعدية والتخصيص[1] والجر علامة على النسبة.

□ الموقع:

١ ــ المبتدأ يتصدر الجملة الاسمية ويتلوه الخبر، وقد يتقدم الخبر في مواضع معينة ذكرها النحاة.
٢ ــ الفعل يتصدر الجملة الفعلية.
٣ ــ صاحب الحال يسبق الحال.
٤ ــ المنعوت يسبق النعت وهكذا...

□ المطابقة:

١ ــ يطابق الخبر المبتدأ في الجنس والعدد ويخالفه في التعريف والتنكير.
٢ ــ تطابق الصفة الموصوف في النعت الحقيقي في الجنس والعدد والتعيين.
٣ ــ يُطابق الحال صاحبها في الجنس والعدد ويخالفه في التعيين وهكذا...

انتهينا الآن من دراسة الجملة التي تتكون عناصرها المباشرة من كلمات

(١) لا يتناول حديثنا هنا التغيير في العلامة الإعرابية نتيجة لدخول الفعل الناسخ أو الحرف الناسخ على الجملة الاسمية.

مفردة، وهناك أنواع أخرى من الجمل نجد أحد أركانها يتكون من طبقة عليا، هذه الطبقة تكون واحداً مما يلي:

١ ــ شبه جملة أي الجار مع مجروره أو الظرف.

٢ ــ المصدر الذي يعمل عمل فعله.

٤ ــ المشتق الذي يعمل عمل فعله.

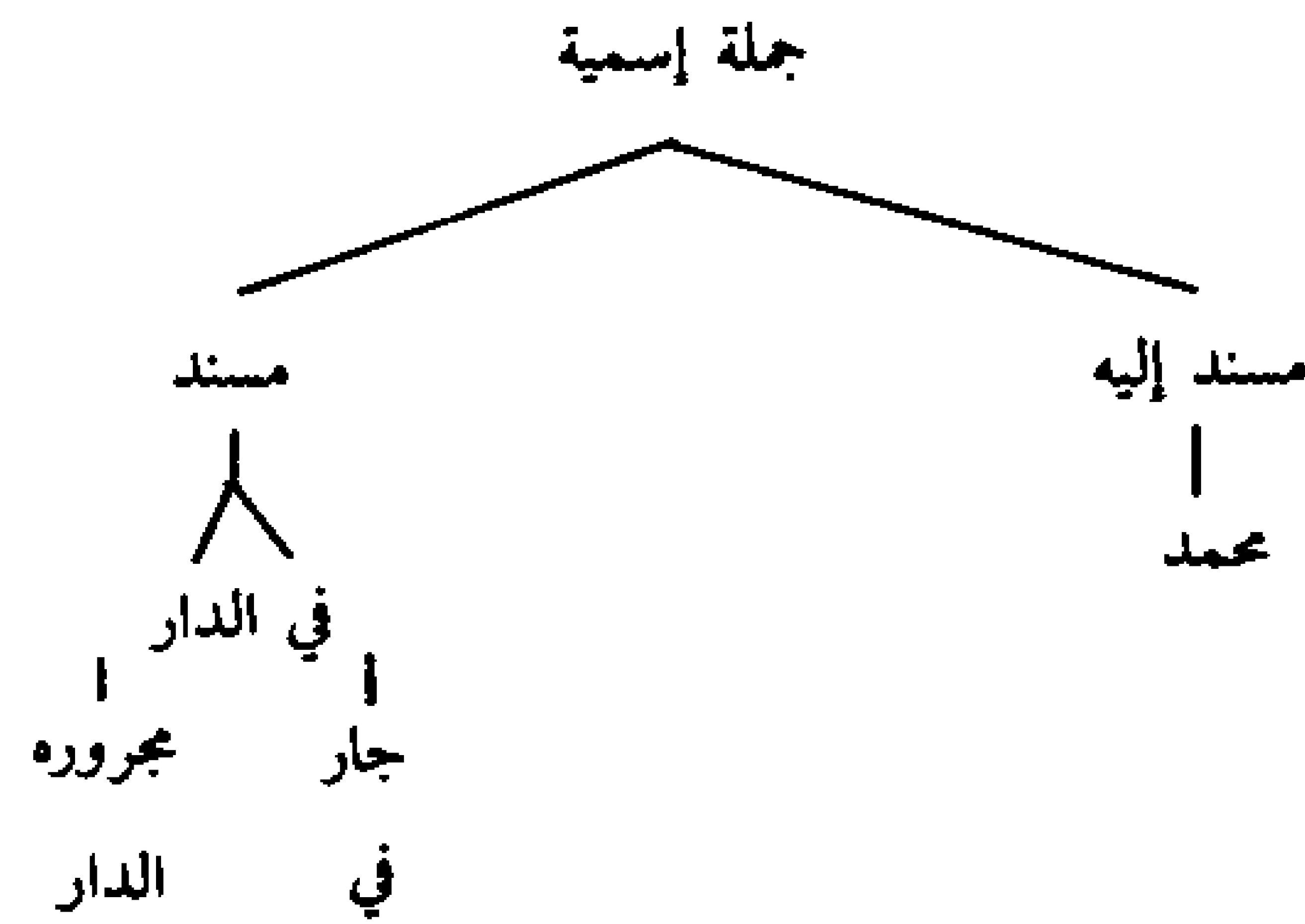
٤ ــ الجملة الكاملة.

١ ــ شبه الجملة:

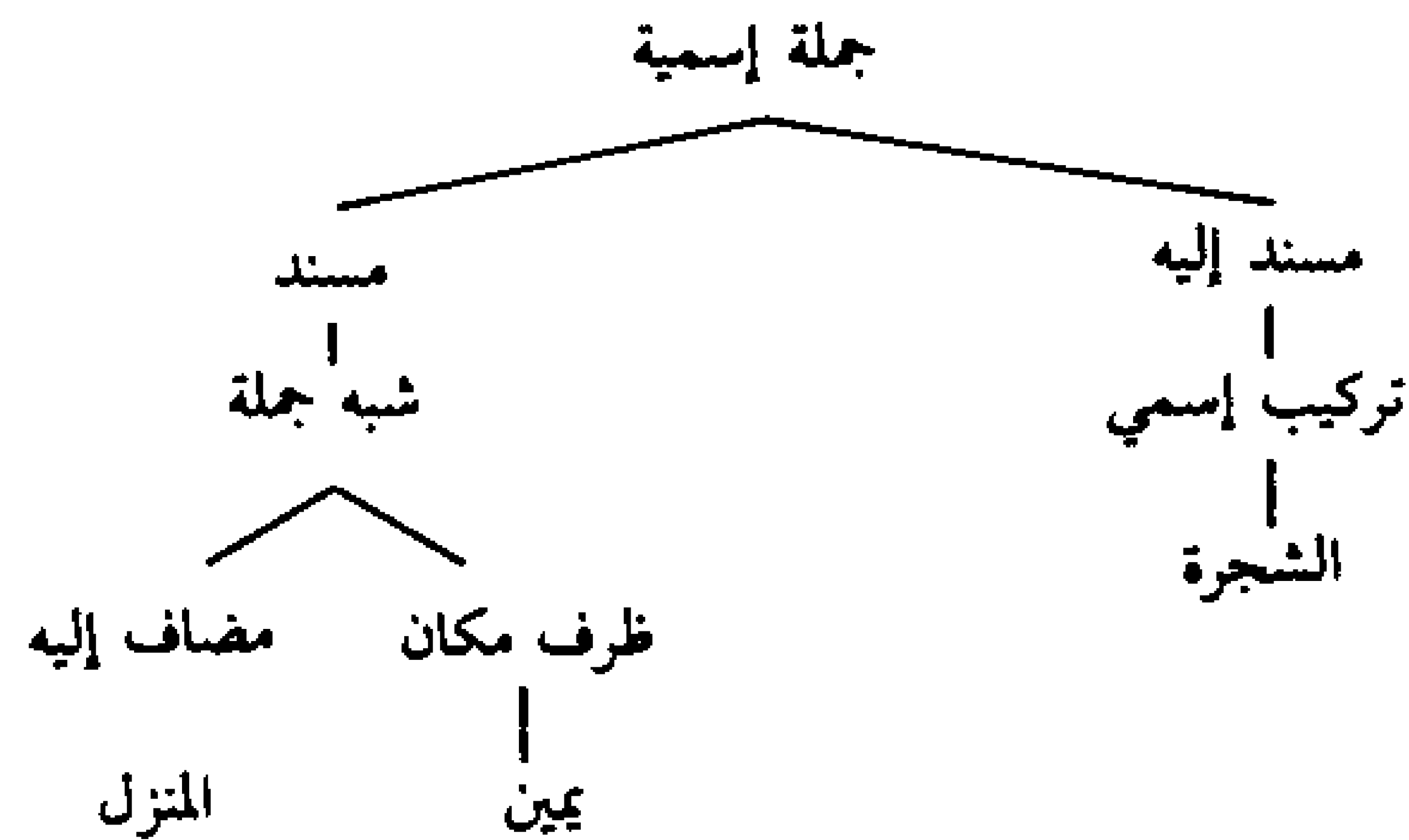
يمكن أن يكون خبراً، ويلاحظ ذلك من تحليل المثالين الآتيين:

محمد في الدار ــ الشجرة يمين المنزل.

* تحليل الجملة الأولى (محمد في الدار):



* تحليل الجملة الثانية (الشجرة يمين المنزل):

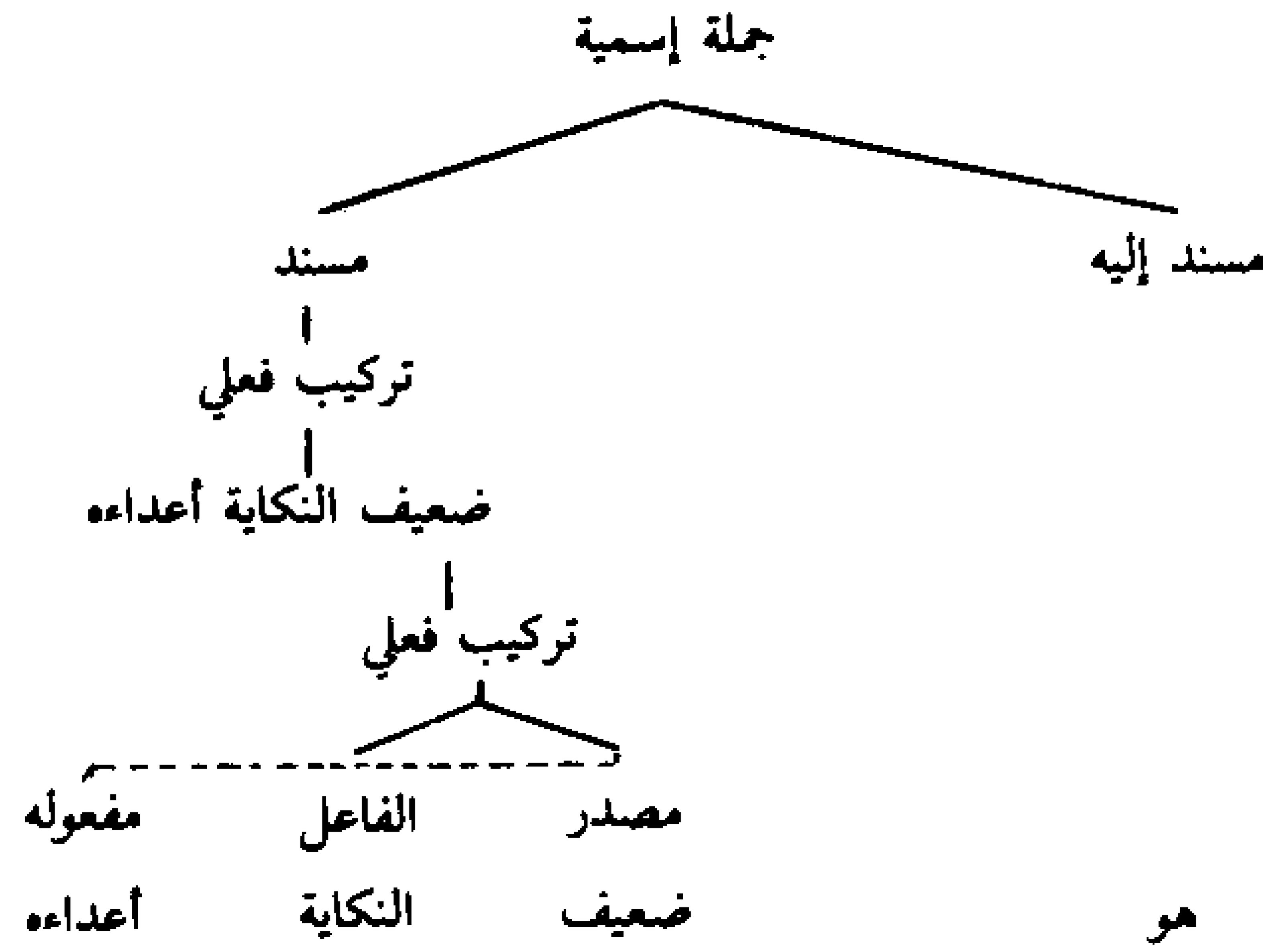


٢ ـ **المصدر العامل**[1]:

ويُكَوِّن المصدر العامل أو المشتق العامل طبقة عليا تحتل ركناً من أركان الجملة... وهذه الطبقة تتكون من طبقات سفلى هي في الحقيقة العناصر المباشرة التي تكون الطبقة العليا.مثال لتحليل المصدر العامل:

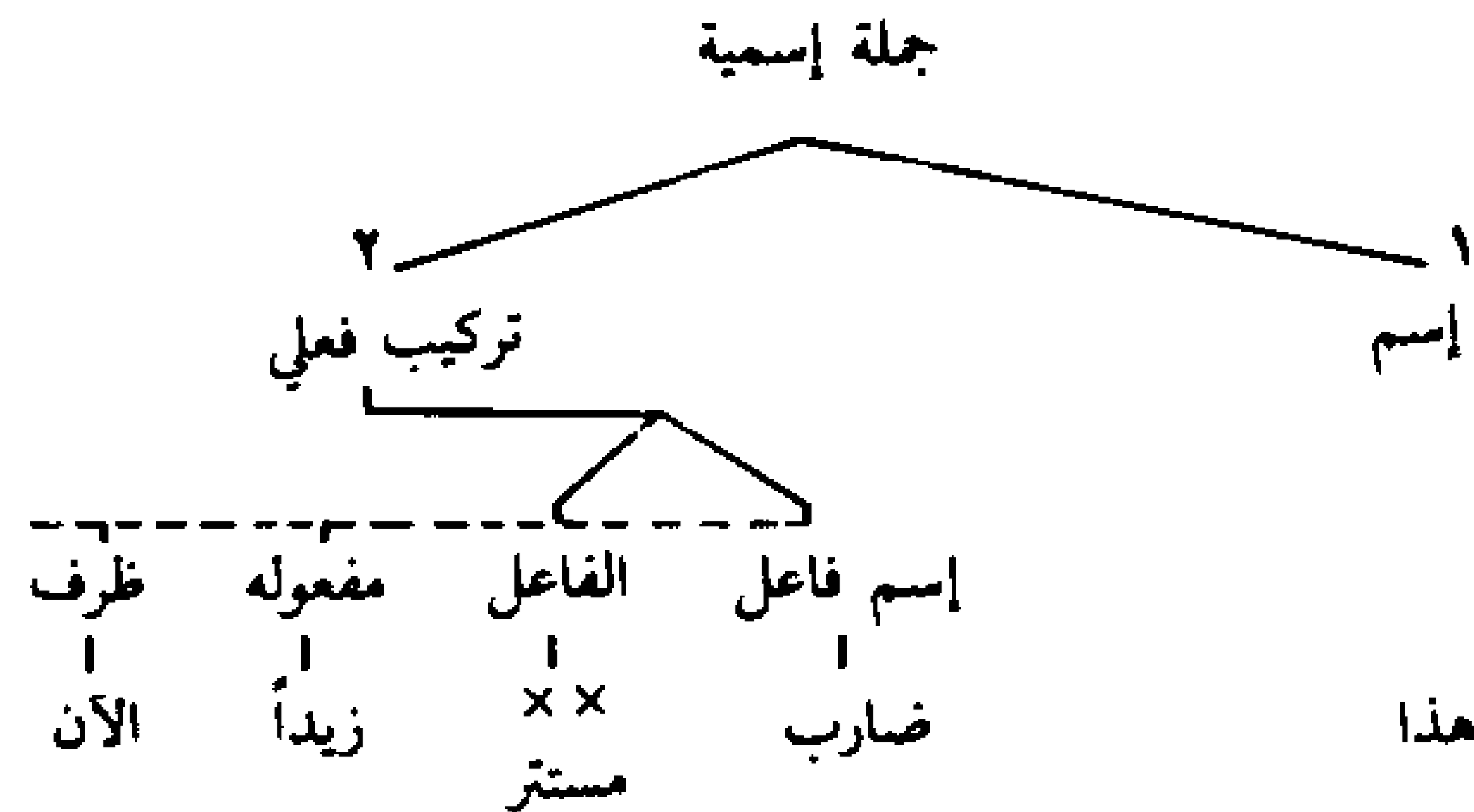
قال الشاعر:

ضعيف النكاية أعداءه يَخَالُ الفِرَارَ يُراخِي الأَجَلْ



٣ ـ **المشتق الذي يعمل عمل فعله**:

هذا ضارب زيداً الآن.



(١) راجع حديثنا عن التركيب الفعلي.

٤ ـ الجملة التي تستخدم ركناً من أركان جملة أخرى:

المقصود بذلك ما صرح به النحاة تحت عنوان الجمل التي لها محل من الإعراب، ومن ذلك:

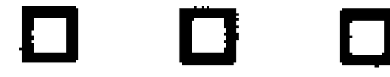
١ ـ الجملة الواقعة خبراً نحو محمد قام أبوه.

٢ ـ الجملة الواقعة حالاً نحو قوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ (سورة المدثر: آية ٢٦). ونحو ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ (سورة النساء: آية ٤٣).

٣ ـ الجملة الواقعة مفعولاً نحو قوله تعالى: ﴿قال إني عبد الله﴾ (سورة مريم: آية ٣٠)[1].

٥ ـ الجملة المركبة:

وهي التي تتكون من جملتين، إحداهما الجملة الأساسية، والثانية هي المقصودة بتعبير النحاة، بالجمل التي لا محل لها من الإعراب، مثل جملة جواب الشرط وصلة الموصول.



(١) ابن هشام مغني اللبيب، ص ٥٣٦ ـ ٥٤٠. تحقيق محمد المبارك وآخرين.

الفصل الرابع

النحو التحويلي والتوليدي

تعد نظرية النحو التحويلي والتوليدي من أهم التطورات الحديثة في الدراسات اللغوية، ويرجع الفضل في ظهور هذه النظرية إلى (نوعم تشومسكي)، وهو من معهد (ماسوشيتس) للتكنولوجيا. ويمكن القول إن هذه النظرية ظهرت عندما نشر تشومسكي كتابه التركيب النحوي (Synatctic structure) في عام ١٩٥٧. وبعد ذلك طرأت تغييرات هائلة على هذه النظرية حتى أصبحت نظرية متكاملة وصالحة للوصف اللغوي.

وأصبحت نظرية النحو التحويلي والتوليدي الآن نظرية متكاملة للوصف اللغوي وتهدف إلى تفسير كل ما ينصب تحت كفاءة المتكلم الوطني تفسيراً كاملاً ودقيقاً. فالوصف اللغوي للغة محاولة لاكتشاف طبيعة سيطرة المتكلم على تلك اللغة، ولهذا يتطلب الوصف المثالي ملاحظة أداء المتكلم، لأن هذا يكشف قدرته على الكلام وعلى تمييز وفهم الجمل المقبولة نحوياً في لغته.

إن الوصف الذي تنادي به هذه النظرية يأخذ شكل سلسلة من القواعد وبعضها يذكرنا بالقواعد النحوية التي وضعتها الدراسات اللغوية القديمة، وتقوم هذه القواعد على أساس النظرية التي تحدد إطارها العام ويقال لها إنها قواعد توليدية، وإذا كانت هذه القواعد التوليدية تطبق بصفة كاملة ودائمة على كل الجمل النحوية في اللغة فإن التوليد الذي استعارته هذه النظرية من مصطلحات علم الرياضة الفنية. لا يقصد به الإنتاج الحقيقي للجمل ولكن يقصد به التنبوء بصيغ الجمل الصحيحة نحوياً وتمييز الجمل غير الصحيحة

نحوياً. وبالإضافة إلى ذلك يستطيع اللغوي تحديد الوصف التركيبي لكل جملة صحيحة نحوياً في اللغة موضع الدراسة.

ولأغراض الوصف ينظر إلى اللغة على أنها تضم عدداً من العناصر حتى يسهل جمع القواعد التي لها طبيعة شكلية متشابهة. وتحتوي قواعد اللغة على عنصرين، الأول تركيب العبارة، والثاني التحويل وتطبق قواعد هذين العنصرين بالترتيب السابق... أي أن قواعد تركيب العبارة تسبق قواعد التحويل. وفي تركيب العبارة التي يفترض أنها أكبر وحدة نحوية فإن الجملة (التي يرمز لها بالرمز (S) أو أحياناً (Σ))[١]، تتوسع باستخدام قواعد تراكيب الوحدات الصغرى (Strings of Smaller Units) تنتهي بتركيب المادة المعجمية والعناصر النحوية. وهذا الجزء من هذه النظرية يشبه في نواح كثيرة تقسيم العناصر المباشرة ويتضح هذا من تحليل الجملة الآتية:

اللاعبون يلعبون المباراة.

جملة
تركيب إسمي — تركيب فعلي
أداة تعريف — تركيب إسمي — فعل — تركيب إسمي
إسم — اداة جمع — حرف المضارعة — جذر الفعل — فاعل — تركيب أسمي
أداة تعريف — إسم مؤنث — أداة جمع
ال لاعب ون يـ لعب ون ال مباراة ф

(١) Robens, General Linguistics, p. 276-277.

إن هذا الوصف قد صيغ في شكل قواعد تطبيقية ويسمى غالباً (Rewrite Rules) لأنها يمكن أن تكون في الشكل الآتي: X = Y + Z أو X ← Y + Z وهكذا ففي المثال السابق تطبق القواعد بالشكل الآتي، مع ملاحظة أن قاعدة واحدة قد تطبق أكثر من مرة.

١ ــ الجملة ← تركيب اسمي + تركيب فعلي.
٢ ــ التركيب الفعلي ← فعل + (ظرف) + تركيب اسمي.
٣ ــ التركيب الاسمي ← اسم + (صفة).

إذا طبقنا هذه القواعد بنفس الترتيب الذي ذكرناه سابقاً بحيث أن كل قاعدة تالية تؤدي إلى تحليل القاعدة السابقة إلى طبقاتها السفلى، ومهما كانت الرموز الناتجة بشأن التعبيرات الدالة على التراكيب فإننا سنحصل بمجرد تطبيق القاعدة الأولى على ركني الجملة وهما أعلى طبقتين فيها وهما (تركيب اسمي + تركيب فعلي)، وعند تطبيق القاعدة الثانية سنحصل على الطبقات السفلى التي تكون التركيب الفعلي أو العناصر المباشرة التي تكون هذا التركيب، وستكون النتيجة ما يلي:

جـ [تركيب إسمي + تركيب فعلي (فعل + فاعل + ظرف)]

وبتطبيق القاعدة الثالثة سنحصل على الطبقات السفلى التي تساهم في تكوين الطبقة العليا الثانية وهي التركيب الاسمي. وبتطبيق هذه القاعدة نكون قد حصلنا على كل المكونات المباشرة لهذه الجملة كما يلي:

جـ [تركيب اسمي (اسم + صفة) + تركيب فعلي (فعل + فاعل + ظرف)]

وهكذا فكل قوس يضم العناصر المباشرة التي تكون الطبقة العليا التي ترتبط به، وللحصول على العناصر المباشرة فإننا يجب أن نرتب تطبيق القاعدة بنفس الترتيب الذي صيغت به القواعد، بمعنى أن القاعدة رقم (٢) تطبق قبل القاعدة رقم (٣)، وبعد الانتهاء من تطبيق هذه القواعد سنتوصل إلى التركيب الذي اصطلح على تسميته بالجملة.

إذا حاولنا بعد ذلك تحليل العناصر المباشرة، التي يتكون منها الركن الأول والركن الثاني فإننا سنضعها حسب ما رأينا في أجزاء الكلام، أي حسب الوظيفة التي يؤديها كل عنصر مباشر في هذا التركيب، وهكذا سنقول إن العنصر الأول اسم لأنه قام بوظيفة أساسية في هذا الركن والعنصر الثاني صفة لأنه قام بوظيفة تحديد مدلول هذا الإسم أو وصفه، أما العناصر المباشرة في الركن الثاني فهي الفعل أولاً لأنه قام بوظيفة الحكم على الولد بالجري في الوقت الماضي وقام العنصر الثالث من عناصره بإيضاح صفة هذا الفعل بأن الجري تم بسرعة وهذه المعاني كما ترى معاني وظيفية، أما إذا أردت أن تعرف دلالة كل عنصر من هذه العناصر فهذا من اختصاص المعجم.

وإذا حاولنا توليد جملة أخرى على نمط هذه الجملة فإننا سنلجأ إلى المعجم ليمدنا بعناصر تؤدي الوظائف التي رأيناها في جملتنا الأولى. وهكذا فالمعجم يحتوي على المصطلحات الآتية:

الاسم: أحمد. عمر. إبراهيم. علي.
الفعل: جرى. أكل. شرب. سافر.
الصفة: طويل. قصير. سمين. رفيع.
الظرف: سريعاً. بطيئاً...

القواعد التحويلية:

إن قواعد تركيب عبارات الجمل البسيطة غير كافية لتفسير التركيب الكامل وهذا هو القصور في نظرية النحو الشكلي التي تعتمد على تقسيم العناصر المباشرة وتحاول نظرية النحو التوليدي والتحويلي التغلب عليه. ونرى أنه نتيجة لإنتاج قواعد تركيب العبارة يمكن تطبيق القواعد التحويلية (Trasns Formational Rules) لتشكيل النتاج الأخير لوصف العنصر النحوي. ولا تشمل هذه القواعد التحويلية مجرد تقسيم الجملة أو عناصرها إلى أجزاء بسيطة، ولكن تشمل بالإضافة إلى ذلك ــ كما يدل الاسم عليها ــ على تغيير أو إعادة تنظيم التركيب بطرق مختلفة.

إن التحويل يعكس جزءاً من معرفة المتكلم الفطرية للعلاقة بين الجمل ذات الأنماط الأساسية المختلفة. فالتمييز بين الجمل المبنية للمعلوم والمبنية للمجهول من جهة والجمل المثبتة والمنفية من جهة ثانية وجملة الخبر والأمر والاستفهام من جهة ثالثة يعتمد على معرفة المتكلم الوطني للتركيب نحو فَحَصَ محمدٌ الكتاب وفحص الكتاب، محمد لم يفحص الكتاب والكتاب لم يُفحص، وهل فحص محمد الكتاب؟ إن نظرية تحليل العناصر المباشرة لا تساعدنا على إيضاح هذه العلاقات لأنها لا تستعين بالدلالة في التمييز بين الجمل وهكذا فالجملتان الآتيتان متشابهتان من وجهة نظر تحليل العناصر المباشرة، محمدٌ: أَحَبَّ فاطمة، وفاطمة أحبت أحمد ولكنهما في الحقيقة مختلفتان. إن القواعد التحويلية توضح العلاقات التركيبية بين جملتين كاللتين رأيناها سابقاً، وذلك بشرح التغييرات الأساسية لتحويل تركيب لجملة ما إلى جملة أخرى تقابلها أو تشرح لنا التغييرات التي نحتاج إليها لتمييز أي تركيب عن تركيب آخر، لا يختلف عنه في الملامح الأساسية. وتشمل القواعد التحويلية كذلك التغيير في ترتيب العناصر أو الإضافات أو الاختصارات كما رأينا ذلك في جملة المبني للمعلوم والمبني للمجهول: فَحَصَ محمدٌ الكتاب، فُحص الكتابُ، وهناك أمثلة كثيرة في اللغات لجمل تتفق في التركيب النحوي ولكنها تختلف في ترتيب عناصرها فيؤدي الأمر إلى اختلاف معناها ومع ذلك لم تستطع نظرية العناصر المباشرة أن توضح هذا الاختلاف في حين أنه يتضح من دراسة القوانين التحويلية[1]. وتساعدنا القواعد التحويلية على تفسير الغموض النحوي فقد تتابع كلمتان، ويكون لهذا التتابع أكثر من معنى، كما يحدث عند إضافة المصدر، فالمصدر عندما يضاف يحتمل أن يكون قد أضيف إلى فاعله أو إلى مفعوله، فجملة نحو، زيارة الأصدقاء تسعد النفس، يحتمل لهذه الجملة معنيان، الأول أن الأصدقاء يسعدون بزيارة المضيف؛ والثاني أن المضيف يسعد بزيارة الأصدقاء. وبالطبع لا تستطيع نظرية العناصر المباشرة تفسير هذا الغموض وهناك مجال آخر لاستخدام القواعد التحويلية، من المعروف أن كل

---

(١) راجع حديثنا عن المدرسة التوليدية والتحويلية في بداية هذا الكتاب، فلقد أوردنا أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة.

اللغات تمتاز بخاصية عامة وهي أنها تمتاز بقوة إنتاجية لا نهاية لها. . . فحتى إذا كان لدينا كلمات ثابتة وغير متغيرة فإن عدد الجمل المقبولة نحوياً التي يمكن إنتاجها ويفهمها أهل اللغة الوطنيين غير محدودة[1]، وقد أكدت هذه النظرية ذلك تحت عنوان القواعد الإجبارية والقواعد الاختيارية.

القواعد الإجبارية والقواعد الاختيارية:

اهتمت النظرية التوليدية والتحويلية بتحديد القواعد التي تؤدي إلى توليد الجملة الأساسية ثم اهتمت بالقواعد التي تساعد على إطالة الجملة أو على تكوين جملة مركبة من جملتين أو أكثر، وسنحاول تطبيق هذين النوعين من القواعد على اللغة العربية.

االقواعد الإجبارية للجملة العربية:

إذا حاولنا تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية فإننا يجب أولاً أن نقسم الجملة العربية إلى جملة فعلية وجملة اسمية، وبالتالي نرفض الفكرة التي يراها البعض من أن الجملة الاسمية هي أصل للفعلية في ضوء تطبيق هذه النظرية[1].

الجملة الإسمية وترتب فيها القواعد كما يلي:

١ ــ جـ ← تركيب اسمي + تركيب وصفي (اسمي)[٣].

٢ ــ ← تركيب وصفي (اسمي + صفة (اسم) + (تنوين).

٣ ــ تركيب اسمي ← أل + اسم (اسم علم أو ضمير) + (تابع).

إذا حاولنا تحليل جمل طبقاً لهذه القاعدة فإننا نحلل الجملة الآتية:

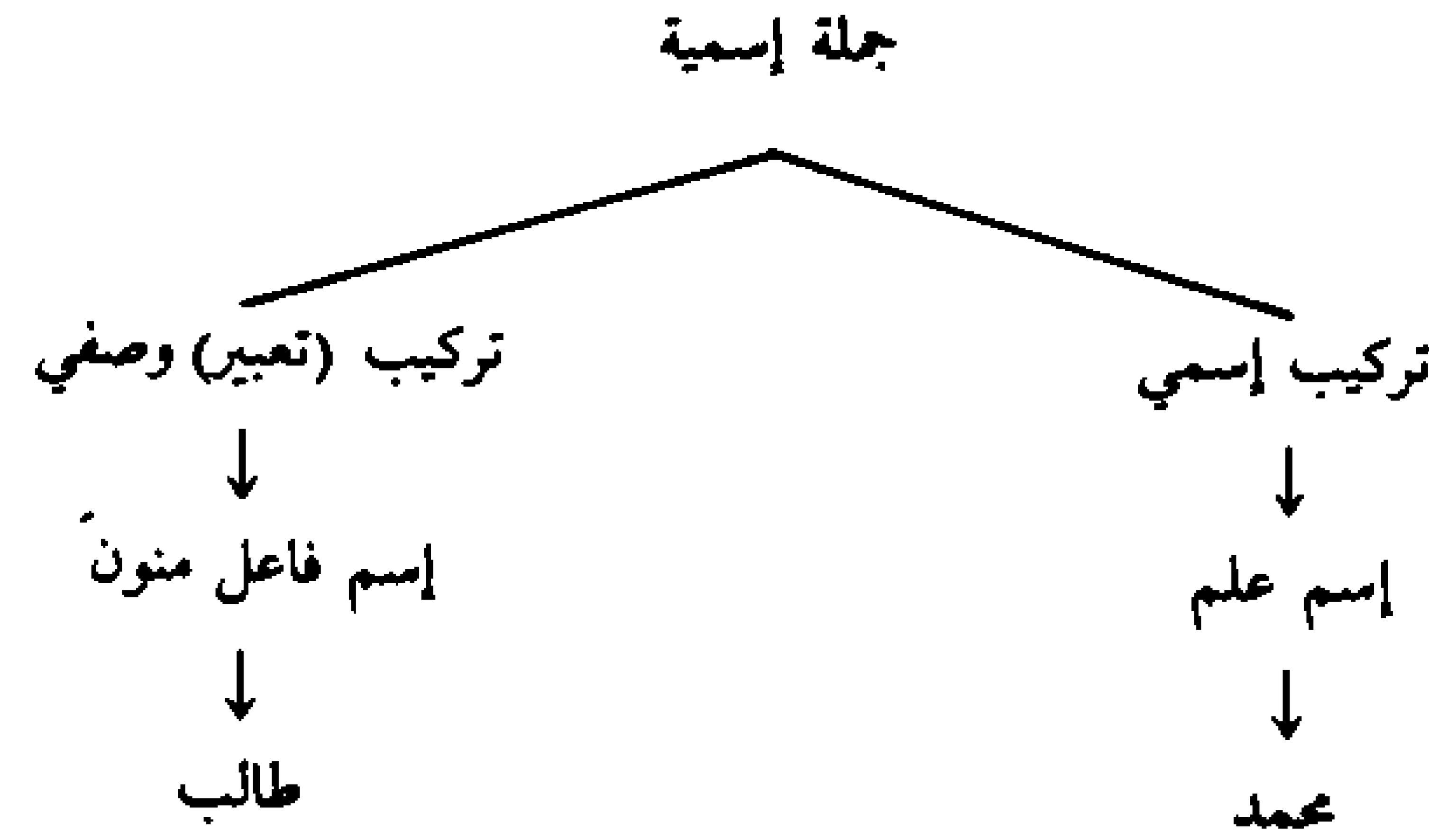
---

(١) أول من أشار إلى هذه الخاصية العامة هو هَمْبُلْتْ (Humbolalt) في القرن الماضي.

(٢) راجع التحويل للدكتور محمد علي الخولي في كتابه النحو التحويلي.

(٣) يشير القوس هنا إلى أن هذا العنصر اختياري، وهذا يعني أن الخبر في اللغة العربية صفة مثل محمد مؤدب أو اسم مثل علي أخي والتنوين أيضاً عنصر اختياري لأن هناك كلمات ممنوعة من الصرف.

(محمدٌ طالب).

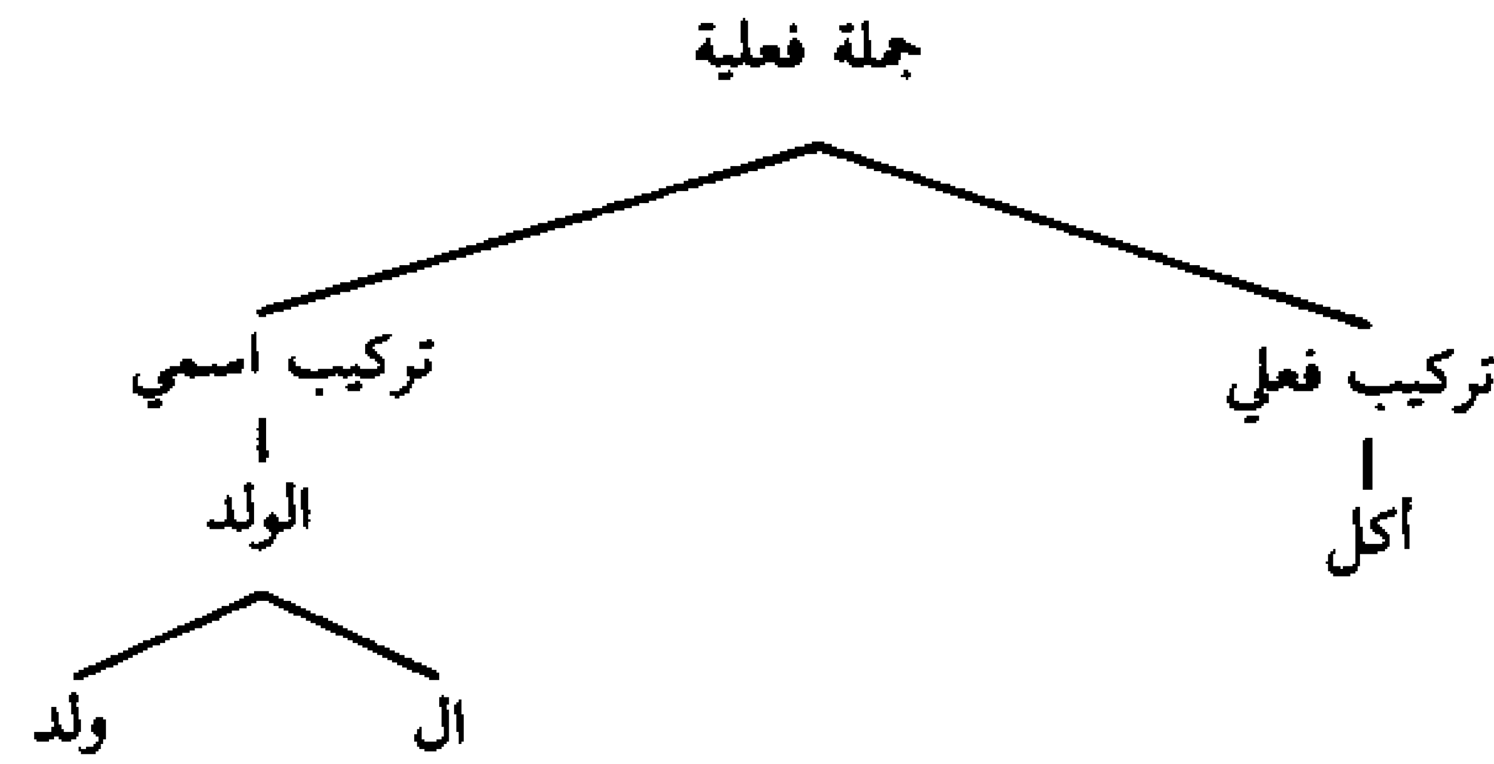


الجملة الفعلية، وترتب فيها القواعد كما يلي:

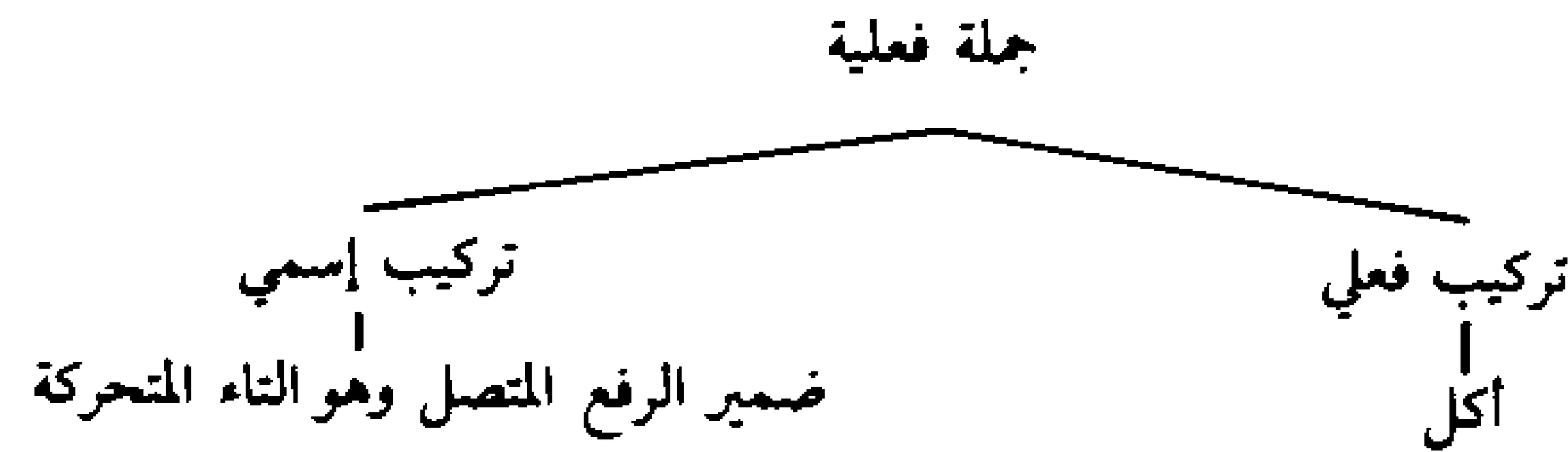
١ ـ جـ ← تركيب فعلي + تركيب اسمي
٢ ـ التركيب الاسمي ← اسم (ضمير ظاهر أو مستتر) + تابع)
٣ ـ التركيب الفعلي ← فعل.

ومن أمثلة هذه الجملة: أكل الولد، وأكلت، وأكل.

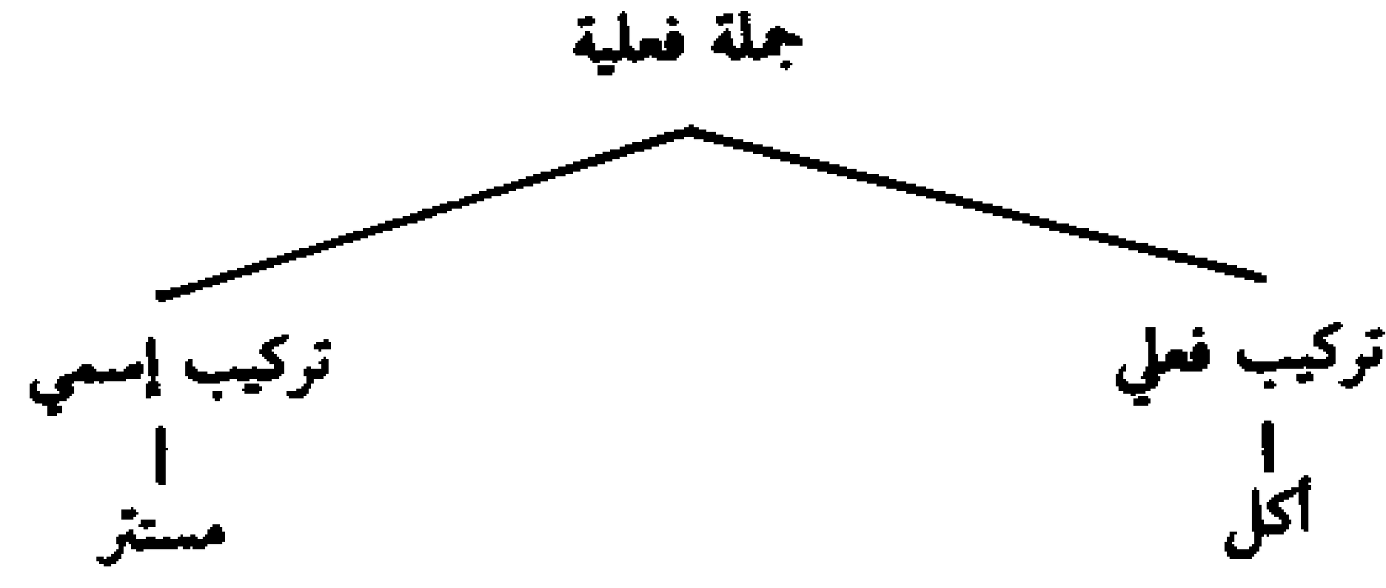
تحليل جملة (أكل الولد):



تحليل جملة (أكلتُ):



تحليل جملة (أَكَلَ):



تكبير الجملة الأساسية:

عند تكبير الجملة الفعلية الأساسية التي تسمى جملة إسناد ننظر إلى الفعل، فقد يكون لازماً وقد يكون متعدياً... والجملة التي تحتوي على فعل لازم لا تكبر بوساطة المفعول به، أما الجملة التي تحتوي على فعل متعد فإنها تقبل المفعول به، أو كما يقول النحاة يتعدى الفاعل إلى المفعول به، وهكذا نستطيع وصف تركيب الجملة الفعلية كالآتي:

١ ــ حـ ← تركيب فعلي + تركيب اسمي.

٢ ــ تركيب اسمي ← اسم (ضمير ظاهر أو مستتر).

٣ ــ تركيب فعلي ←

(أ) فعل لازم.

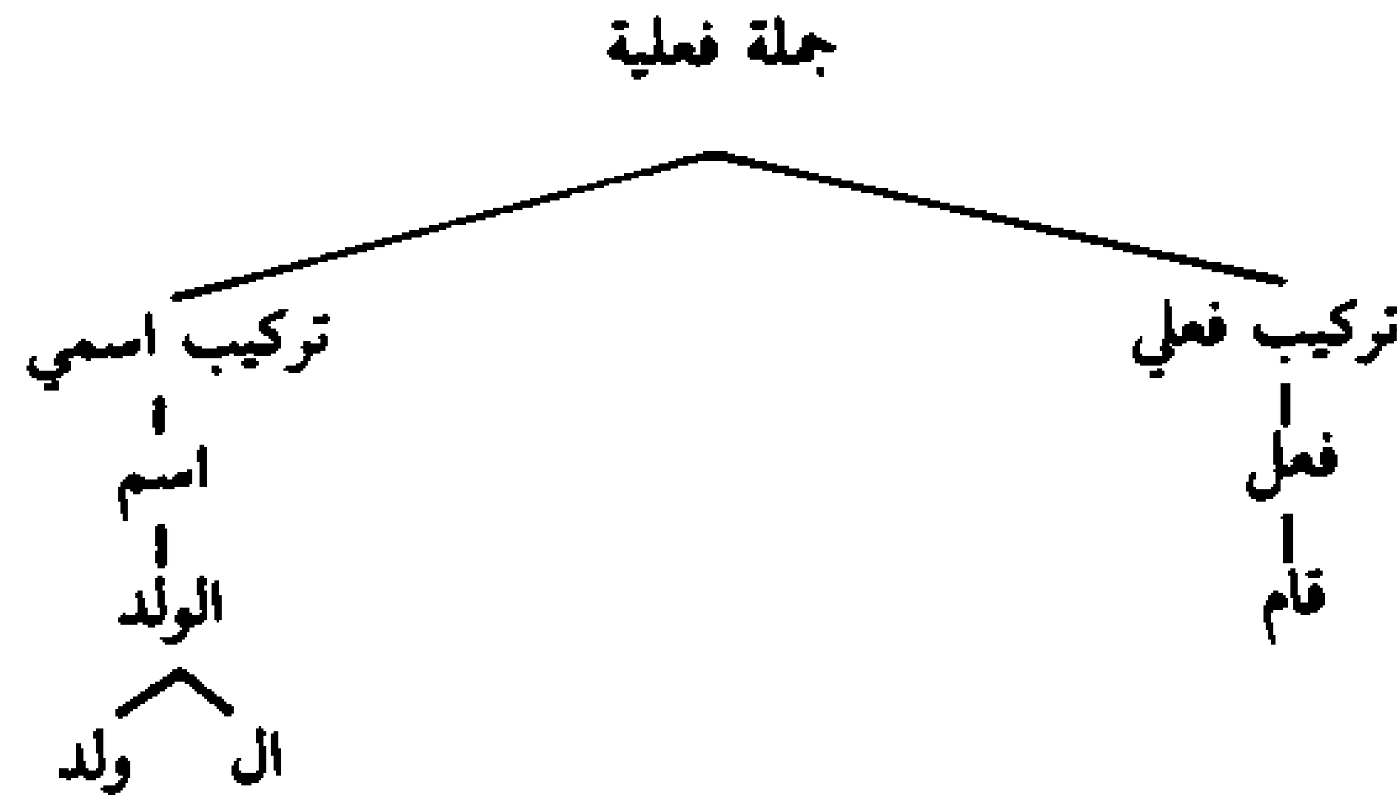
(ب) فعل متعد + إسم.

□ أمثلة:

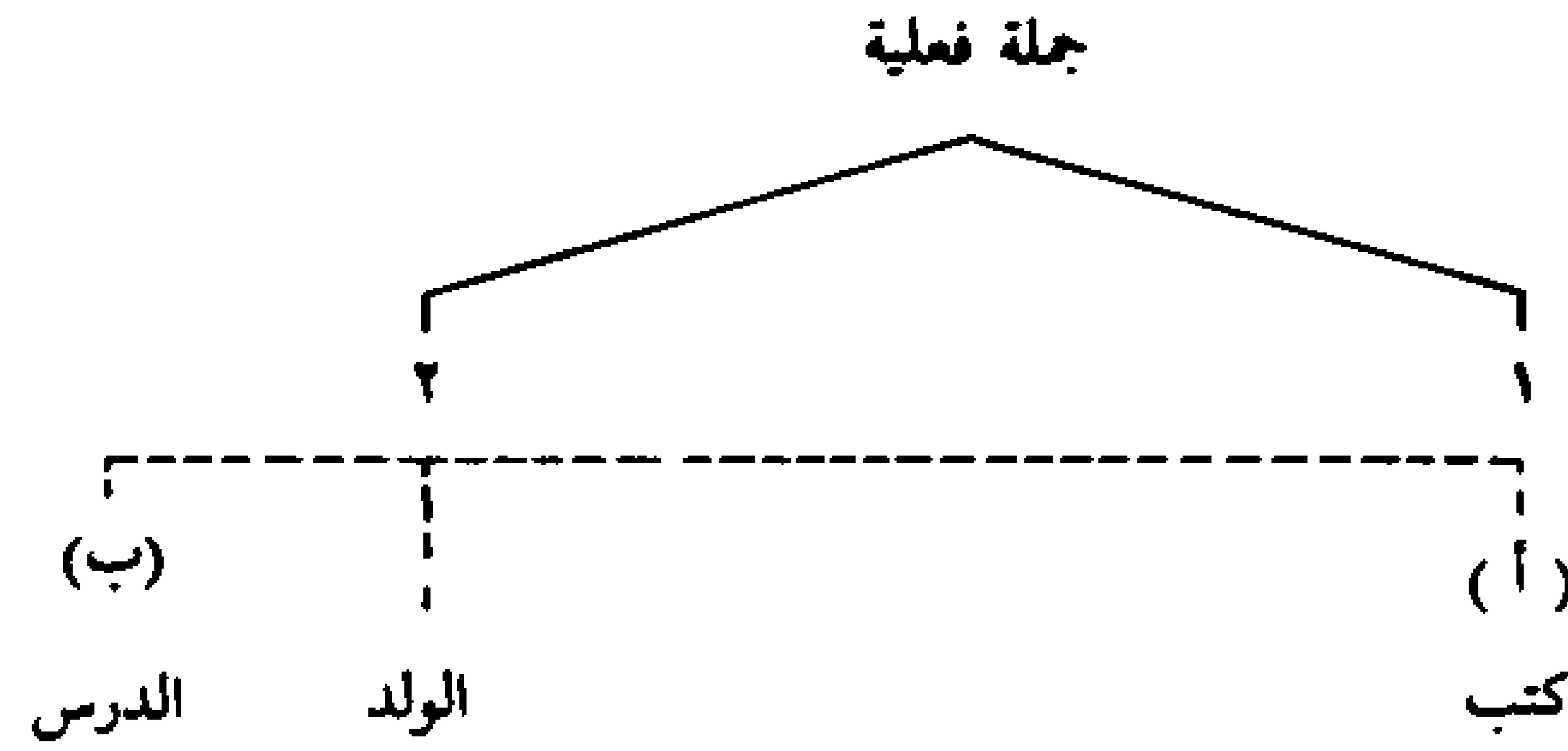
١ ــ قام الولد.

٢ ــ كتب الولد الدرس.

تحليل الجملة رقم (١):



تحليل الجملة رقم (٢):



القواعد الإجبارية والقواعد الاختيارية:

تكلمنا حتى الآن عن القواعد الإجبارية، لأنها تؤدي إلى تكوين جملة الإسناد، أو الجملة الأساسية، سواء أكانت اسمية أو فعلية، وعندما ميزنا بين الفعلين، اللازم والمتعدي، وجدنا أن المتعدي يتعدى الفاعل إلى مفعول به. . . وهناك قواعد اختيارية يؤتى بها.

(أ) لإيضاح أو لتخصيص الحدث الذي يدل عليه الفعل أو زمنه.

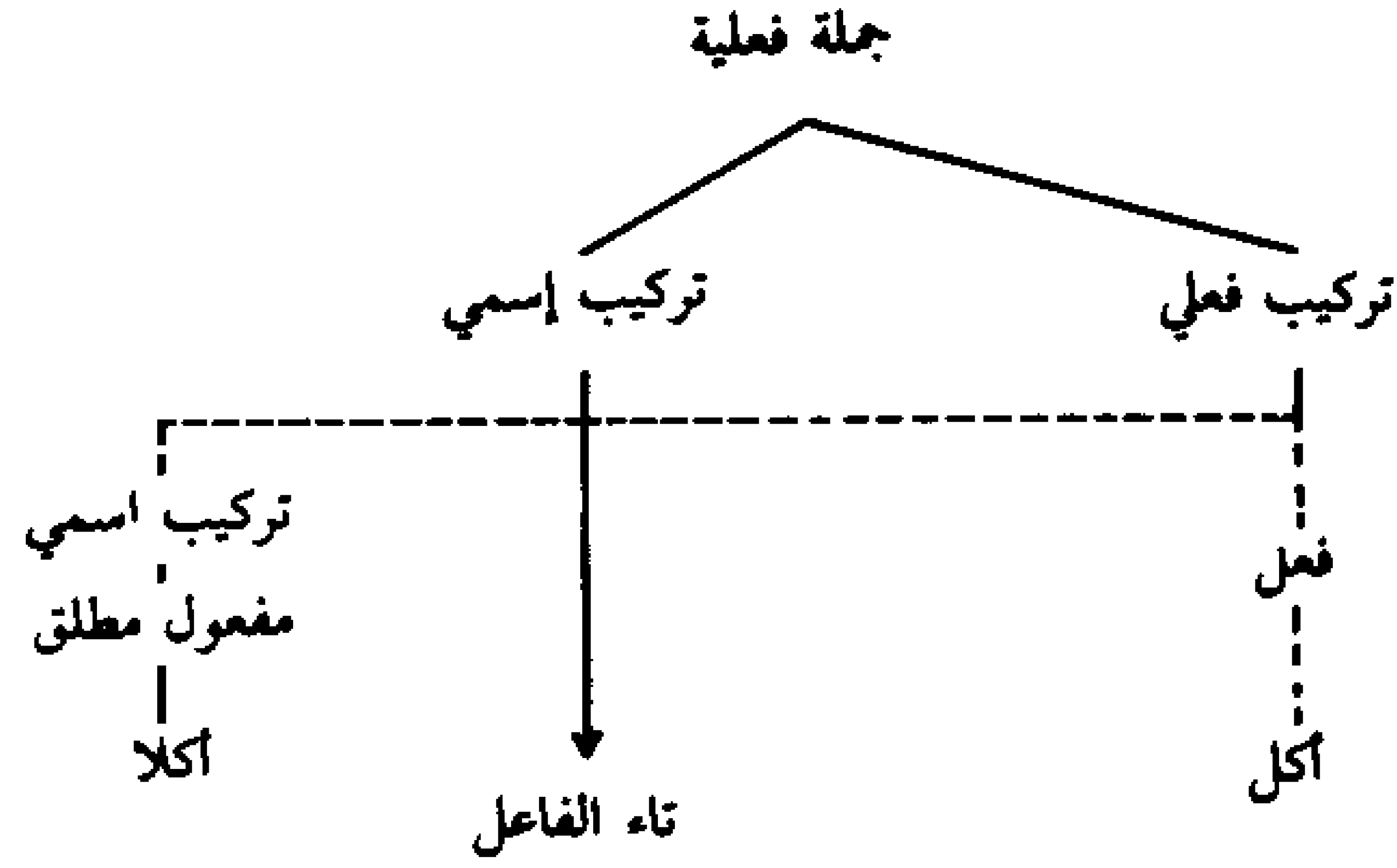
(ب) لإيضاح النسبة في علاقة الإسناد أي أنها تجعلها نسبية.

(ح) لإيضاح التبعية في أحد أركان الجملة.

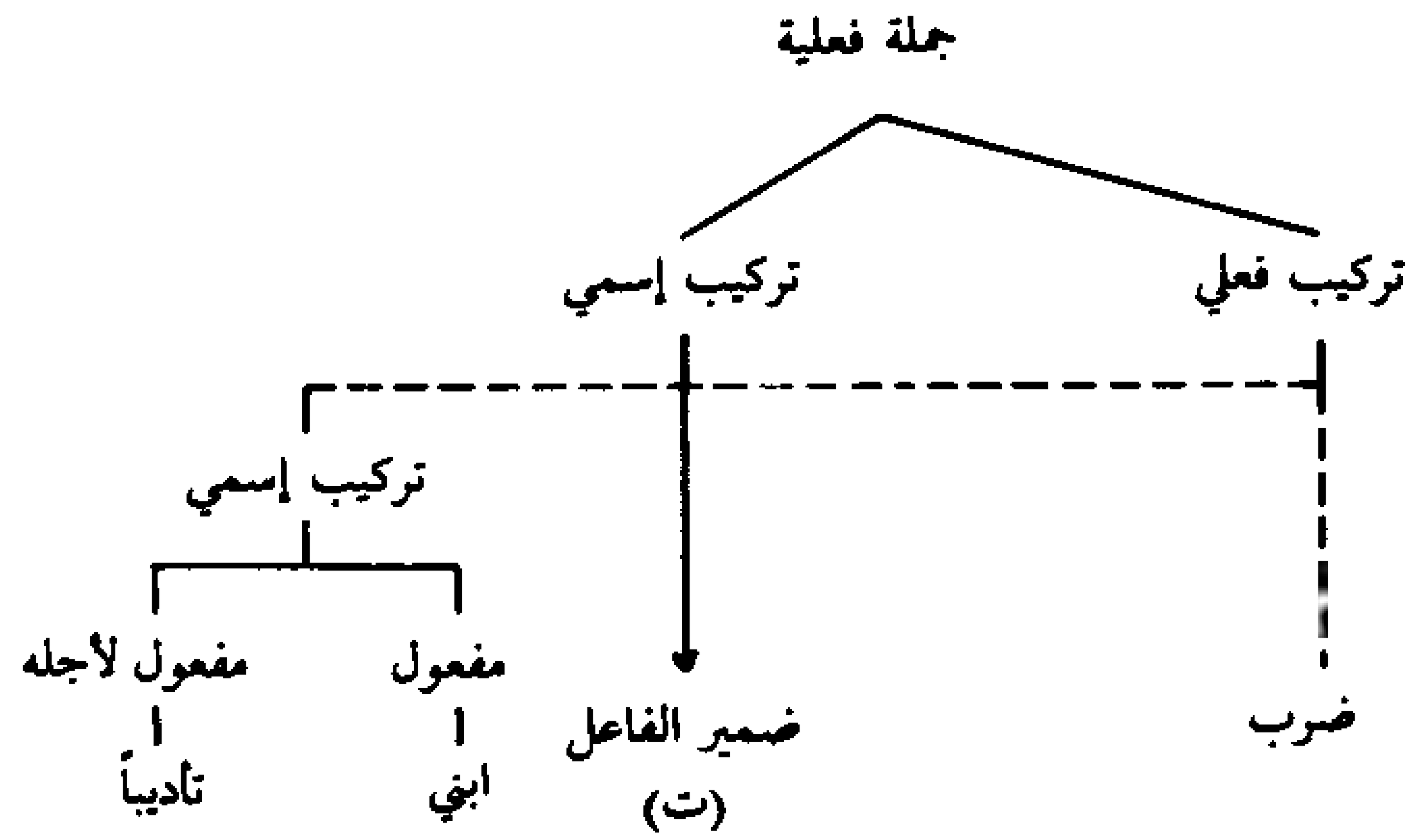
والتراكيب التي تفيد التخصص نوعان: نوع يخصص الحدث وهو أحد مدلولي الفعل ولهذا فهذه التراكيب ترتبط بالتركيب الفعلي. ونوع يخصص التركيب الاسمي المسند إلى الفعل وهو الفاعل أو يخصص المفعول به ولهذا ترتبط هذه التراكيب بالفاعل أو بالمفعول به.

أولاً ـ التراكيب التي تخصص الحدث، وهي:

١ ـ المفعول المطلق، نحو أكلت أكلاً وتحلل هذه الجملة كما يلي:

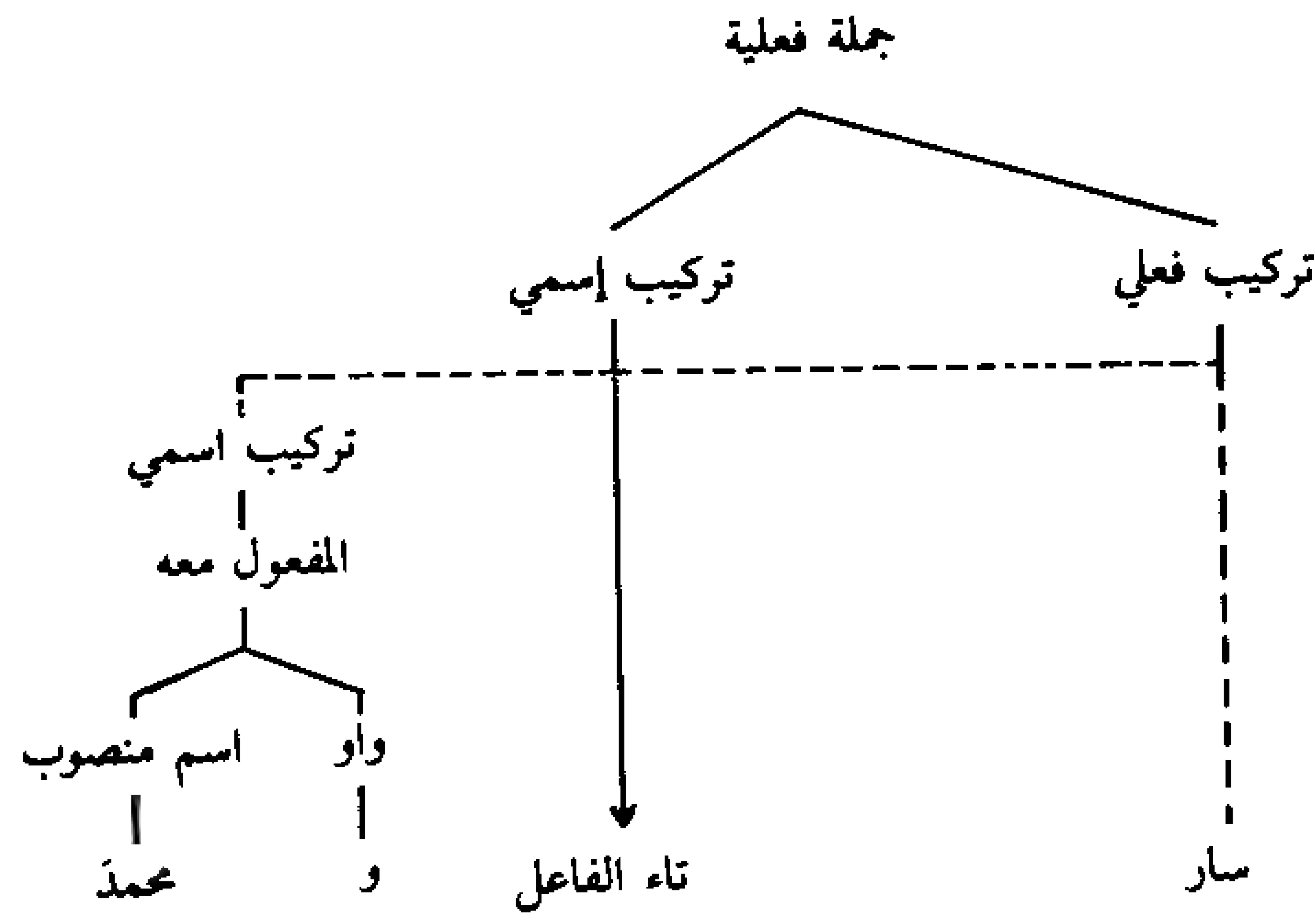


٢ ـ **المفعول لأجله**: ويوضح سبب حدوث الفعل نحو ضربت ابني تأديباً وتحليل هذه الجملة هو كما يلي:



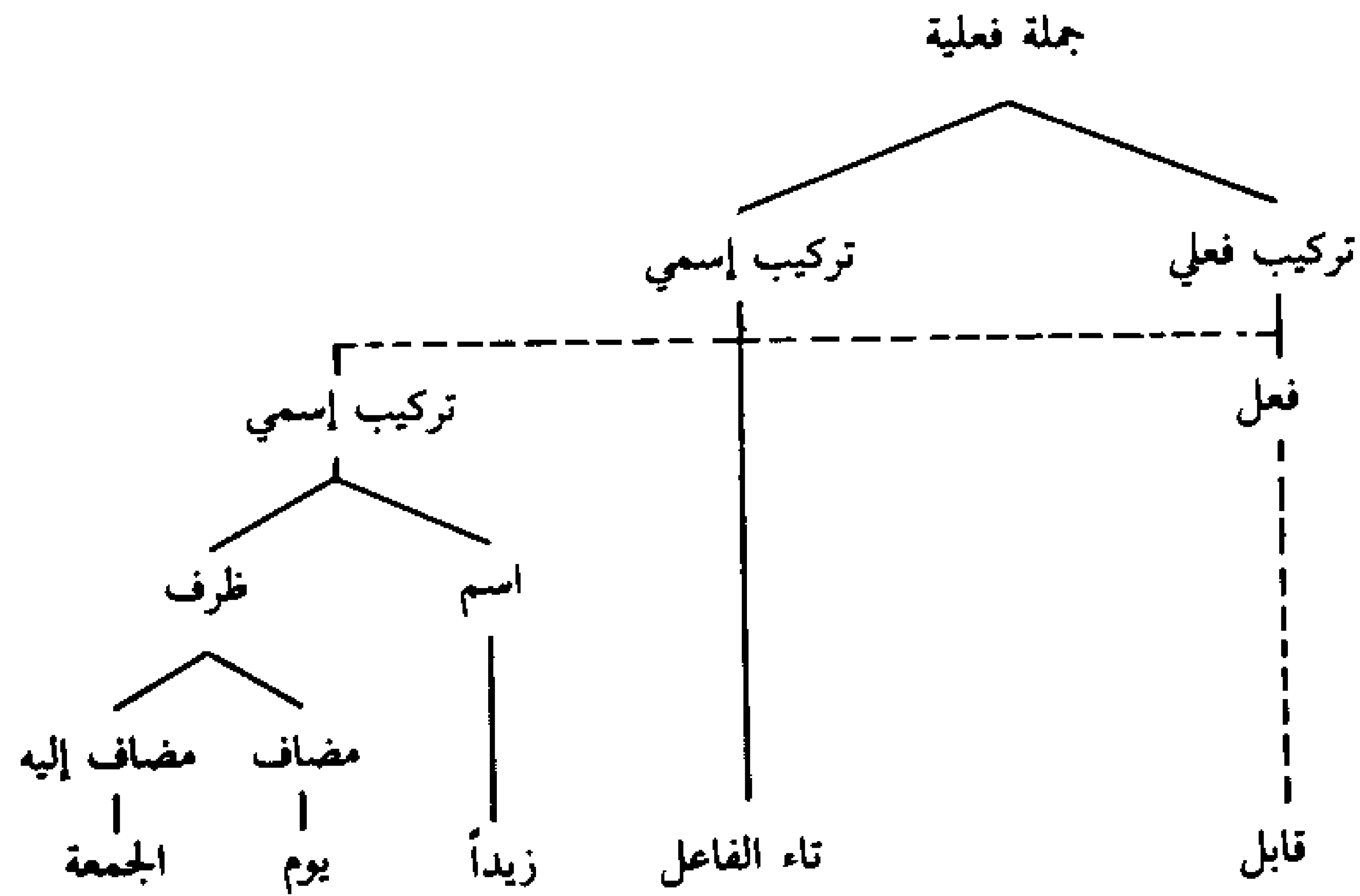
٣ ـ **المفعول معه**: ويدل على المصاحبة وهو كل اسم منصوب بعد واو بمعنى مع نحو سِرْتَ محمدَ.

وتحليل هذه الجملة هو كما يلي:

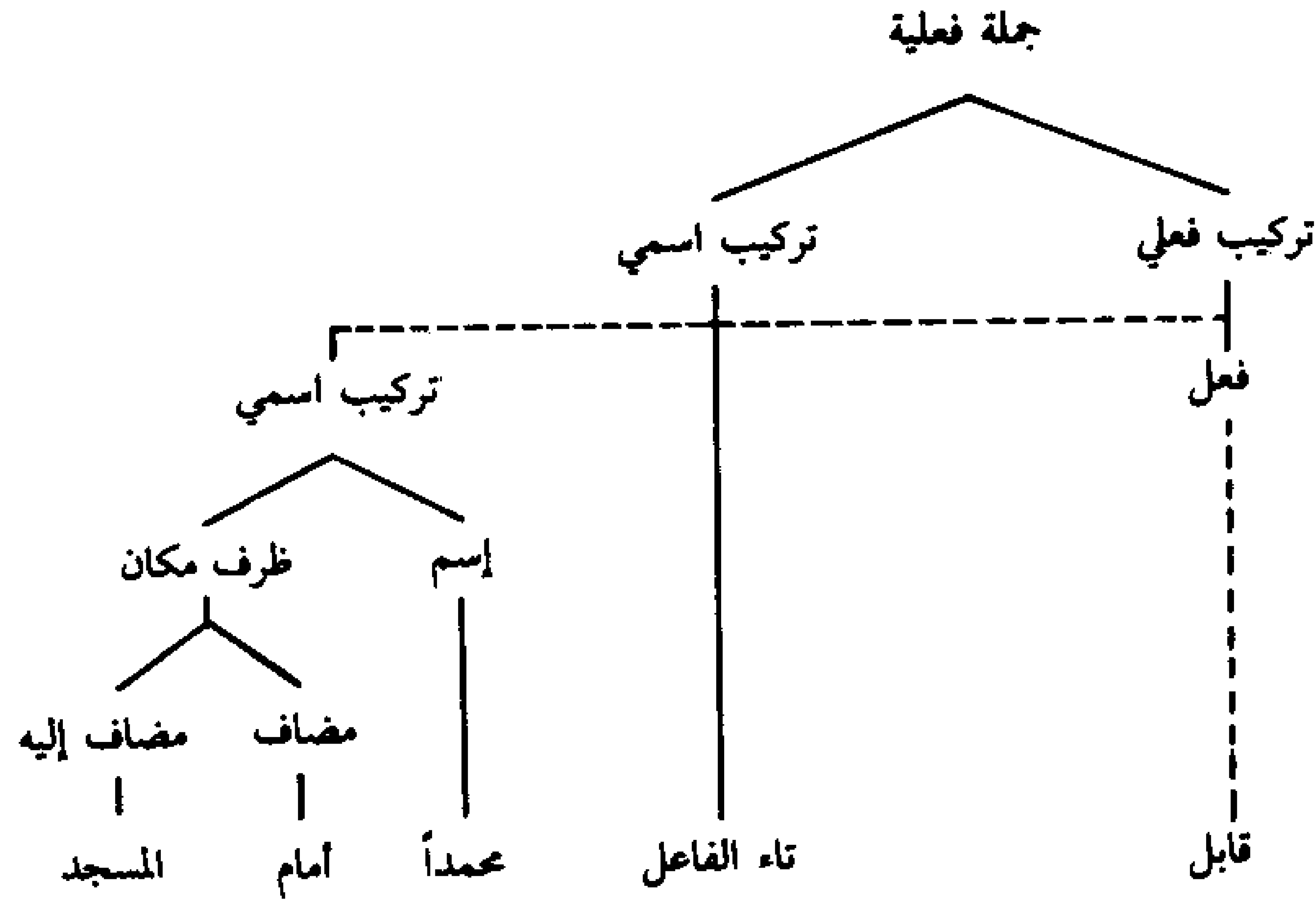


٤ ـ **المفعول فيه (الظرف)**، ويحدد زمان أو مكان الحدث الذي يدل عليه الفعل، مثل قابلت زيداً يوم الجمعة أو قابلت محمداً أمام المسجد، وتحليل هاتين الجملتين كما يلي:

تحليل الجملة الأولى (قابلت زيداً يوم الجمعة):



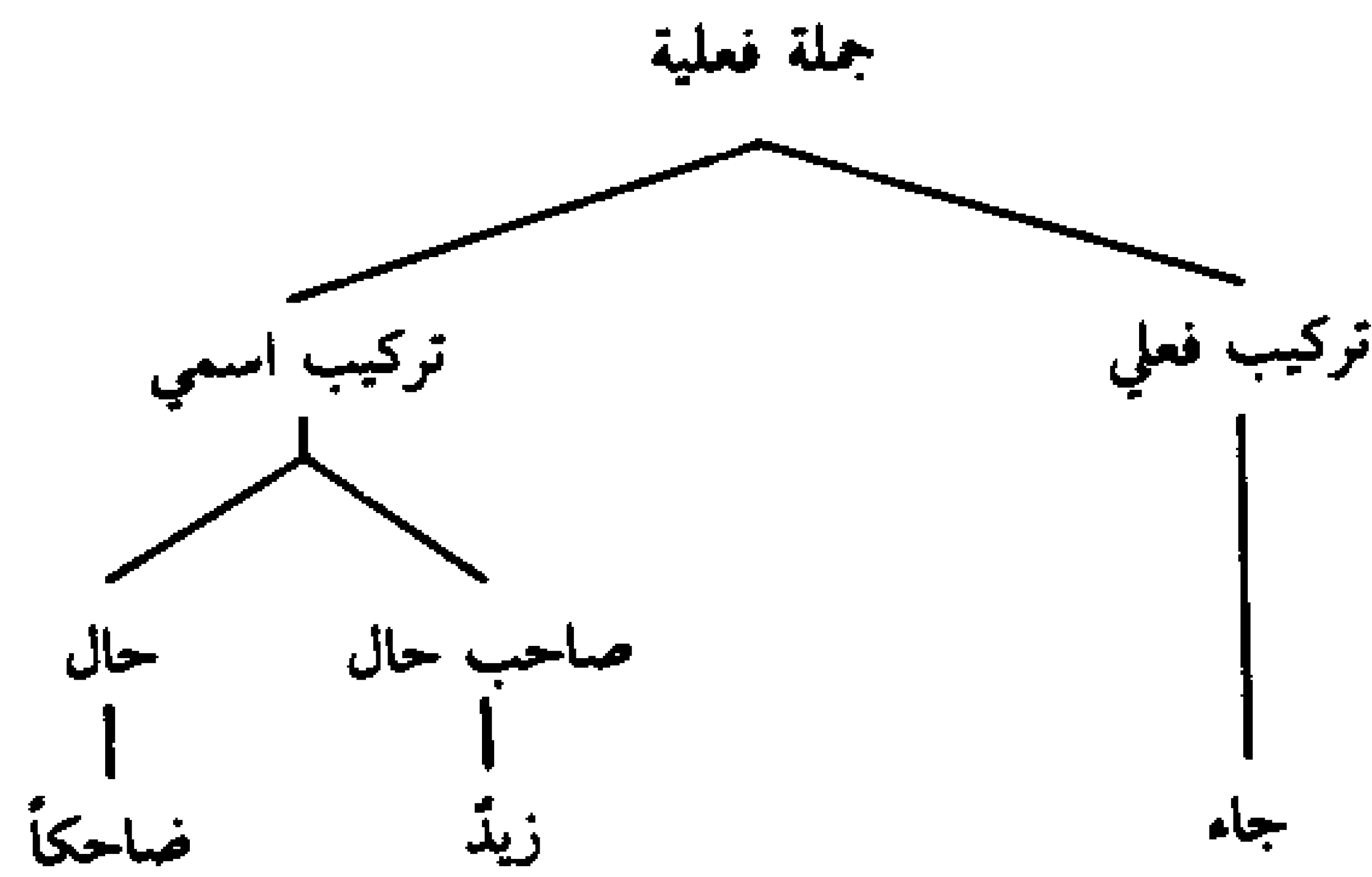
تحليل الجملة الثانية (قابلت محمداً أمام المسجد):



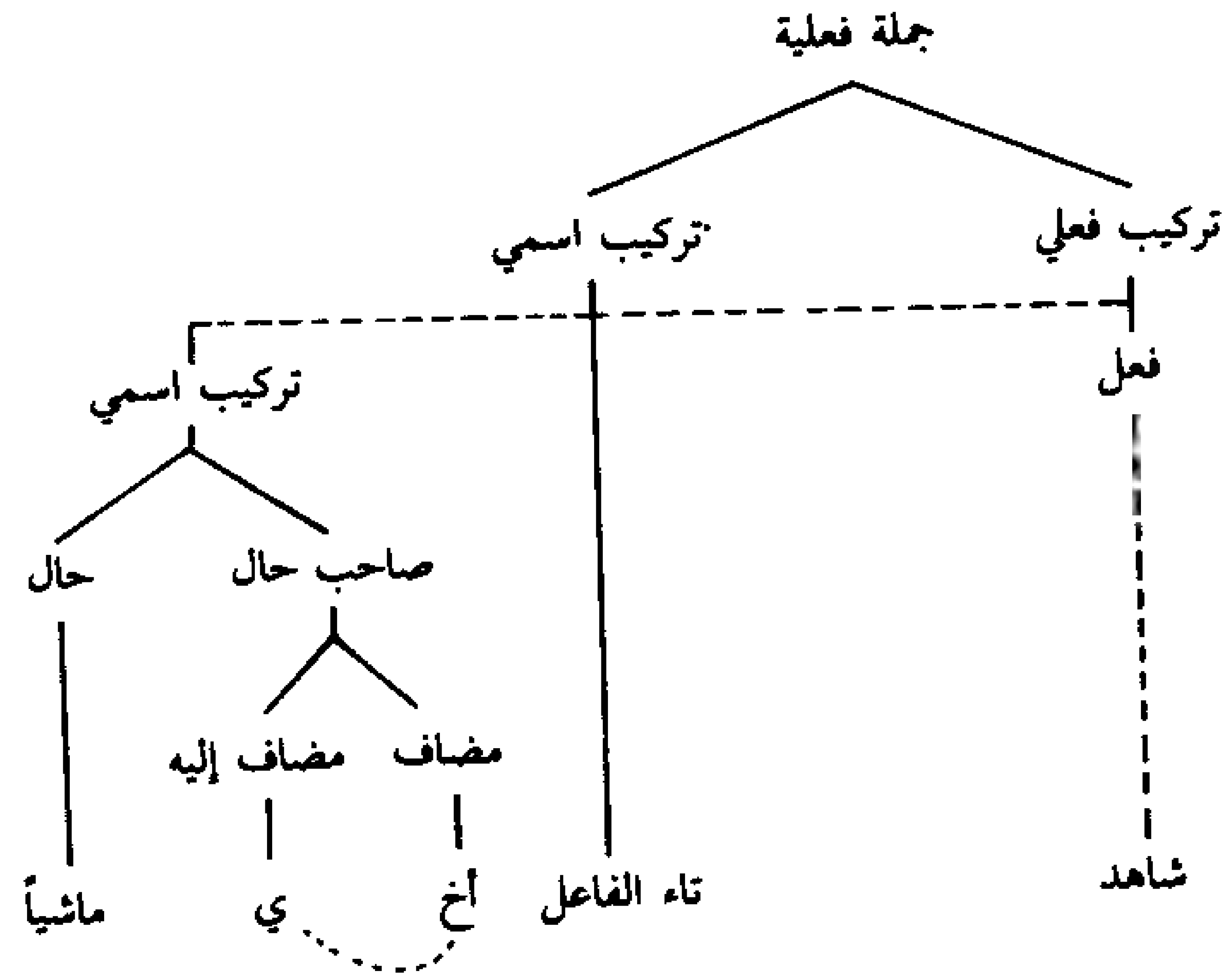
ثانياً ـ التراكيب التي تفيد تخصيص التركيب الاسمي المسند إلى الفعل وهو الفاعل أو تفيد تخصيص المفعول به وهي:

١ ـ **الحال**: يوضح هيئة الفاعل أو المفعول به. والحال التي توضح هيئة الفاعل نحو جاء زيد ضاحكاً. أما الحال التي توضح هيئة المفعول فنحو: شاهدت أخي ماشياً.

وتحلل الجملة الأولى هكذا:



وتحلل الجملة الثانية هكذا:



٢ ـ التمييز: يشرح الغموض الذي في الفاعل أو المفعول به أو الخبر.

□ أمثلـة:

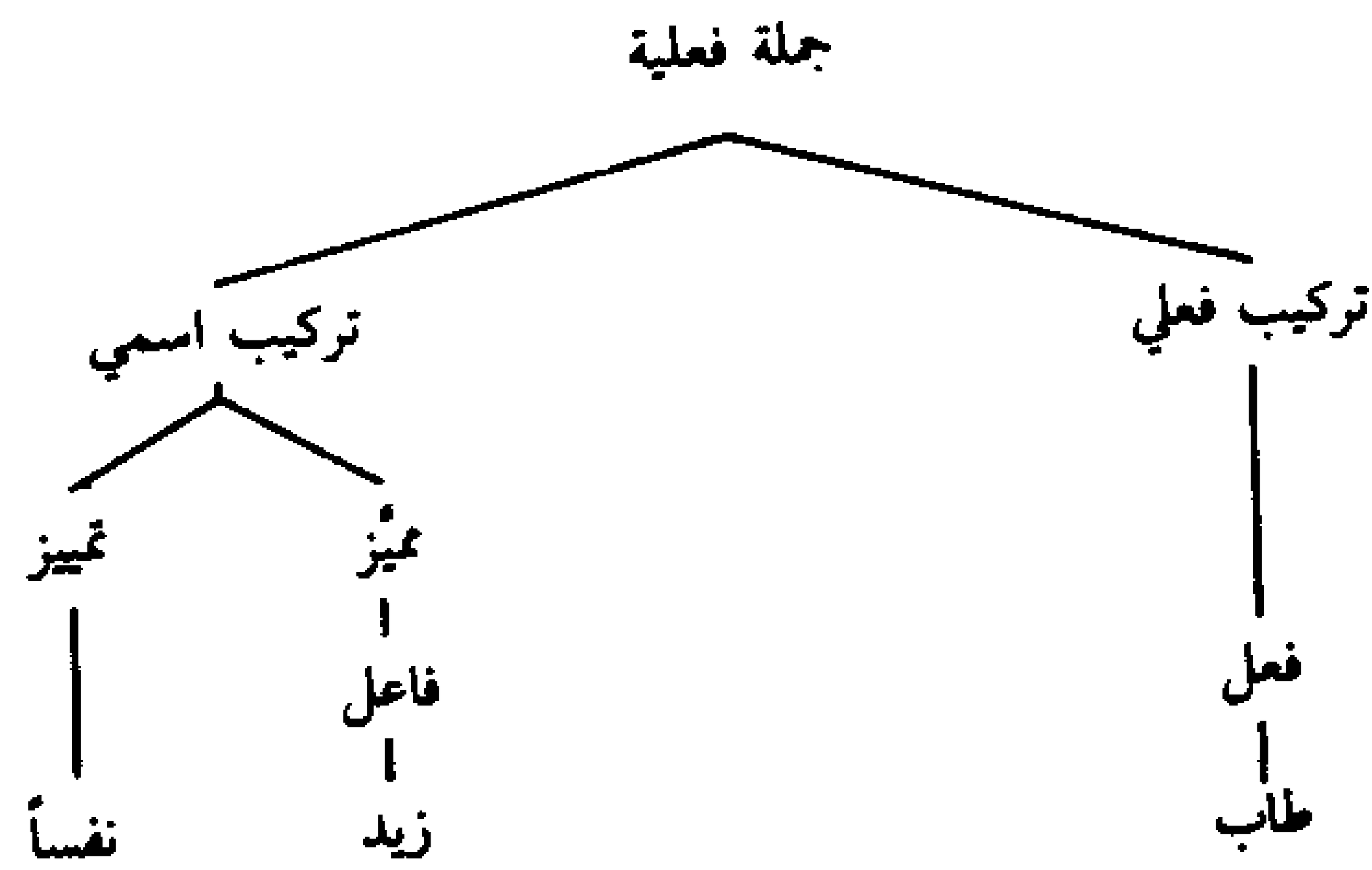
١ ـ طاب زيدٌ نفساً.

٢ ـ غرست الأرض شجراً.

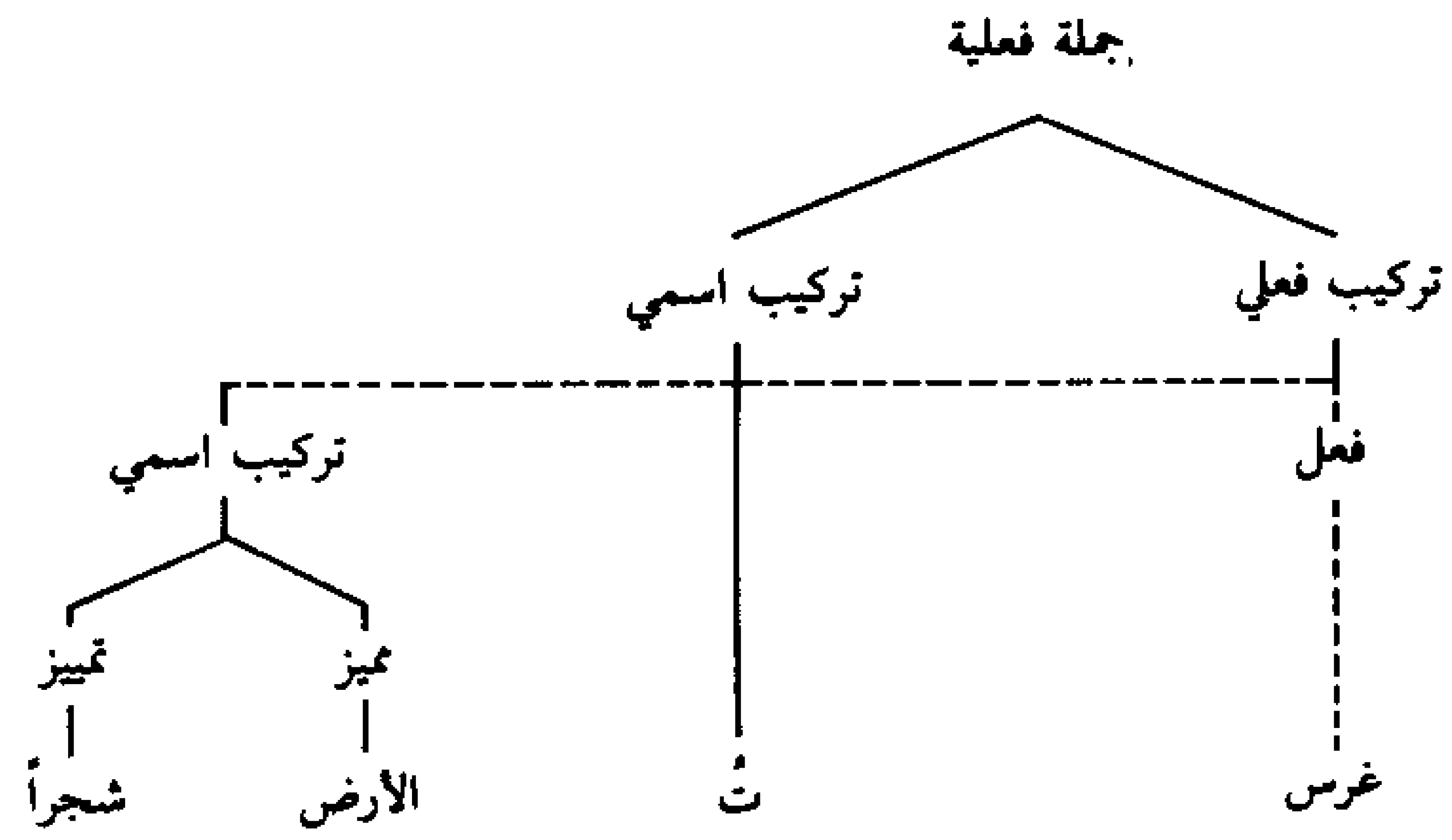
٣ ـ عندي شبرٌ أرضاً.

وتحليل هذه الجمل كما يلي:

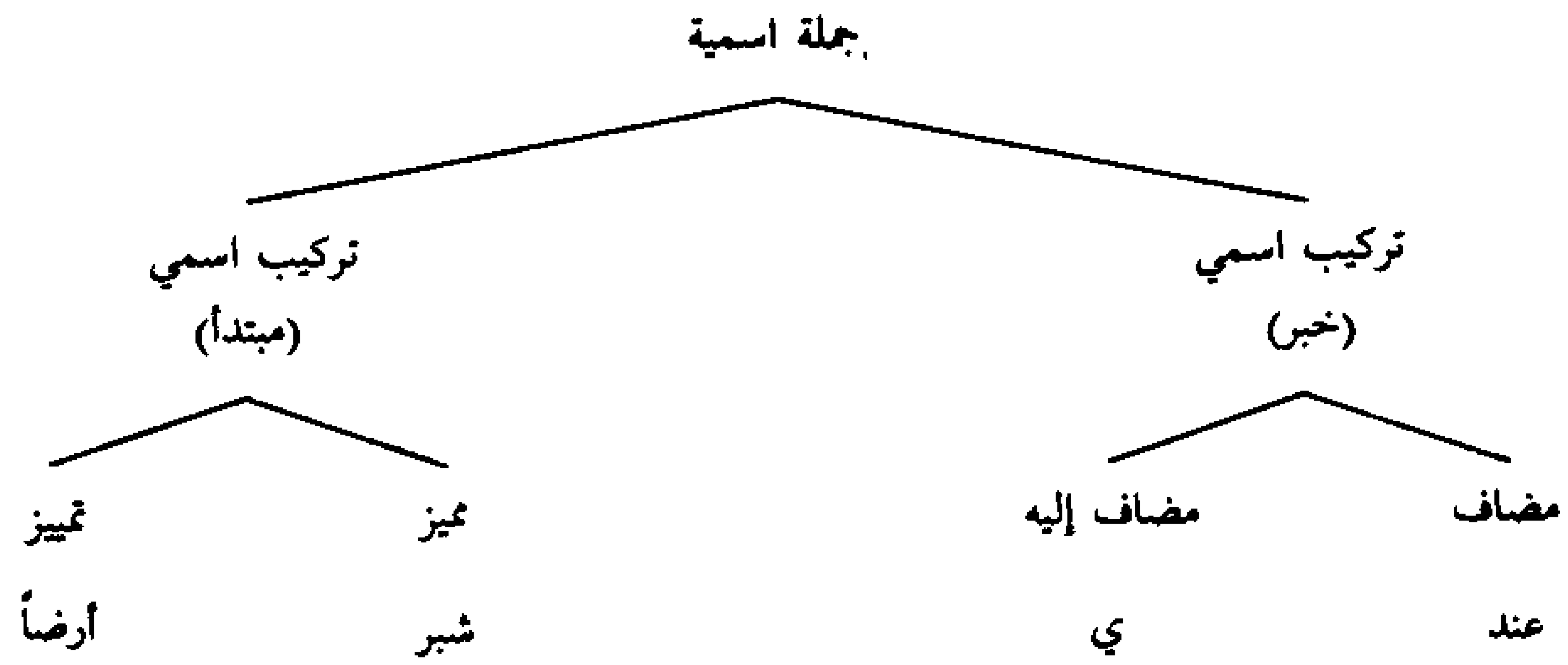
الجملة رقم (١):



الجملة رقم (٢):



الجملة رقم (٣):



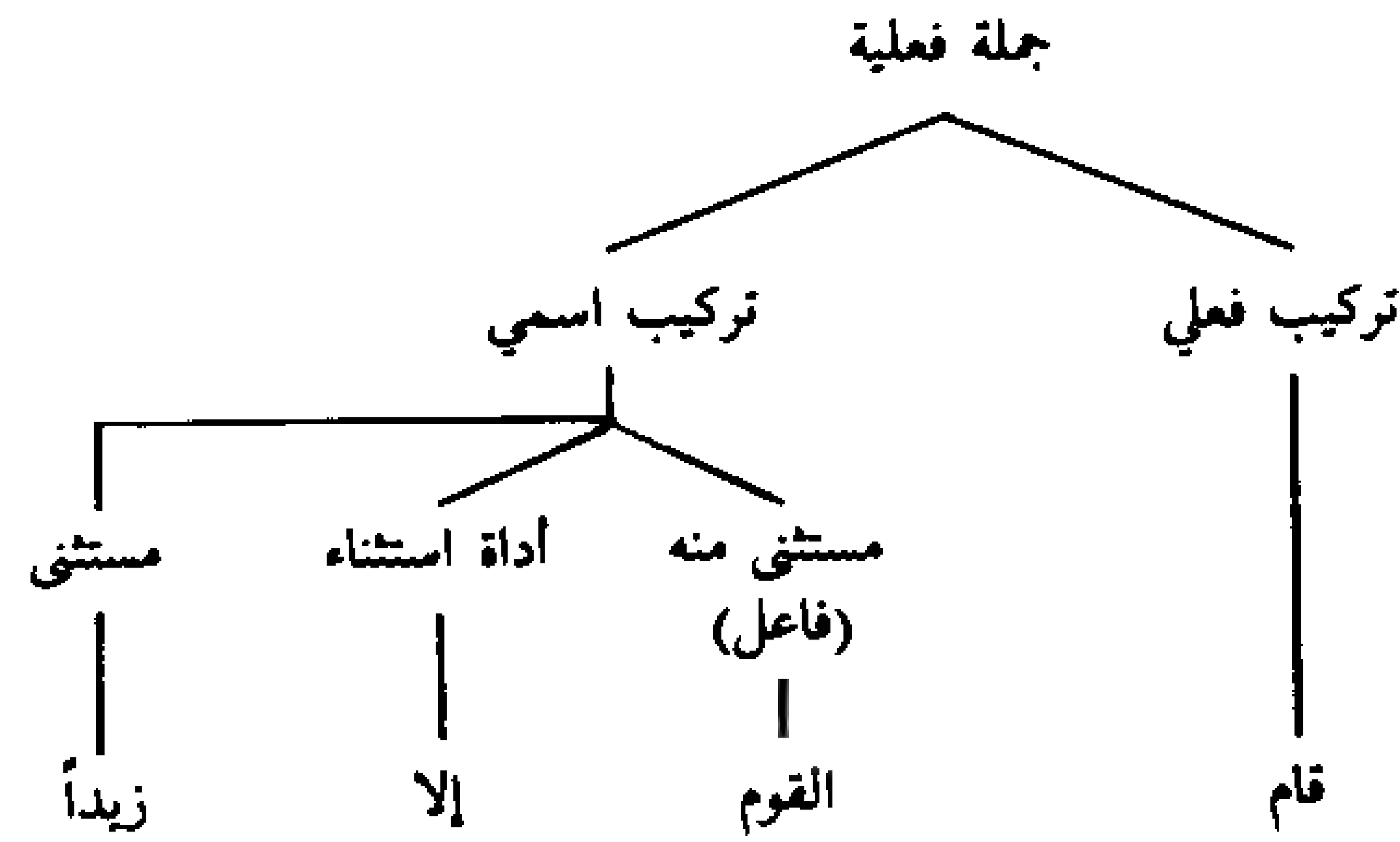
٣ ـ **الاستثناء**: يفيد إخراج شيء من الفاعل أو المفعول أو الخبر.

□ **أمثلــة**:

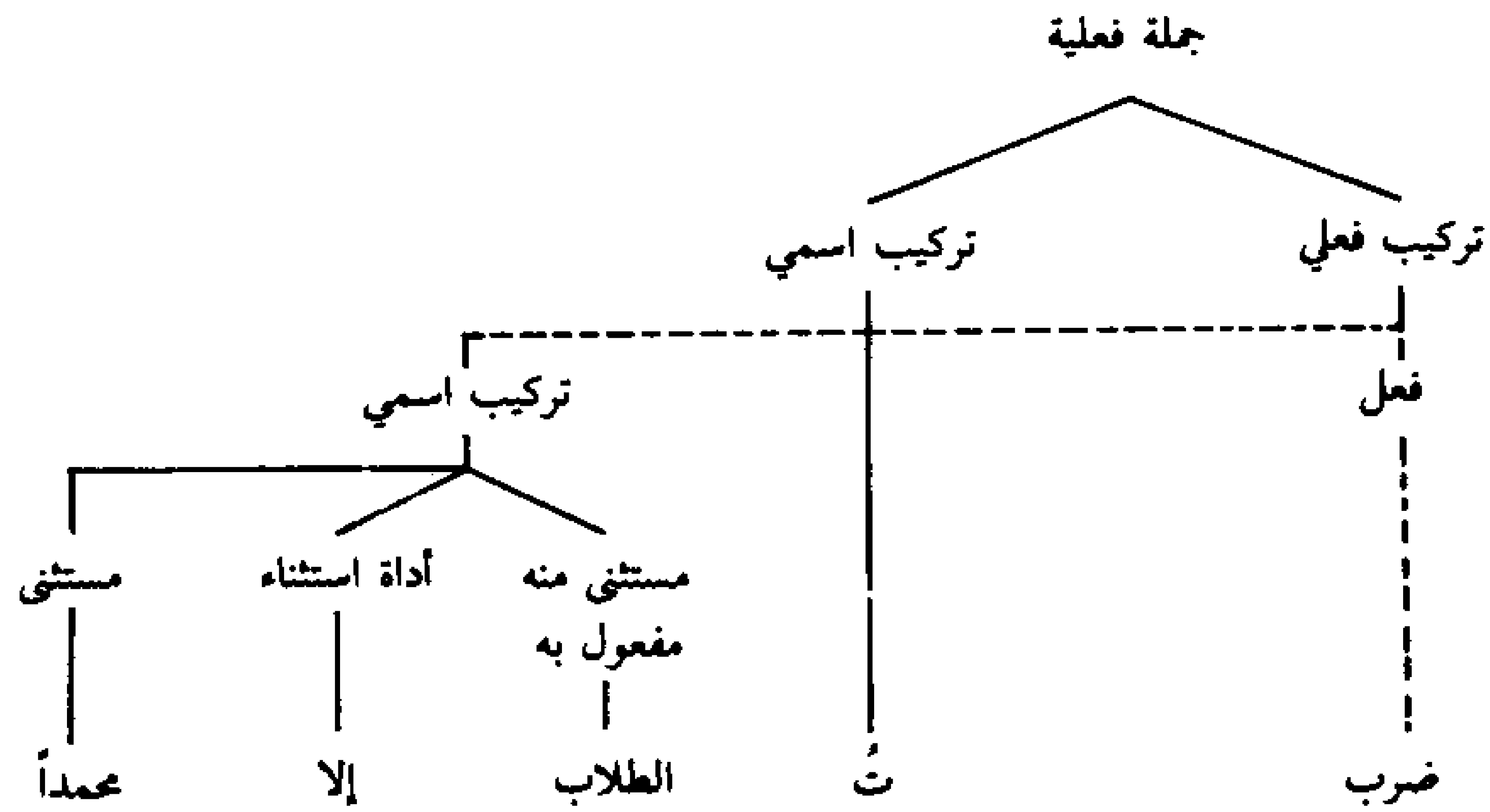
١ ـ قام القوم إلا زيداً.
٢ ـ ضربت الطلابَ إلا محمداً.
٣ ـ الطلاب حاضرون إلا محمداً.

تحليل هذه الجمل:

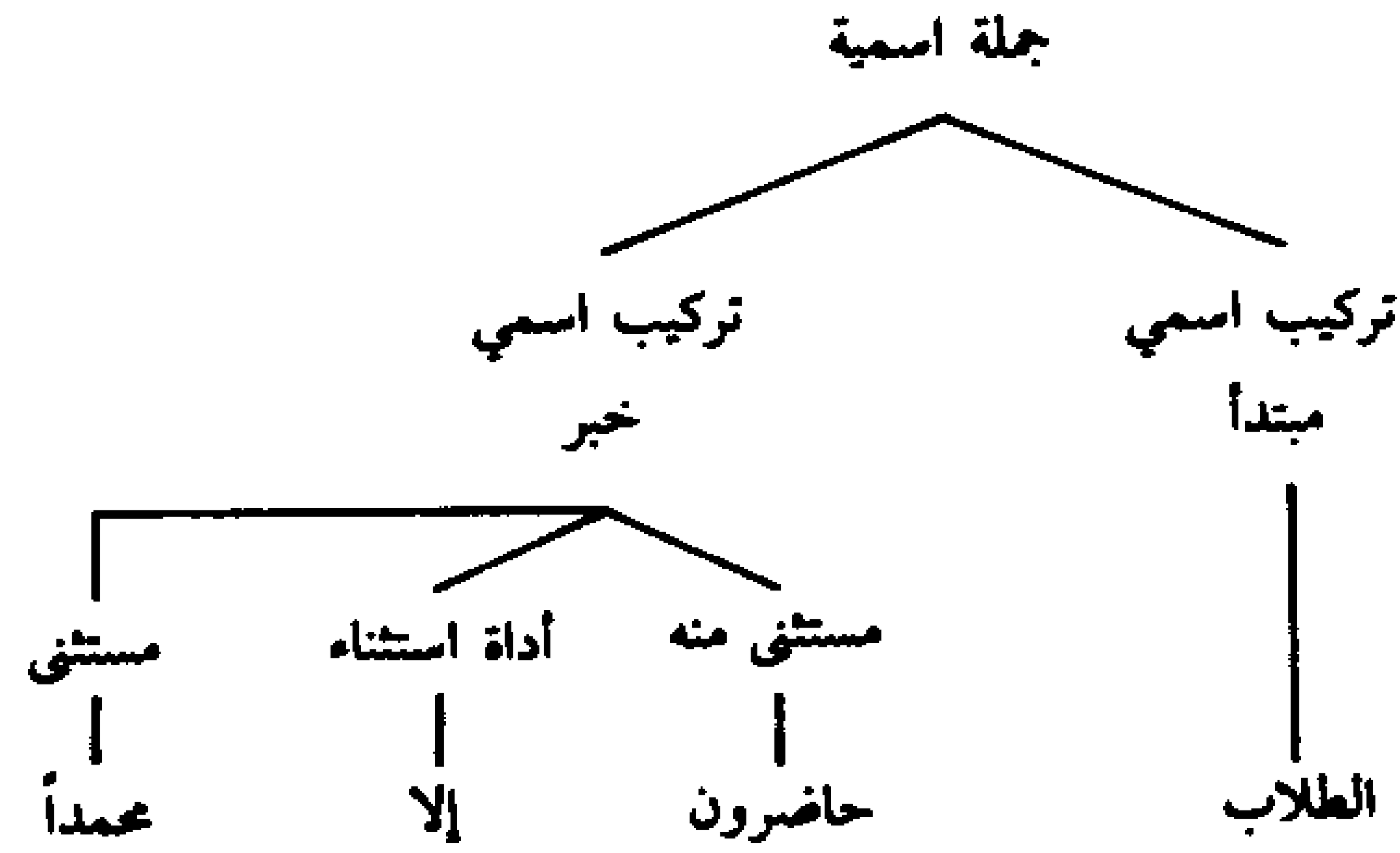
الجملة رقم (١):



الجملة رقم (٢):



الجملة رقم (٣):



ثالثاً ـ التراكيب التي تفيد النسبة:

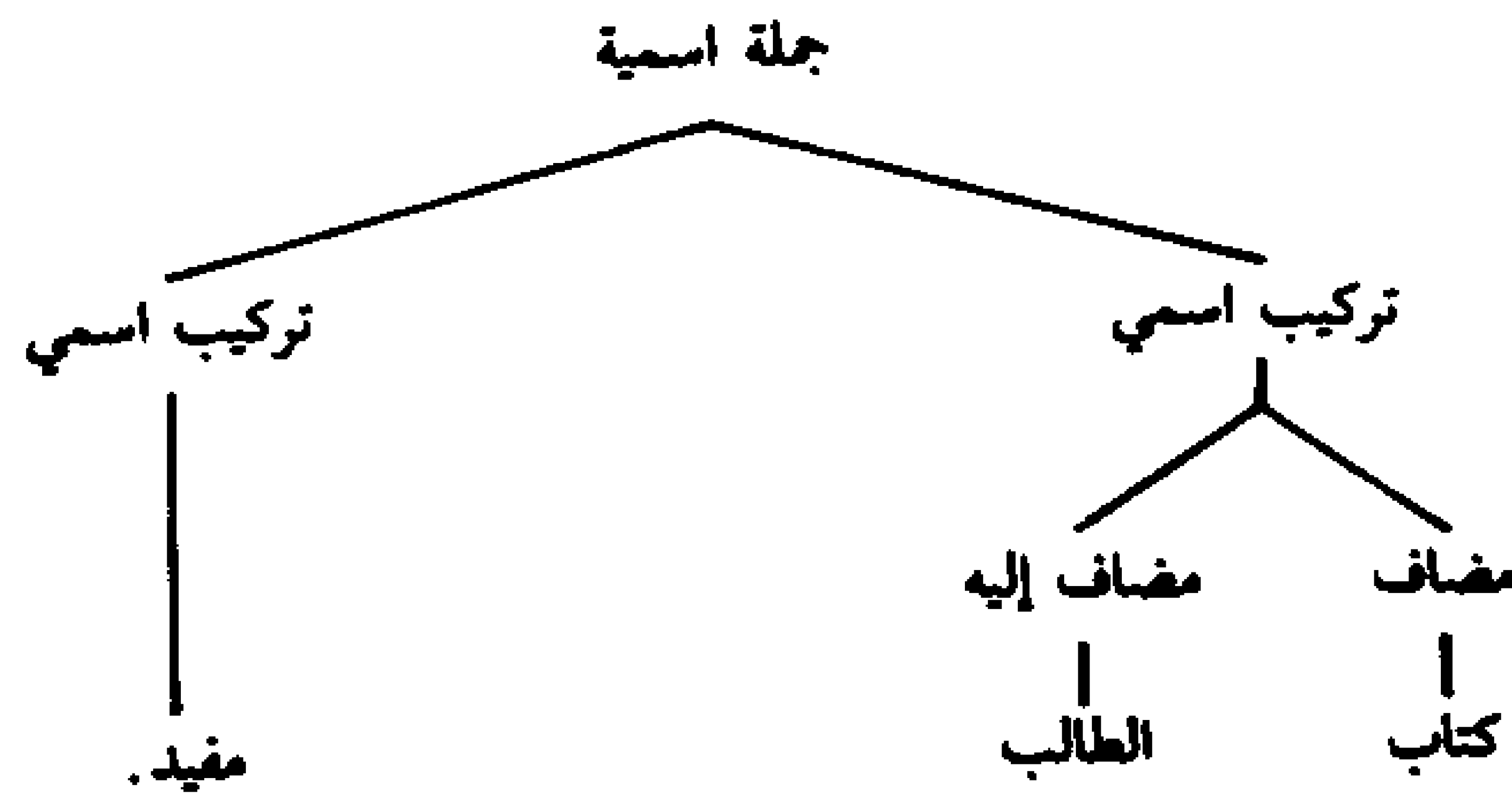
وهي الجار مع مجروره أو المضاف والمضاف إليه:

١ ـ **الجار مع مجروره**: يقول ابن مالك في تحديد حروف الجر:

هاك حروفَ الجرِّ، وهي: من، إلى، | حتى، خلا، حاشا، عَدَا، في، عن، على

مُذ، منذ، رُبَّ، اللام، كي، واو، وتا، | والكاف، والباء، ولعل، ومتى

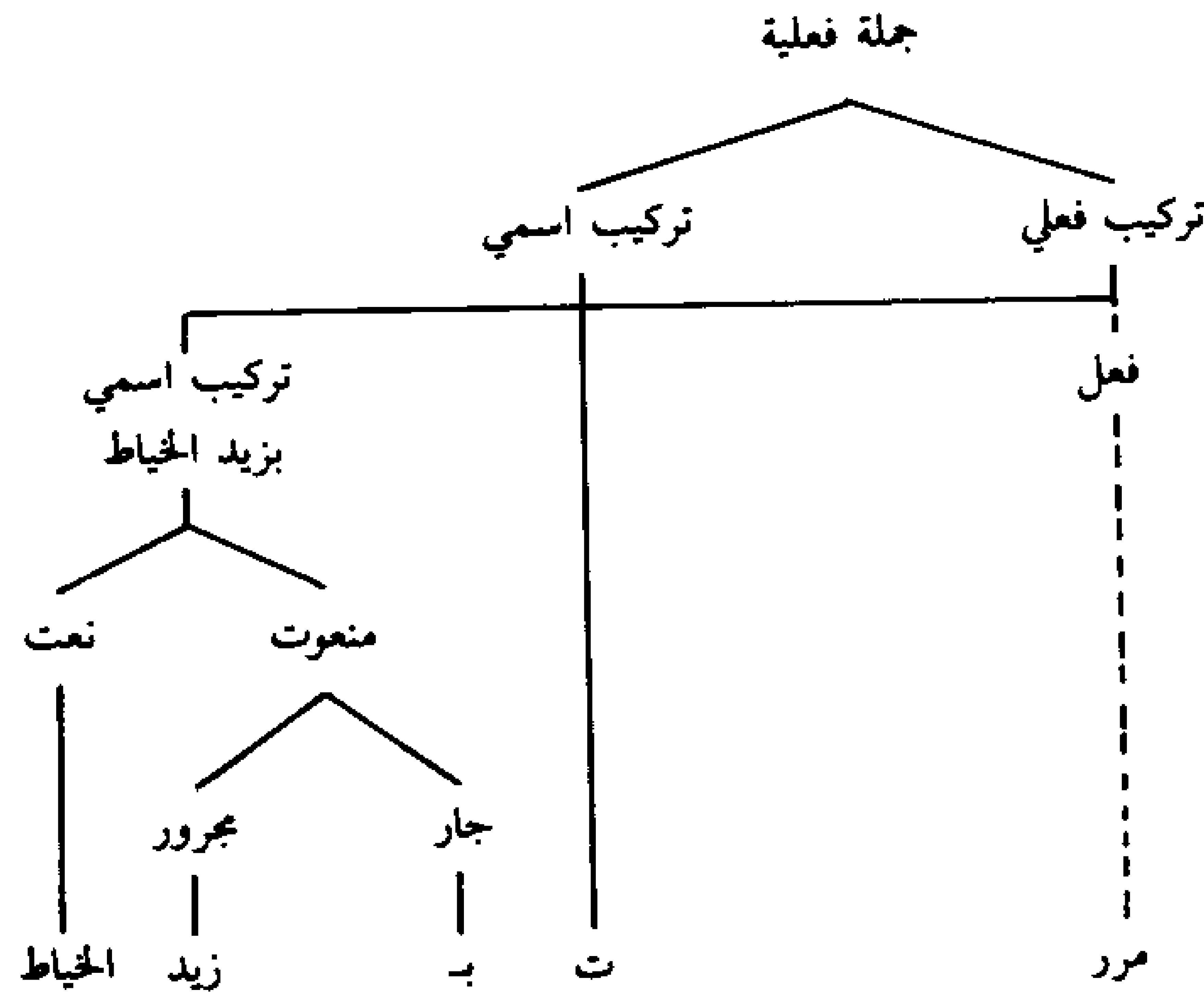
٢ ـ **المضاف والمضاف إليه**: نحو كتاب الطالب مفيد. وتحلل هذه الجملة كالآتي:



رابعاً ـ التراكيب التي تفيد التبعية، وهي النعت والتوكيد والعطف والبدل:

١ ـ **النعت**: يفيد النعت تخصيص منعوته نحو مررت بزيد الخياط، أو مدحه نحو مررت بزيد الكريم، أو ذمه نحو قوله تعالى: ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾، أو ترحمه نحو مررت بزيد المسكين، أو تأكيده نحو قوله تعالى: ﴿فإذا نُفخ في الصور نفخةٌ واحدةٌ﴾[1]. ونستطيع تحليل الجمل السابقة كالآتي:

الجملة الأولى (مررت بزيد الخياط):



وبالمثل يمكن تحليل الجمل الأخرى.

٢ ـ **التوكيد**: وهو قسمان معنوي ولفظي.

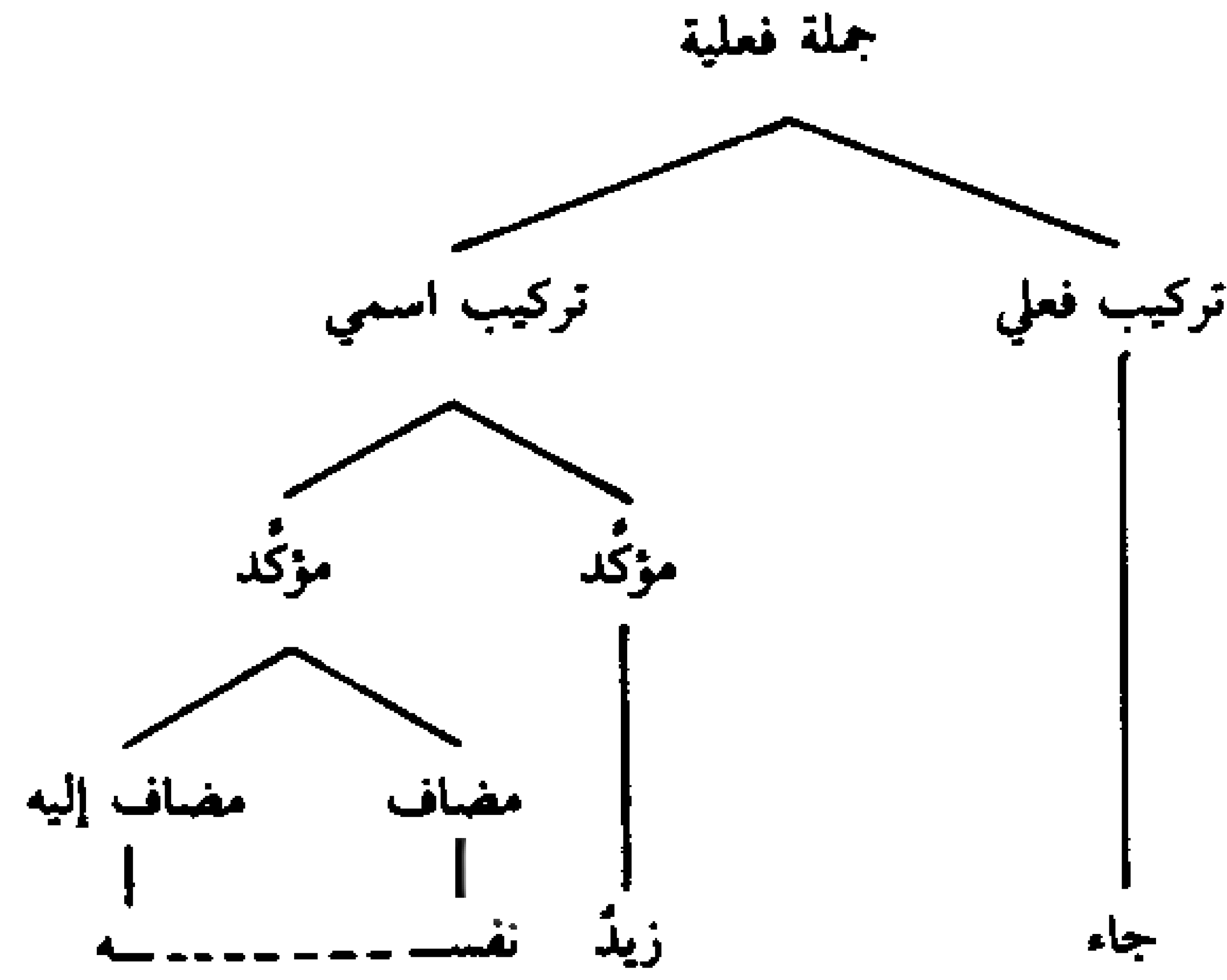
الأول: التوكيد المعنوي وهو على قسمين هما:

(١) ابن عقيل ٢/١٩١ ـ ١٩٢.

١ ـ يرفع توهم مضاف إلى المؤكد وله لفظان: النفس والعين نحو جاء زيدٌ نفسه وجاءت هند نفسها وجاء الزيدان أنفسهما وجاءت الهندان أنفسهما وجاء الزيدون أنفسهم.

ولا بد من إضافة النفس أو العين إلى ضمير يطابق المؤكَّد(١).

ويمكن تحليل مثال من الأمثلة السابقة كالآتي:



٢ ـ يرفع توهم عدم إرادة الشمول، والمستعمل لذلك كلّ وكِلا وكلتا وجميع، ويؤكد بكل وجميع ما كان ذا أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه نحو: جاء الركب كلُّه، وجاءت القبيلة كلُّها. ويؤكد بـ (كلا) المثنى المذكر نحو: جاء الزيدان كلاهما، وبـ (كلتا) المثنى المؤنث نحو جاءت الهندان كلتاهما. ولا بد من إضافتها كلها إلى ضمير يؤكد المؤكَّد(٢).

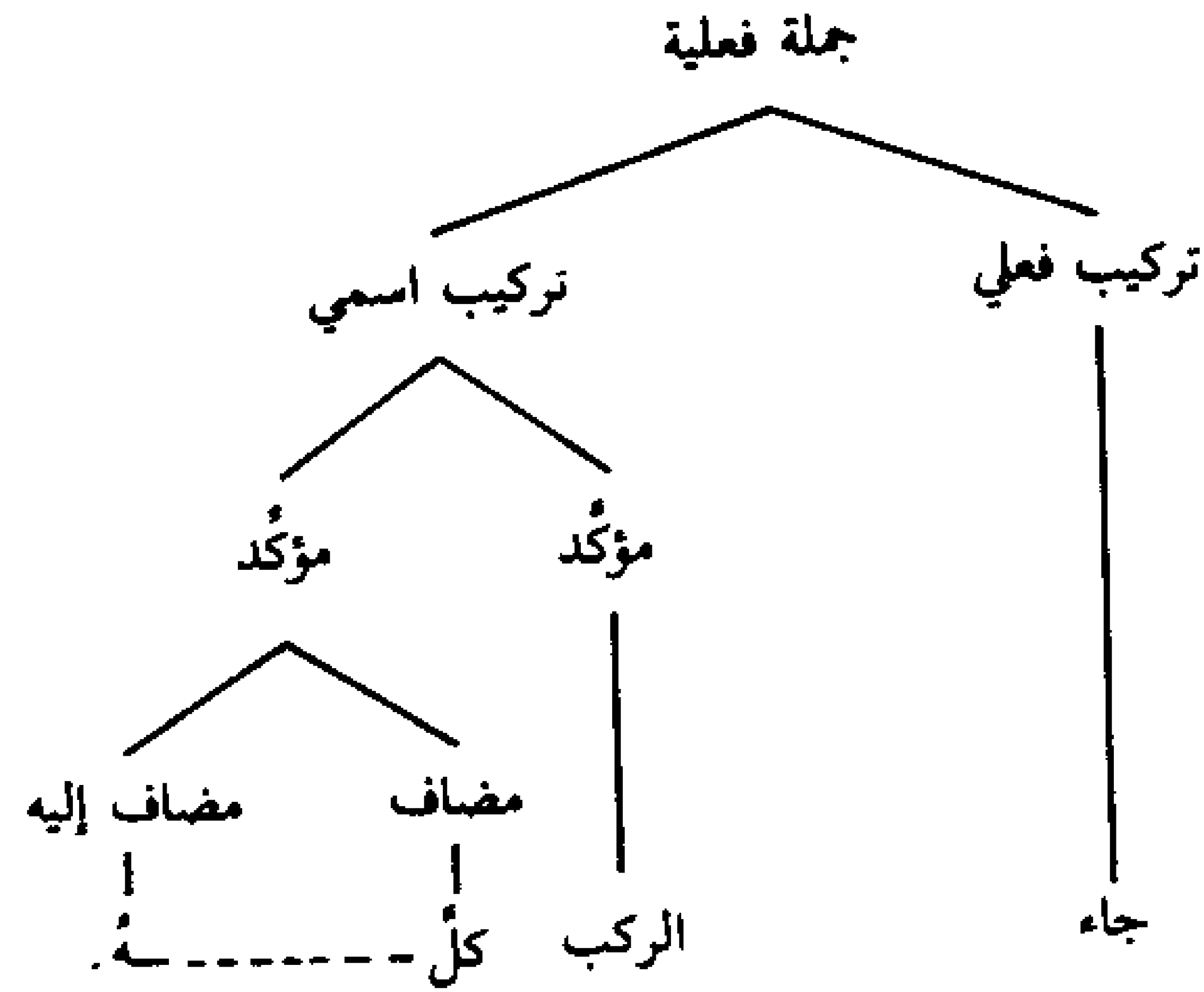
وفيما يلي تحليل مثال من الأمثلة السابقة:

جملة (جاء الركب كلُّه):

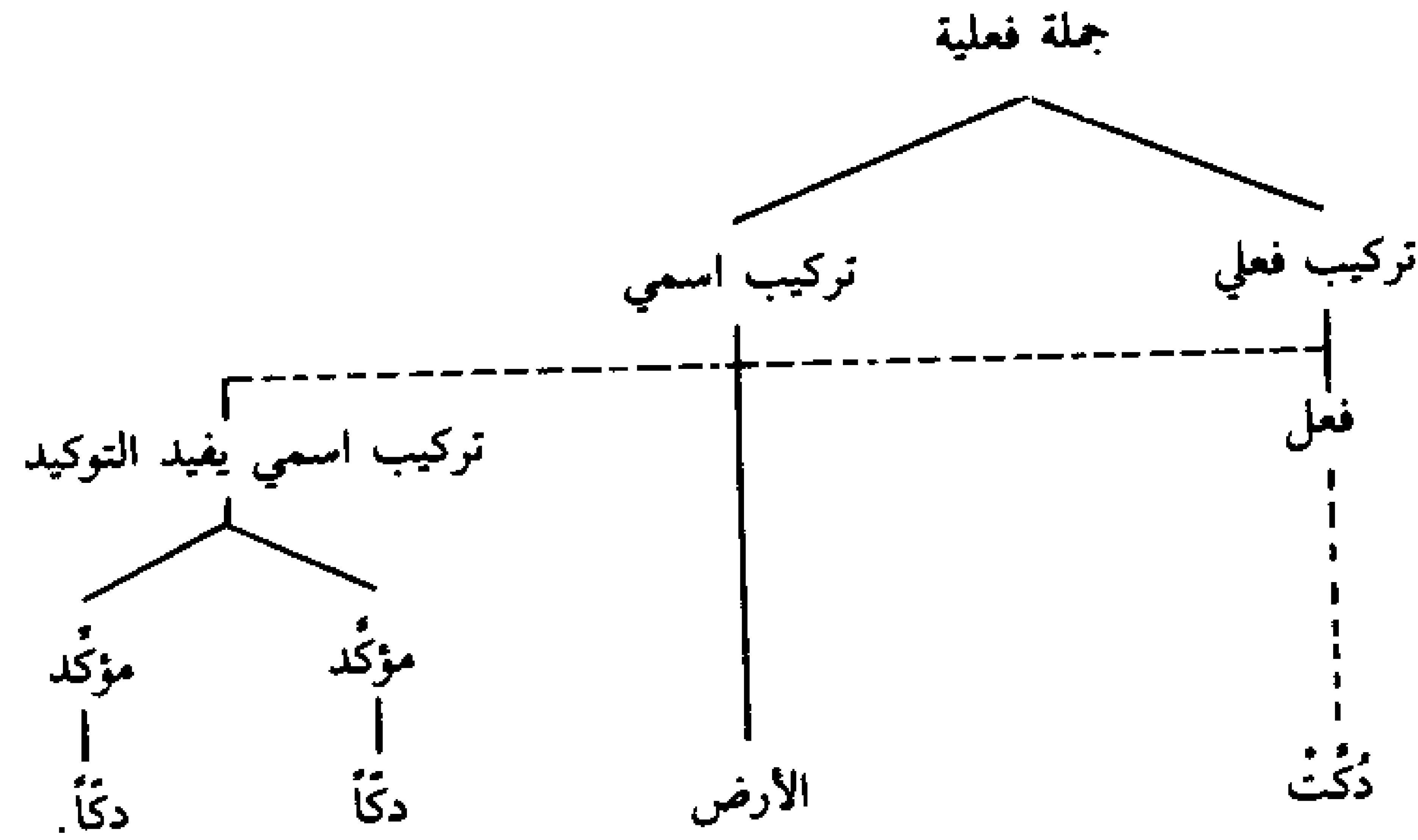
---

(١) ابن عقيل ٢/٢٠٧.

(٢) ابن عقيل ٢/٢١٨.



الثاني: التوكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ الأول نحو قوله تعالى: ﴿إذا دُكَّت الأرض دَكّاً دَكّاً﴾. وتحلل هذه الآية كما يلي:

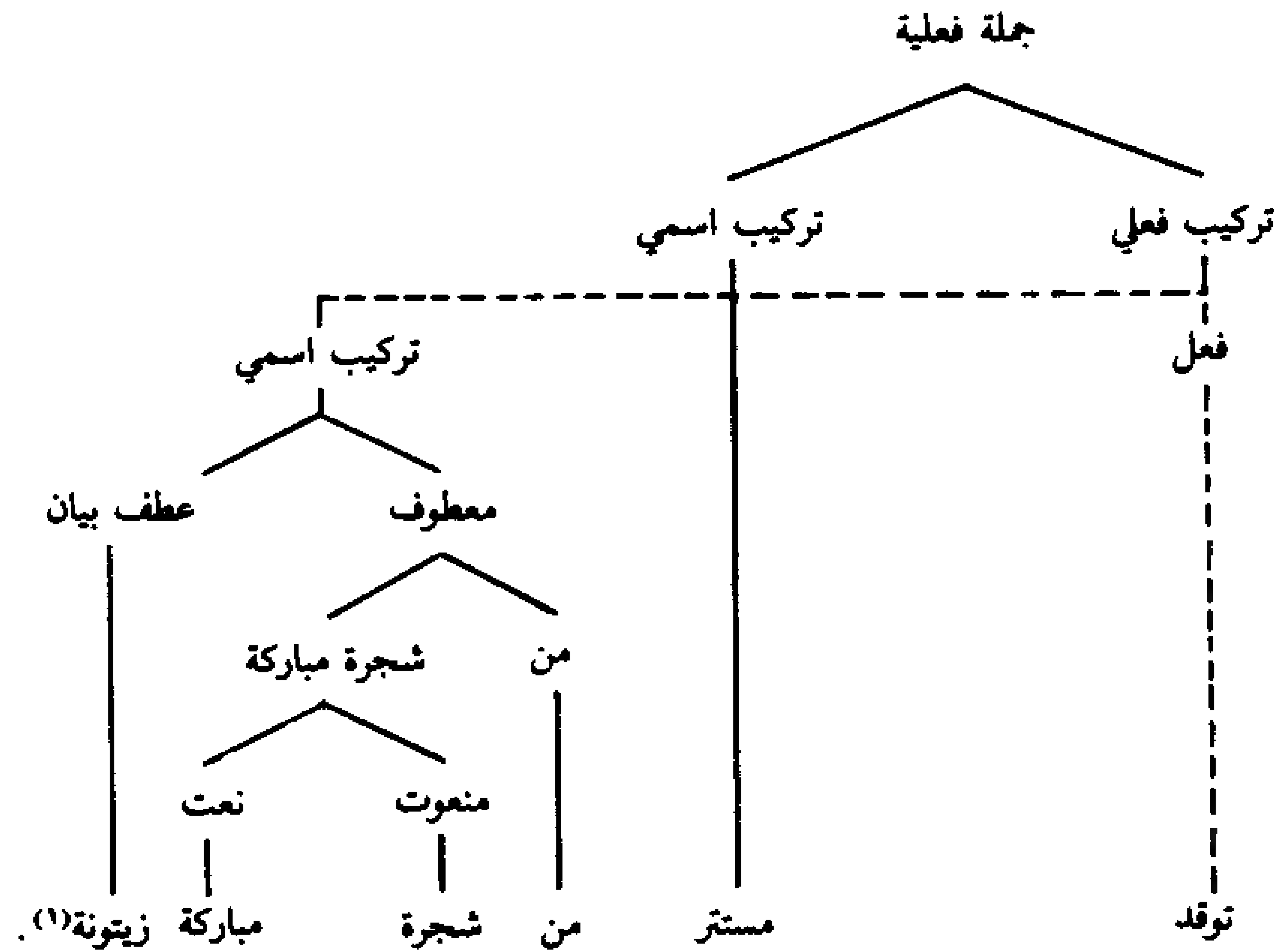


٣ ـ **العطف**: وهو نوعان: عطف بيان وعطف نسق.

١ ـ عطف بيان: وهو تابع جامد يشبه الصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله، وهو يوافق متبوعه في الإعراب والتعريف أو التنكير

والجنس والعدد، نحو قوله تعالى: ﴿توقد من شجرة مباركة زيتونةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿ويُسقى من ماء صديد﴾.

تحليل الجملة الأولى:



٤ ـ **عطف النسق**: هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف الآتية:

الواو: جاء زيد وعمرو.
ثم: جاء زيد ثم عمرو.
الفاء: جاء زيد فعمرو.

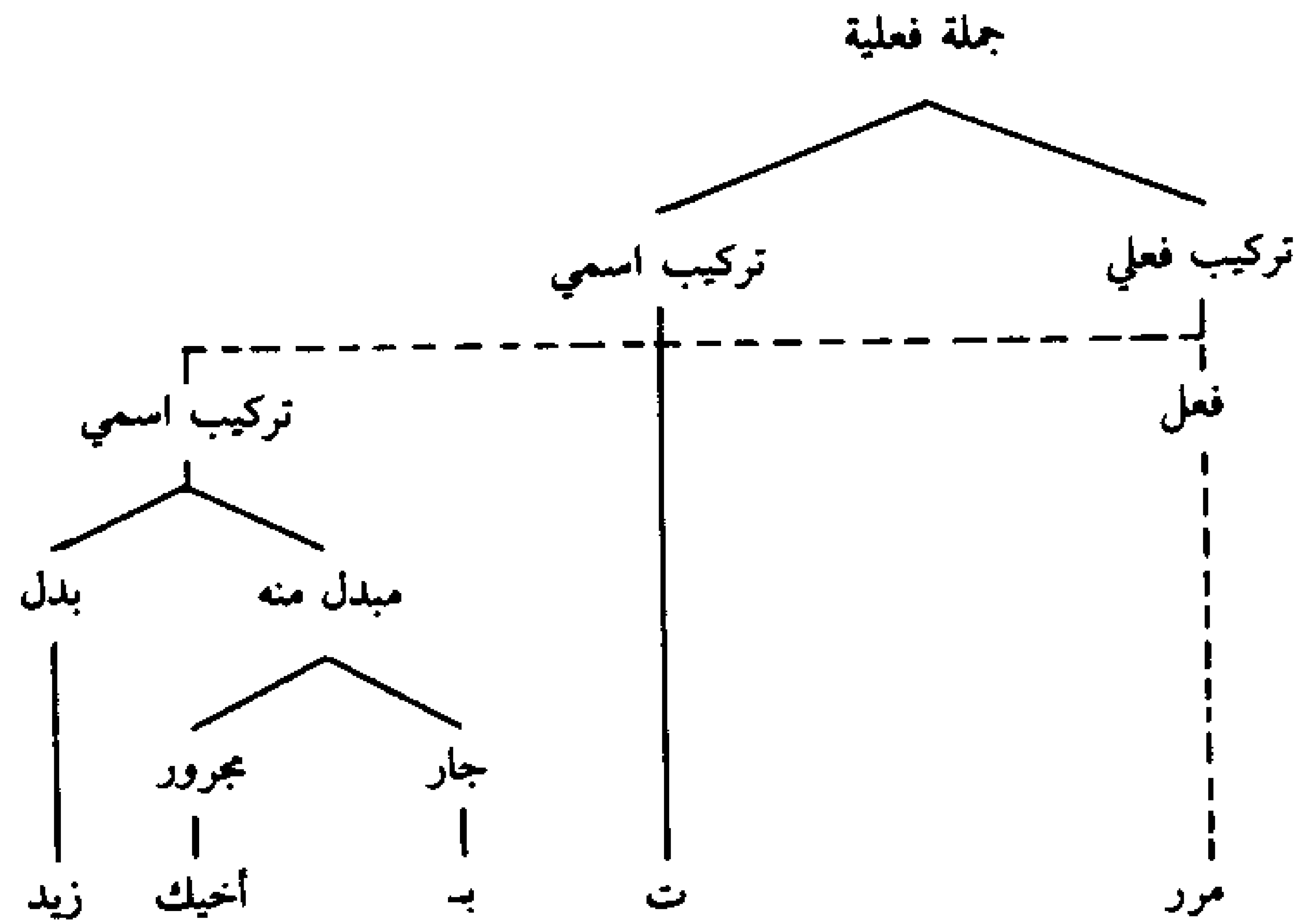
---

(١) وكل ما جاز أن يكون عطف بيان، جاز أن يكون بدلاً نحو: ضربت أبا عبد الله زيداً. وهناك مسألتان يتعين فيهما كون التابع عطف بيان هما:
(أ) أن يكون التابع مفرداً معرفة، معرباً، والمتبوع منادى نحو: يا غُلامُ يَعمُرا.
(ب) أن يكون التابع خالياً من أل والمتبوع بأل، وقد أضيفت إليه صفة بأل نحو: أنا الضاربُ الرجل زيد.

حتى: قدم الحجاج حتى المشاة.
أم: أزيد عندك أم عمرو.
أو: جاء زيد أو عمرو(٢).

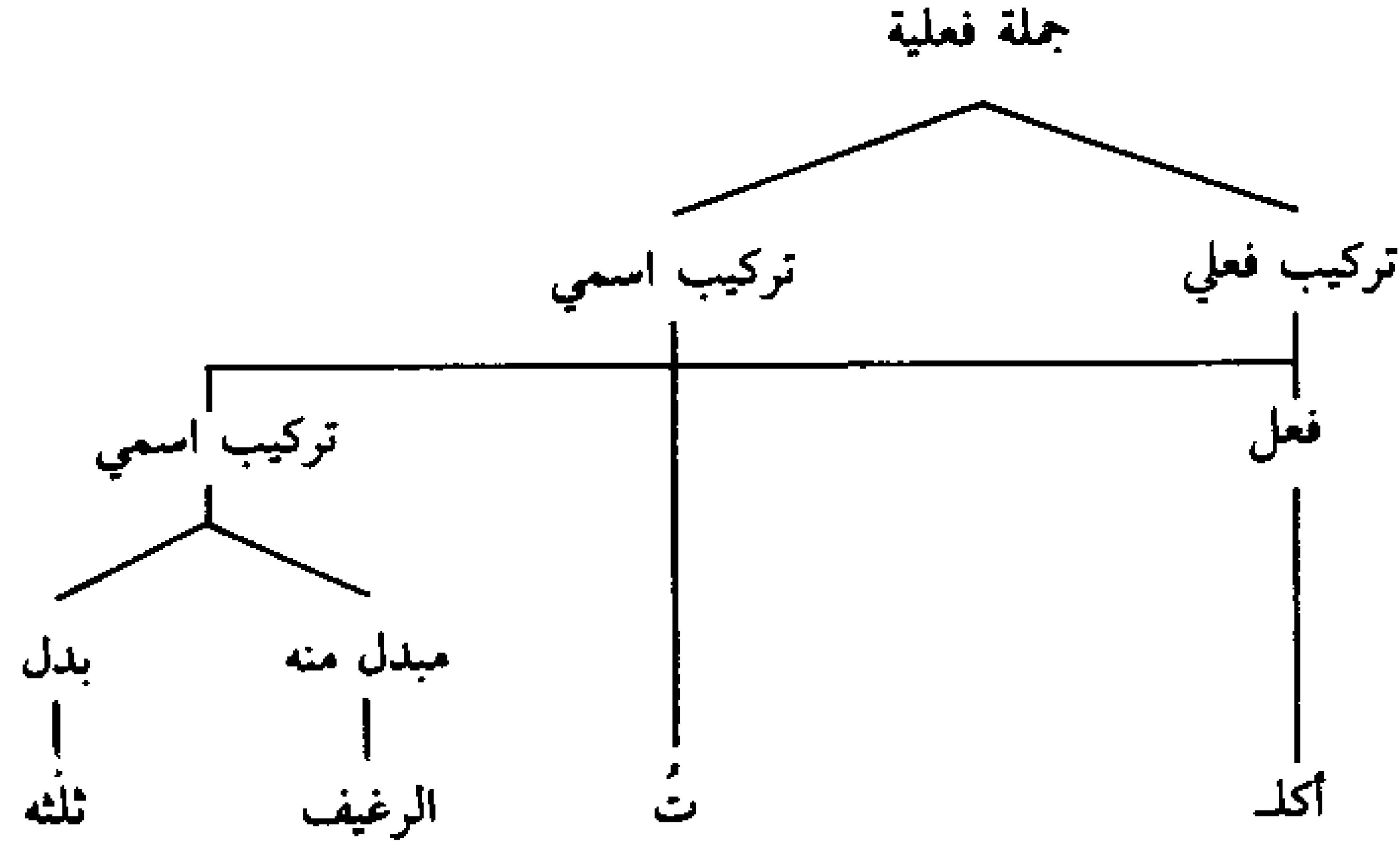
٥ ـ **البدل**: وهو أربعة أقسام.

الأول: بدل الكل من الكل، وهو البدل المطابق للمبدل منه المساوي له في المعنى، نحو مررت بأخيك زيد. ونحلل هذه الجملة كالآتي:

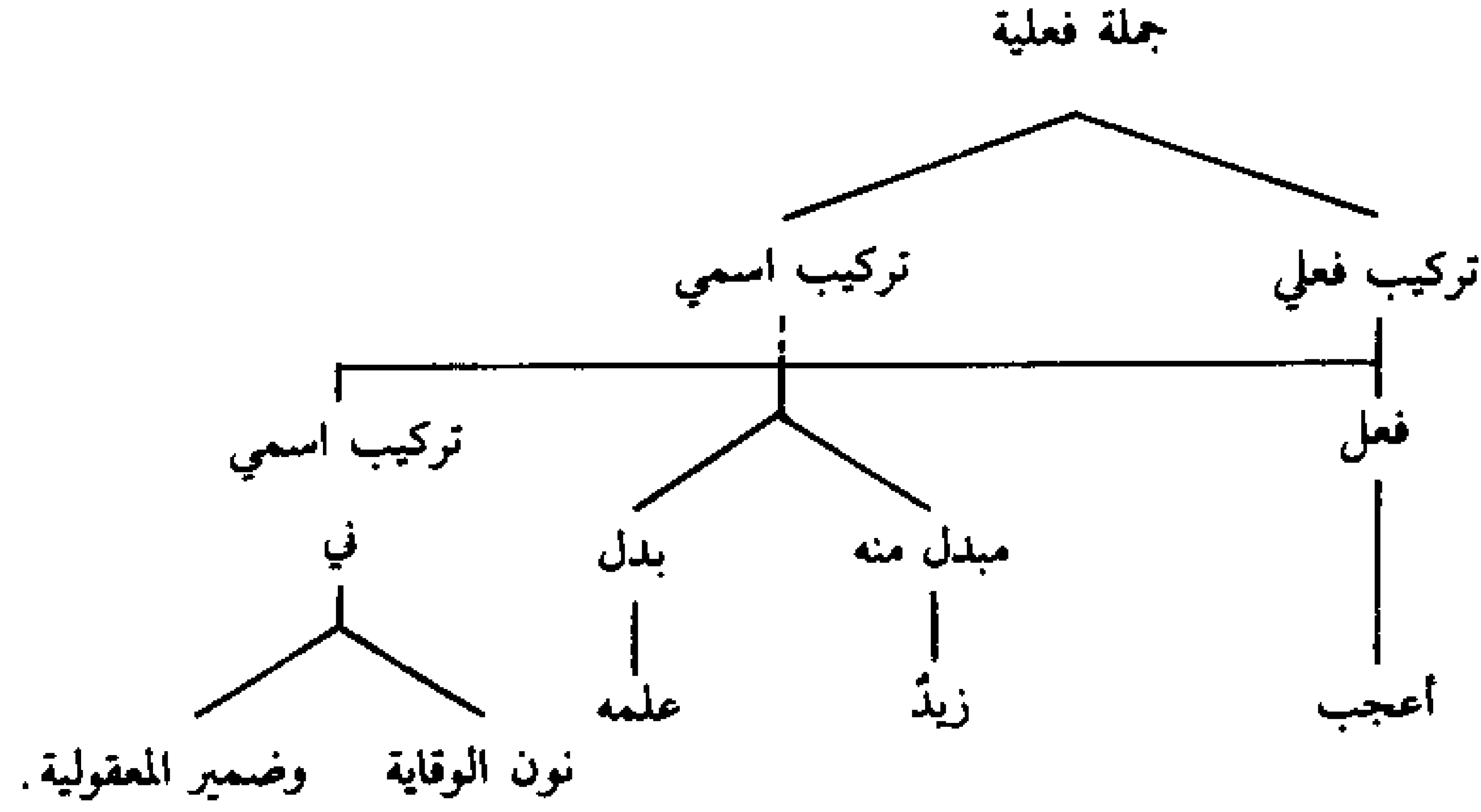


الثاني: بدل البعض من الكل نحو أكلت الرغيف ثلثه. وتحلل هذه الجملة كالآتي:

(٢) ابن عقيل ٢/٢٢٥.



الثالث: بدل اشتمال وهو الدال على معنى في متبوعه، نحو أعجبني زيدٌ علمه.



الرابع: البدل المباين للمبدل منه، وهو على قسمين، أحدهما ما يقصد متبوعه كما يقصد هو، ويسمى بدل الإضراب وبدل البداء نحو: أكلت خبزاً لحمًا، فهنا قصدت أولاً الإخبار بأنك أكلت خبزاً، ثم بدا لك أنك تخبر أنك أكلت لحمًا أيضاً. الثاني: ما لا يقصد متبوعه، بل يكون المقصود البدل فقط،

وإنما غلط المتكلم، فذكر المبدل منه، ويسمى بدل الغلط والنسيان، نحو رأيت رجلًا حماراً. أردت أن تخبر أولاً أنك رأيت حماراً فغلطت بذكر الرجل[١].

وتحلل هذه الجمل كتحليل الجمل السابقة.

البنية السطحية والبنية العميقة:

(Deep and surface structure)

لقد رأينا أنه توجد جمل في أي لغة تختلف من حيث التركيب ولكنها تتفق من حيث المعنى[٢]، وعلى العكس من ذلك توجد جمل تتكون من تركيب معين ومن مفردات واحدة وموقعها لم يتغير، ومع ذلك فإنها تحتمل معان متعددة، وقد أدى هذا إلى التمييز بين نوعين من التركيب هما: تركيب عميق وهو يشمل نتاج قواعد تركيب العبارة فقط، وتركيب سطحي ويشمل نتاج استخدام كل القواعد التحويلية الممكنة في اللغة المعينة. وتقوم القواعد التحويلية بتحويل البنية العميقة إلى سطحية. والوصف التركيبي للجملة في لغة ما يتكون من وصف البنية العميقة والبنية السطحية مع القواعد التحويلية التي تربط بينهما.

وتعتبر النظرية التوليدية التحويلية الفنولوجيا الرابطة التي تربط بين البنية العميقة والبنية السطحية، فالوصف اللغوي يتناول عنصراً آخر، وهو العنصر الفنولوجي، فمجموعة القواعد الفنولوجية تحول نتاج البنية السطحية إلى تتابعات صوتية منطوقة أو مكتوبة، والقواعد الكتابية تساعد على إنتاج تتابع خطي للكلمات المكتوبة. ويحتوي المعجم على تجسيد للأشكال الفنولوجية للكلمات، ولكن هذه الأشكال قد تتغير إذا وقعت في بيئة معينة[٣].

---

(١) ابن عقيل ٢/٢٤٩.

(٢) راجع حديثنا عن المدرسة التوليدية والتحويلية في بداية هذا الكتاب، وحديثنا عن القواعد التحويلية.

(٣) أنظر تفصيلات ذلك في باب الفنولوجيا.

وهذا يعني أن النظرية التوليدية والتحويلية ترتب القواعد كما يلي:

١ ـ قواعد أساسية، ويقصد بها القواعد التي بمقتضاها تتركب الجملة في النحو العميق.

٢ ـ قواعد تحويلية، وتقوم بتحويل البنية العميقة إلى بنية سطحية.

٣ ـ قواعد فونولوجية، وتقوم بتحويل المورفيمات الذهنية إلى وحدات فنولوجية.

□ القواعد الأساسية:

وهي القواعد التي تستخدم في تركيب البنية العميقة وتسير على هذا النظام.

١ ـ جـ ← تركيب اسمي + تركيب فعلي.
٢ ـ التركيب الفعلي ← فعل + تركيب اسمي.
٣ ـ التركيب الاسمي ← (أل) + اسم + (أداة جمع).

هذه القواعد تصف المكونات الأساسية للجملة... وبمقتضاها يمكن وصف الجملة الآتية: محمد أكل الطعام.

جـ ← تركيب اسمي + تركيب فعلي.
التركيب الفعلي ← فعل + تركيب اسمي.
أكل الطعام
التركيب الاسمي ← اسم
محمد

إذن الجملة تتكون من تركيب اسمي (محمد) + تركيب فعلي (أكل الطعام).

١ ـ ترتيب العناصر الأساسية المكونة للجملة: فإذا وضع الاسم أولاً أصبحت الجملة اسمية، وإذا وضع الفعل أولاً أصبحت الجملة فعلية. وبالتالي سيكون لدينا صورتان لهذه الجملة هما:

محمد أكل الطعام، أكل محمد الطعام.

٢ ـ **تحويل الجملة المبنية للمعلوم إلى مبنية للمجهول**: وتتبع التغييرات التي تطرأ عليها:

أكل محمد الطعام ← أُكِلَ الطعام.

أو تحويلها إلى جملة استفهامية أو إلى جملة إنشائية... إلخ.

٣ ـ **القواعد الباقية**: وهي المسؤولة عن المطابقة بين أجزاء الجملة وتوضيح المعاني النحوية لكل تركيب وعلاقته بالتراكيب الأخرى.

□ **القواعد الصرفية الصوتية المورفوفينيمية**:

بعد الانتهاء من صياغة القواعد التحويلية تبدأ المرحلة الأخيرة من التطبيق وهي تحويل الكلمات أو المورفيمات إلى وحدات فونولوجية، أو تحويل الجملة إلى شكلها المنطوق من فم المتكلم.

□ □ □

الباب الرابع

علم اللغة التاريخي

يهتم علم اللغة التاريخي بتتبع التطور الذي يطرأ على اللغة... أي على الأصوات والصرف والنحو والدلالة... وذلك من خلال المقارنة بين دراسة اللغة في فترتين زمنيتين مختلفتين أو أكثر، ويعتمد علم اللغة التاريخي في دراسته على الوثائق الثابتة تاريخياً وتظهر هذه الوثائق في عدة أشكال، مثل النقوش المحفورة على الصخور والحجارة وعلى جوانب الجبال وفي الألواح الخشبية أو الطينية المحفورة عليها بأدوات رقيقة، وفي ألواح الشمع وفي أوراق البردي.

وعالم اللغة التاريخي لا يستطيع الاعتماد على الكتابة فقط لتتبع التطور الذي يطرأ على اللغة لسببين هما:

١ ـ أن الصيغة المكتوبة للغة تقوم بدور هام في تعطيل تيار التغيير الذي يلحق لغة الكلام بسرعة، فلغة الكلام عرضة لتغييرات طبيعية فطرية، لبعدها عن المركز، وتعبر عن نفسها بسرعة خلال الزمن وتظهر في شكل لهجات عبر الزمان[1]، فمثلاً نجد أن صوت الغين يعبر عنه في الانجليزية أساً بـ (gh) أما الآن فإن هذا الصوت اختفى من أصوات الانجليزي المعاصر فإنه لا ينطقه، أما الكتابة فلا زالت ترسم الكلمة كما كانت ترسم في العصور السحيقة من القدم مثل كلمة: (Night).

٢ ـ أن الكتابة قد ترمز للصوت برمز يختلف عن الرمز الأصلي لهذا الصوت

---

(١) ماريو باي: أسس علم اللغة. ص ٦١ ـ ٦٢.

مثل C التي تنطبق كافاً في (Camel) في حين أن الرمز الأصلي للكاف هو (K) كما في (Milk) والـ (Ph) في (Elephant) التي تنطق فاء في حين أن الرمز الأساسي له هو F كما في (Familly)، بل إن الكتابة قد تثبت الحرف ولكنه لا ينطق، ونلاحظ ذلك في (أل) الشمسية مثل: الشمس، وفي الألف التي تلي واو الجماعة في الأفعال مثل: كتبوا وسافروا وقد يحدث العكس وهو أن يميل النظام الكتابي إلى نطق فتحة طويلة ولكن الكتابة لا تثبتها مثل: هذا وهذه وطه وعبد الرحمن[١].

لهذا يعتمد عالم اللغة التاريخي على المادة الحية أيضاً أي علـى اللهجات المنطوقة ويقوم بجمعها جمعاً علمياً بمنهج خاص يعرف باسم الجغرافية اللغوية، ويقوم بجمع الصور النطقية المتنوعة على خرائط مكوناتها ما يعرف بالأطلس اللغوي[٢] لأن دراسة اللهجات تعتبر أداة توضح جوانب من التاريخ اللغوي القديم، أي أنها وسيلة لفهم الماضي.

والباحث في مجال علم اللغة التاريخي يعتمد على الأسس الآتية في تحليل المادة اللغوية الحية والمدونة.

١ ـ مقارنة الظواهر اللغوية المرتبطة بتاريخ حدوثها إن أمكن ذلك، وملاحظة تغيير هذه الظاهر من فترة إلى فترة.

٢ ـ عند افتقاد التحديد التاريخي يمكن مقارنة المادة اللغوية المتفرقة قديمها وحديثها واستنباط مظاهر التطور ومساراته من خلالها بناء على الإجتهاد القائم على أساس مجموعة من الاتجاهات العامة التي تتحكم في التطور اللغوي، ومن هذه الاتجاهات مثلاً الاتجاه إلى التخفيف في بعض الصيغ، بحيث يمكن الاستنباط أن الصيغة الخفيفة أحدث من اللهجة التي تتداول الصيغة الكاملة مثل ركبت الفرس، ونتيجة لهذا التخفيف

---

(١) د. سعد مصلوح: في العربية ولهجاتها. مذكرة لطلاب كلية دار العلوم، ص ١٣.
(٢) د. حجازي: علم اللغة العربية والعربية ولهجاتها. ص ١٢.
(٣) في اللهجات العربية، ص ١٦.
(٤) علم اللغة العربية، ص ١٢٨.

قد تتحول الأفعال إلى أدوات مثل تحول الفعل نَعِمَ إلى نِعْمَ، وكَانَ الكاملة إلى كل الناقصة(٣).

نظريات التطور الصوتي:

١ ـ نظرية التغييرات التشريحية: (Anatomical change)

تعني هذه النظرية أن الحنجرة وبقية أعضاء النطق عند الإنسان تتغير من جيل إلى جيل، فدلت الأبحاث التشريحية أن أعضاء الجهاز التنفسي عند الإنسان القديم تختلف عنها عند الإنسان المعاصر... وبالتالي فإن هذا سيؤدي إلى اختلاف في نطق الأصوات، خذ مثلاً لذلك صوت الضاد كما ينطقه القدماء وكما ننطقه نحن الآن، فقد وصف (سيبويه) مخرجه بأن مخرجه من مخرج الجيم أو الشين إلاّ أنه جانبي مثل اللام ومستطيل... أما الآن فمخرج الضاد هو مخرج الدال والفرق بينهما هو أن الضاد صوت مفخم... ونحن للآن لا نستطيع نطق الضاد كما كان ينطقه القدماء.

٢ ـ نظرية التاريخ الاجتماعي:

ربط دي سوسير بين التغييرات الصوتية وبين فترات الاضطراب في تاريخ الأمة من ذلك مثلاً أن السبب في تطور اللغة اللاتينية من بين اللغات الرومانية يرجع إلى الفترة المضطربة التي اجتاحت إيطالية...

يقول جسبرسن إن الحروف والتمزق الاجتماعي تؤدي إلى دخول اللغة في صراع مع لغة أخرى... قد تكون لغة الغزاة أو لغة المهاجرين الجدد... وهذا بالطبع يؤدي إلى تطورات معينة، ويتوقف حجمها على مدى قوة وثقافة لغة الغزاة أو المهاجرين.

٣ ـ نظرية السهولة:

يقول جسبرسن لا أخشى أي معارضة عندما أعزو إلى الإنسان ميله إلى الكسل والتراخي والسهولة وإذا كان هذا هو ميل الإنسان فإن اللغة عندما تتطور تميل أصواتها إلى الاقتصاد في المجهود.

---

(١) سنتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد.

وقد اعترض على هذه النظرية أوستهوف (Osthoff) وهو من أحد النحاة الجدد (Neogrammarian) وقال إن السهولة والصعوبة مصطلحان نسبيان فما يعد سهلاً عند متحدث يعد صعباً عند متحدث آخر، فصوتاً السين والثاء سهلان عند الإنجليزي ولكنهما صعبان عند المتعلم الأجنبي للغة الإنجليزية.

وقد أيد هذا الرأي الدكتور عبد الرحمن أيوب، ولكن مع ذلك نجد أن اللغات عندما تطور أصواتها فإنها تميل إلى التخلص من الأصوات الصعبة.

٤ ـ نظرية التقليد: (Imitation)

يرى أصحاب هذه النظرية أنه عندما تتطور الأصوات فإننا نجد أن صوتاً ما قد حل محل صوت آخر، فتطور الثاء في العربية الفصحى إلى تاء في لهجة القاهرة كما في ثعلب وتعلب يعني أن صوت الثاء استبدل بصوت التاء... والتفسير الوحيد لهذا هو أن المتحدثين بلهجة القاهرة يقلدون صوت التاء عندما ينطقون صوت الثاء.

ويؤيد هذه النظرية جسبرسن ويقول إن أصل التغيير الصوتي يرجع إلى تقليد العادات الكلامية عند أناس آخرين.

ويجب أن نضيف إلى ذلك القول إن التقليد يؤدي إلى تغيير ومقاومة التقليد تؤدي هي الأخرى إلى تغيير.

٥ ـ نظرية تداخل الكلام:

من أهم العوامل في التطور الصوتي استخدام المتحدث لغتين، فعندما يتكلم المتحدث لغتين سيوجد تداخل في الكلام بدرجة ما، وينشأ التداخل عندما يحاول الشخص المزدوج اللغة أن يعقد تشابهاً بين الفونيم في لغته الثانية وبين الفونيم القريب منه في لغته الأم، وهذه الحالة غير مقتصرة على الثنائية اللغوية (Bilingualism) ولكنها شائعة بوجه عام بين الذين يتعلمون لغة أجنبية، فمثلاً الطالب التركي الذي يتعلم العربية يميل إلى نطق فونيم الواو العربي كما

ينطقه في لغته التركية أي (٧) فبدلاً من أن ينطق الكلمة العربية (ولد) نطقاً عربياً فصيحاً ينطقها (فَلَد)[١].

أنماط التغيير الصوتي:

١ ـ التحرك الصوتي:

أول ما لفت الأنظار إلى التحرك الصوتي جريم (Grimm) أحد مؤسسي فقه اللغة المقارن، وعرف ذلك فيما بعد باسم قانون جريم، يقول إن الأصوات الإنفجارية المجهورة في مجموعة اللغات الهند وأوروبية تتحول إلى إنفجارية مهموسة في الألمانية... وهكذا فالـ(b) تصبح (p) والدال تصبح تاء والجيم تصبح كافاً، أما الأصوات الإنفجارية المهموسة في الهند وأوروبية فتتحول إلى إحتكاكية مهموسة وهكذا فالـ(p) تصبح فاء والتاء تصبح ثاء والكاف تصبح خاء[٢].

وفي اللغة العربية نجد الأنماط الآتية من التحرك الصوتي:

تتحول الأصوات الأسنانية الاحتكاكية إلى نظائرها الأخدودية أو إلى نظائرها الإنفجارية اللثوية... وفيما يلي بيان بهذه الأصوات وبالأصوات التي حلت محلها.

الذال:

(أ) حل محلها الزاي نحو بذور وبزور.
(ب) حل محلها الدال نحو قُنفُذ وقُنفُد وبرذعة وبردعة، نذل وندل جِذْر وجِدْر.

الثاء:

(أ)حل محلها السين نحو حثالة أو حسالته.
(ب) حل محلها التاء نحو ثأْر وتار، ثوم وتوم.

---

(١) راجع كل ما سبق روبرت لارد: علم اللغة المقارن. ص ١٠١ ـ ١٠٥.
(٢) Bloom Field, The Language, p.

الظاء:

(أ) حل محلها الضاد مثل حنظل وحنضل[1].

تحول الأصوات الحنكية إلى أصوات لثوية... وفيما يلي بيان بذلك:

الكاف:

تتحول إذا كانت متبوعة بكسرة إلى تش في لهجتي ربيعة ومضر، وذلك إذا دلت الكاف على ضمير المخاطبة المؤنثة، وفي الوقف تتحول إلى شين فقط كما يتضح ذلك من المثال الآتي:

فيك. فتش ـ فيش[2].

ومن أمثلة هذا التحرك قول الراجز:

إنْ دَنَوْتِ جعلْتُ تُنيش
وإن نأيت جعلْتُ تْدِنِيش
وإن تكلمت حثْتُ في قيش
حتى تَنَقّى كنقيق الدِّيش

الجيم:

ـ تحول من أقصى الحنك إلى وسطه، وحدث ذلك في أول الأمر قبل الكسرة أي (gi) ثم عَمّ هذا بحيث أصبح مخرجه من وسط الحنك قبل الفتحة والكسرة والضمة.

ـ تحول الصوت (gi) إلى (di) مثل دشيش بدلاً من جشيش.

ـ طرأ على الصوت (di) التغييرات الآتية:

(أ) ذهاب الدال وبقاء الكسرة وكتبت ياء، وينسب ذلك إلى تميم، قالت أم الهيثم:

---

(١) بتصرف عن د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي. ص ٥٣ ـ ٥٤.
(٢) د. صلاح صالح: المدخل إلى علم الأصوات. ص ١٣٨.

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شِيرات

أي من شجرات.

(ب) انقلاب الياء إلى شين مجهورة مع بقاء الدال فأصبح (dj).

وساد هذا النطق عند أهل قريش، وكان هذا النطق هو النطق السائد عند القرشيين في زمان النبي، صلى الله عليه وسلم، فصار نطق القرآن الكريم والعربية الفصحى[1].

(ج) ذهاب الدال وبقاء الشين المجهورة وينسب هذا إلى تميم.

قال زهير بن ذؤيب العدوي:

فيال تميم صابروا قد أشئتم إليه وكونوا كالمحربة البسل

ومن هذا أيضاً اجترث واشترث، مجتهد ومشتهد[2].

٢ ـ تحول الصوت (aw) إلى ضمة ممالة طويلة، والصوت (ay) إلى كسرة ممالة طويلة... ثم تحولهما معاً إلى فتحة طويلة نحو: عَيْب وعِيب وعَاب.

وتنسب هذه الظاهرة إلى بلحارث، وهي قبيلة يمنية كانت تلزم المثنى الألف... قال الراجز:

طارت علاهن فَشُل علاها

واشْدُد بمثنى حقب حقواها

ناجية وناجيا أباها

ومن ذلك أيضاً يَوْجل ويَاجل[3] وعلى لغة هذه القبِّيلة جاء قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾.

---

(١) د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي. ص ٩٣.

(٢) د. صلاح صالح: المدخل إلى علم الأصوات. ص ١٤٠ ـ ١٤١.

(٣) د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي. ص ٥٢.

٣ ــ سقوط الهمزة:

(أ) في أول الكلمة: أوضحنا من قبل عند دراستنا للقوانين الصوتية في العربية أنها تميل إلى إسقاط الهمزة الساكنة في أول الكلمة مثل أمر يأمر مُر وأخذ يأخذ خُذ، ونحب أن نشير هنا إلى أنه عم هذا الاتجاه وأصبح من المعالم الأساسية في التطور اللغوي يقول أبو بكر بن الأنباري إن العوام تخطىء في جمع السن سنات وفي الأبهام نقول بهام... وكان الناس في عصر الجواليقي يميلون إلى إسقاط همزة أب فيقولون بِرياح بدلاً من أبو رياح.

(ب) في وسط الكلمة، وهذه الظاهرة تميز لهجة قريش نحو سأل وسآل، ويسأل ويَسَل.

(ج) في آخر الكلمة: يؤدي سقوط الهمزة في آخر الأفعال إلى التباسها بالأفعال المعتلة الآخر فتعامل معاملتها عند إسنادها إلى الضمائر يقول ابن الإنباري: ويقال أردأت الرجل وأرداته وأرديته...

فمن قال أرداته لَينّ الهمزة ومن قال أرديته انتقل عن الهمزة[1] شبه أرديت بأرضيت، ومثل هذا قول العرب: قرأت بتحقيق الهمز وقرات بتليين الهمز وقريت يترك الهمز والانتقال عنه إلى التشبيه بقضيت ورميت، وكذلك يقال إقرأ بالتحقيق، وإقرأ بـالتليين.

(د) يؤدي سقوط الهمزة إلى نوع من الاشتقاق الجديد، فإن سقوط الهمزة من الفعل يؤاسي مضارع آسى، ويؤدي مضارع أدى وتحولها إلى يواسي ويُوَدي مثلاً هو المسؤول عن اشتقاق الماضي الجديد وأسى وودي، وغير ذلك مما هو شائع في اللهجات الحديثة، وكان في لهجة طيء القديمة.

٤ ــ القلب المكاني:

يتمثل في تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض، مثل جذب، وجَبَـذَ

---

(١) د. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي. ص ٤٩.

وسحاب مكفهر، ومكرهف، واضمحل، وامضحل، ولزج ولجز ومن ذلك أيضاً تقول تميم: رعملي بدلاً من لعمري وصاقعة وصواقع بدلاً من صاعقة وصواعق ومعيق في عميق.

□ □ □

الباب الخامس

علم اللغة المقارن

تقسيم اللغات البشرية إلى أسر لغوية:

يعتمد المنهج المقارن على أسس المنهج التاريخي، ويختلف عنه في أنه يتتبع الظاهرة اللغوية في أعماق الماضي السحيق... ومن أبرز نتائج هذا المنهج أنه حصر اللغات الإنسانية المكتوبة، في تسع عائلات مصنفة حسب تشابه كل عائلة في الملامح العامة سواء أكانت صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية، والبيان الآتي يوضح هذه العائلات، وهو مرتب حسب عدد السكان الذين يتكلمون كل عائلة:

عدد السكان بالمليون	إسم العائلة
١٠٠٠	الهندو أوروبية
٥٠٠	الصينية والتبتية
١٠٠	الإفريقية
١٠٠	الدارفيدية
١٠٠	اليابانية الكورية
٩٠	الملايو
٧٥	السامية ــ الحامية
٦٠	الأورالية
١٠	الهندو أميريكية

ملحـــوظات:

١ ـ الهندو أوروبية:

يتكلم بهذه العائلة أكبر عدد من المتكلمين، ويغطون أكبر مساحة جغرافية، وتضم الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والفارسية ولغات أخرى كثيرة في الهند.

٢ ـ الصينية والتبتية:

تشمل مجموعة غير مترابطة من اللغات والعلاقة بينها لا توحي بشيء من الاشتراك الثقافي واللغة الصينية هي أكثر لغات هذه العائلة انتشاراً.

ويشمل نظام الكتابة في اللغة الصينية عدداً من اللهجات المختلفة والمختلطة. وتضم هذه العائلة أيضاً مجموعة لغات ألتبت وبورما.

وتمتاز هذه اللغات بأن معظم الكلمات فيها تتكون من مقطعين، وتمتاز أيضاً بأنها لغات نبرية وتستخدم الروابط التي تفيد الشخص والعدد.

٣ ـ اللغات الإفريقية:

تحتوي هذه اللغات على مجموعة كبيرة من اللهجات التي يمكن أن نجمعها في مجموعتين كبيرتين تشمل الأولى كل اللهجات السائدة في إفريقيا الغربية والوسطى وشمالاً حتى المنطقة الاستوائية، ومن بين لهجات هذه المجموعة الهاوسا واليوريا والمادينجا، وتشمل المجموعة الثانية لغة البانتو وتمتد حتى القرن الإفريقي الشمالي.

٤ ـ اللغات اليابانية الكورية:

أفراد هذه المجموعة غير مترابطة، فاليابانية بالرغم من أنها تشبه اللغة الصينية في نظامها الكتابي إلا أنها تختلف عنها في الخواص الأخرى، كالنحو والصرف، فالأفعال مثلاً تتصرف تصريفاً يختلف عن التصريف السائد في العربية أو الفرنسية، وكل الأفعال لا ترتبط بالدلالة على الشخص، ذلك أنه

لا يوجد فيها ضمائر شخصية، وبدلاً من الدلالة على الشخص تدل على فكرة الألفة والأدب والأكثر تأدباً.

٥ ــ مجموعة اللغات الدرافيدية:

تنتشر هذه المجموعة في جنوب الهند وشمال سيريلانكا وسيلان، ووجود هذه اللغات إلى جانب اللغات الهندو أوروبية خلق مشاكل اجتماعية خطيرة.

٦ ــ مجموعة لغات الملايو والبولونيزية:

تنتشر هذه المجموعة في مساحات شاسعة وغريبة الشكل، فهي تنتشر في مناطق بحرية شاسعة وجزر كثيرة، وتمتد من تاهيتي في الشرق حتى مالاجاش في الغرب، وقد كان هذا التوزيع عفوياً.

٧ ــ مجموعة اللغات السامية الحامية:

تنقسم هذه المجموعة إلى مجموعتين هما المجموعة السامية والمجموعة الحامية.

وأهم لغات المجموعة السامية العربية التي يتكلم بها كل شعوب العالم العربي الآن. أما اللغات الحامية فيتكلم بها سكان شمال إفريقيا والسودان والصومال.

٨ ــ مجموعة اللغات الأورالية والالتائية:

تضم هذه المجموعة عدداً كبيراً من اللغات، وتمتد المساحة التي يتكلم السكان بها هذه المجموعة من شمال ووسط أوروبا حتى أقصى شرق سيبيريا.

٩ ــ مجموعة اللغات الهندو ــ أميركية:

لا يصح أن يطلق على هذه اللغات مصطلح الأسرة والأنسب أن يطلق عليها مصطلح مجموعة، وتضم عدداً من اللهجات المتباينة في شمال ووسط أميركا الجنوبية.

ومن أهم المجاميع اللغوية مجموعتان هما المجموعة الهندو ــ أوروبية والمجموعة السامية الحامية.

المجموعة الهندو ــ أوروبية:

تضم هذه المجموعة الفروع الآتية:

١ ــ **الفرع الألماني**: وينقسم إلى مجموعتين أساسيتين هما:

(أ) **الشرقية**: وتشمل السويدية والنرويجية والدانيماركية والإيسلندية.

(ب) **الغربية**: وتشمل الإنجليزية والألمانية.

٢ ــ **الفرع الروماني**: هذا المصطلح مشتق من كلمة روماني ويشمل كل اللغات التي كانت سائدة في الإمبراطورية الرومانية، وكانت تسمى باللغة اللاتينية، ويشمل هذا الفرع الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والإيطالية.

٣ ــ **الفرع البلطيقي السلافي**: ويشمل البلطيقية والسلوفانية. أما البلطيقية فتضم اللثوانية، أما السلوفانية فتضم الروسية والأوكرانية والبولندية والمكدونية والبلقانية.

٤ ــ **الفرع الهندو إيراني**: ويضم مجموعتين هما:

(أ) **المجموعة الإيرانية**: تشمل الفارسية والكردية والبالوشية والأفغانية.

(ب) **المجموعة الهندية**: تشمل الأردو والبنغالية والتيجانية[١].

أسرة اللغات السامية:

المقصود بها مجموعة من لغات متقاربة انتشرت في الجزيرة العربية وسوريا وفلسطين والعراق[٢].

ولم يكتشف العلاقة بين كل هذه اللغات مرة واحدة في القرن التاسع عشر، بل لقد عرف اللغويون العرب في العصور الوسطى أن هناك قرابة بين

---

(١) Robert Lard, Comparative, Ling. p. 180.

(٢) موسكاتي: الحضارات السامية. ص ٣٤.

العربية والعبرية والسريانية وشبهوا هذه القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة، يقول الخليل بن أحمد في معجمه العين، وكنعان بن سام بن نوح ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية ويقول الإمام السهيلي: وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ[1].

ويقول ابن حزم الأندلسي: «والذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير واحدة، تبدلت مساكن أهلها فيها، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني إذا رام لغة الأندلسي»، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كان يقول إنها لغة أخرى غير أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من يتأمله... وإذا تعرب الجيلقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مُهَمّد إذا أراد أن يقول محمد ومثل هذا كثير.[2]

فمن تدبر العربية والسريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل.

ولكن بالرغم من معرفة اللغويين العرب هذه العلاقة المتشابهة بين اللغات الثلاثة فإنهم لم يبحثوا هذه اللغات بحثاً مقارناً، وفي القرن الحادي عشر الميلادي بدأ الحاخام يهوداً حيوج «أبو زكريا يحيى» يطبق مناهج النحاة العرب على العبرية، وهكذا وضع بطريقة لا شعورية أساس علم اللغة المقارن للغات السامية.

---

(١) د. رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة. ص ١٦٤، وفصول في فقه اللغة العربية، ص ٣٠.

(٢) د. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص ١٢٤. ود. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية. ص ٣٥.

وظل الوضع هكذا إلى أن جاء القرن السابع عشر الميلادي حيث أضيفت إلى اللغات الثلاثة لغة رابعة هي اللغة الحبشية، وبالطبع فنحن لا نقصد كل لغات الحبشة وإنما نقصد بذلك اللغة السامية التي كان يتكلم بها في الحبشة، أما اللهجات الأخرى التي كانت سائدة بين السكان القدامى فلا تدخل هنا معنا، ولهذا وضع الأوروبيون إسمًا مميزاً للغة المسمارية التي سادت في الحبشة وهو اللغة الجعزية، ولقد أدى حل رموز النقوش السماوية في القرن التاسع عشر إلى إضافة لغة خامسة وهي اللغة الأكدية، «ونقصد بها اللغة البابلية القديمة والآشورية المتوسطة»[1].

وقد افترض الباحثون في القرن الثامن عشر خطأً أن لهذه اللغات صلة مشتركة بمجموعات الأجناس التي كانت تتكلم بها واعتبروا أن اللغات السامية لغات للساميين، ومن هذه الزاوية نجد أن أول من أطلق على هذه اللغات اسم مشترك لها وللأجناس التي تتكلم بها هو شلوتسر سنة ١٧٨١م. وكان يقصد بهذه الأجناس بالطبع العرب والعبريين والأراميين، وساد الاعتقاد أيضاً أنه طالما أن اللغات المتشابهة يمكن أن تعود إلى لغة أم تفرعت عنها فإن الأجناس التي تتكلم بها يمكن أن ترجع إلى جنس واحد تفرعت عنه هذه الشعوب. من هنا اقترح شلوتسر تسمية هذه اللغات باللغات السامية وتسمية الشعوب التي تتكلم بها الشعوب السامية، ورأى أنها منحدرة من سام بن نوح وبني وجهة نظره هذه على أساس جدول الأنساب الوارد في سفر التكوين ١ : ٥.

ويرى هذا الجدول أن أرام وأرفكشاد من أبناء سام، ويجعل أر فكشاد هو الجد الأعلى لإبراهيم ثم أنجب إبراهيم يسحق وهو جد الاسرائيليين وإسماعيل وهو جد العرب.

ولكن إذا أمعنا النظر في هذا الجدول فإنه سيتضح لنا بجلاء أنه لم يكن على علم بطبائع الشعوب أو بعلاقات المشابهة بين اللغات، بل إنه بني على أساس مراعاة العلاقات السياسية والحدود الجغرافية التي كانت سائدة وقت

---

(١) O'Leary, Compartive Gr. Of the Semitic Lang. p. 26.

تأليف هذا الجدول، من هذا مثلاً أن الجدول اعتبر أن عيلام ولود أخوان لآشور ويكونـان بالتـالي من أبناء سـام في حين أن العيـلاميين واللوديـين والآشوريين لم يكونوا من الأجناس المتقاربة، لهذا يكون السبب في ضمهما إلى أشور هو أنهما كانا خاضعين تحت الحكم الآشوري في الوقت الذي ألف فيه جدول الأنساب الوارد في السفر[1]، ومن ناحية أخرى لم يعد من الساميين الفنيقيين أو الكنعانيين في حين أن لغتهم قريبة جداً من اللغة العبرية ولم يقدم لنا صورة واضحة عن العلاقات بين شعوب جنوبي الجزيرة العربيـة وشعوب الحبشة[2].

ويرفض اللغويـون المحدثـون أن تكون لهـذه اللغات صلة مشتـركة بمجموعات الأجناس التي كانت تتكلم بها لأنه أصبح من البديهيات المعروفة لنا الآن أن اكتساب اللغة وأصل الجنس واتجاه الثقافة ثلاثة أشياء متميزة، فالجنس يعتمد على الملامح الجسمانية ومن هنا نتساءل: هل نستطيع أن نقول إن الشعوب التي كانت تتحدث هذه اللغات منحدرة من أب واحد وأم واحدة؟ ليس هذا السؤال بالسهل اليسير، فقد رأى كثير من العلماء أن فكرة السامية لا تصح إلا في الميدان اللغوي، ولا يمكن على نحو صحيح إطـلاقها عـلى شعوب، ورأى آخرون، أنه يمكن أن يقصد بالسامية التشابه في اللغات وفي الحضارة وأيدوا رأيهم بالإشارة إلى الشبه العائلي الملحوظ في النظم الاجتماعية والدينية للشعوب التي تتحدث باللغات السامية، ولكي نُبَتُّ في هذا الأمر علينا أن نحدد مدلول الشعب، فعلم الأجناس الحديث يعرف الشعب بأنه مجموعة من الأشخاص الذين قد يختلفون في الجنس والوطن الأصلي، ولكنهم ممتزجون في وحدة متجانسة بفضل وحدة السكن واللغة والتقاليد التاريخية والحضارية.

إننا إذا طبقنا هذا التعريف على الشعوب التي تتكلم اللغات السامية وجدنا أنه يصدق في وضوح على كل منها منفرداً ووجدنا أيضاً أنه لا اعتراض من الناحية الجغرافية على تجانس المجموعة فيما بينها وأنه يصدق على التقاليد

---

(١) Ibid, p. 27.

(٢) د. محمود حجازي: اللغات السامية. مذكرة غير مطبوعة.

التاريخية والحضارية، ذلك أننا سنرى فيما بعد أن الشعوب التي تتكلم اللغات السامية وفدت في العصور التاريخية من الجزيرة العربية، من هنا نستنتج أن مسألة الجنس لا تؤثر في تحديد الشعوب السامية فأكثر الشعوب تماسكاً وتجانساً قد تشتمل على عناصر جنسية شديدة التباين وأصبح من المؤكد الآن أن نظرية الجنس السامي تنتمي إلى مجال الدعاية السياسية التي عفت آثارها الآن أكثر مما تنتمي إلى العلم الجاد، وقد نبذها علماء الأجناس عن حق[1].

أما اللغات والثقافة فتكتسب بالتعليم والخبرة والتقليد وبالوسائل الأخرى إنها تتعلم في الطفولة أو في سن الرشد ولا تنتقل من الأبوين إلى الإبن عن طريق الوراثة والطفل يتعلم من والديه اللغات السائدة في العائلة أو في القبيلة أو في المجتمع الذي تعيش فيه أسرة هذا الطفل، أو قد يكتسبها الفرد فيما بعد أثناء الحياة لباعث ضروري وقد تضطر الجماعة أن تترك لغتها إذا ما تعرضت لمستعمر فرض لغته بالقوة عليها كنوع من أنواع السياسة المدروسة، وقد يؤدي الاتصال التجاري إلى انتشار لغة معينة ويؤدي التبشير الديني أيضاً إلى انتشار اللغة التي تحمل هذا الدين، ونجد أحياناً أن لجماعتين لغتين مستعملتين جنباً إلى جنب، وغالباً جداً ما تصل إحداهما إلى الذروة وتضمحل الأخرى اضمحلالاً كبيراً، وهكذا دخلت العربية بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي مصر وأصبحت هي اللغة السياسية والقانونية والوسيلة العامة للاتصال ببقية العالم الإسلامي، وبدأت بالتدريج لغة الأقباط تضمحل إلى أن توقفت عن الاستعمال دائمًا في القرن السادس عشر الميلادي، وبقيت فقط لغة للطقوس الدينية بين الأقباط فقط، ومن هنا يتضح أن الجنس شيء واللغة شيء آخر تماماً.

خصائص اللغات السامية:

□ الجانب الصوتي:

يتميز الجانب الصوتي بغنى ملحوظ في الصوامت، ففيها صوامت كثيرة

---

(١) موسكاتي: الحضارة السامية. ص ١٩٢.

مخرجها من الحنجرة والبلعوم واللهاة وفيها ما يسمى الصوامت المفخمة أو المطبقة مثل (ص ـ ط ـ ظ) أما الحركات ففقيرة للغاية، فلا يوجد فيها إلا ثلاث حركات، هي الفتحة والكسرة والضمة ولا يعبر كتابة عن الحركات القصيرة، وإنما يستنبطها القارىء من وضع الصوامت.

☐ الجانب الصرفي:

١ ـ تقوم الصيغ على نظام الجذور وهي أساس الأسماء والأفعال والضمائر.

جذور الأسماء والأفعال، وتنقسم إلى:

الأول: جذور أحادية، وهي أقدم الجذور في اللغات السامية، مثل فو بمعنى فم (الواو هنا رمز لمورفيم الإعراب وهي ضمة طويلة).

وشاة (وهي تتكون من صامت واحد بدليل أنها في الأوجاريتية SE).

الثاني: جذور ثنائية، وتتكون من صامتين، وهي من أقدم الجذور في اللغات السامية مثل أب، أخ، وشفة، ودم، ويد، وابن واسم.

ويرى بعض الباحثين أن الجذور الثنائية تمثل أصل الجذور الثلاثية، بعد إضافة صامت ثالث، نلاحظ هذا في الجذور المضعفة، فهي في الأصل جذور ثنائية ثم زيد عليها صامت متماثل نحو مَسَّ، ومن أمثلة ذلك أيضاً الجذور الثلاثية التي تشترك في صامتين وتختلف في الصامت الثالث، وتدل على معاني متقاربة أو متشابهة من ذلك فرم وفرق وفرس بمعنى فصل (في العبرية).

الثالث: جذور ثلاثية، تعبر عن المعنى الأساسي للكلمة، ثم يحدد معنى الكلمة الدقيق ووظيفتها بإضافة الحركات أومقاطع في بداية الكلمة أو في حشوها أو طرفها...

وهذه هي التي تسمى المورفيمات المقيدة، فالجدر (ك.ت.ب) يعبر عن معنى عام هو الكتابة ويمكن بعد إضافة المورفيمات المقيدة إليه أن يصاغ منه كَتَبَ وأَكْتَبَ وكَاتَبَ ومَكتَبٌ وكتاب وكتُبٌ.

□ جذور الضمائر:

أوضحنا في المنهج الوصفي أن الضمائر تشمل الضمائر الشخصية واسم الإشارة وإسم الموصول وأسماء الاستفهام.

وهذه الضمائر ترجع في الأصل إلى عناصر إشارية فأنا وأنت ترجع إلى العنصر الإشاري أن + والتاء أو الألف أصلها ياء أو واو فهي (Ani) في العبرية و (Anooxii).

٢ ــ يمتاز الفعل في هذه اللغات بسلسلة من الأوزان المزيد التي تعبر عن معان مشتقة من المعنى الأساسي، وتصاغ بتغيير الجذر تغييرات ثابتة، وهكذا يعبر عن شدة الفعل أو تكراره أو عن السببية، وعن البناء للمجهول والمطاوعة والمشاركة في الفعل فمثلاً: إذا كانت الصيغة الأساسية للفعل هي كتب، فإننا نستطيع أن نكون منها صيغة أخرى تدل على المشاركة بإضافة ألف بعد الفاء فنقول: كاتب، أي أن يكتب شخصان كل منهما إلى الآخر، وإذا أضفنا إلى الصدر همزة مفتوحة وأسقطنا حركة الفاء قلنا: أكتب ومعناه أن يملي شخص على آخر شيئاً يكتبه.

٣ ــ الاسم معرب، يرفع بالضمة وينصب بالفتحة ويجر بالكسرة، إن كان مفرداً أما إذا كان مثنى فيرفع بالألف وينصب ويجر بالياء والجمع يرفع بالواو، وينصب ويجر بالياء، أما جمع المؤنث السالم فيرفع بالضمة وينصب ويجر بالكسرة، ثم حدث أن أهمل الإعراب في كل هذه اللغات ما عدا اللغتين الأكـدية والعربية الفصحى.

٤ ــ تمتاز العربية والحبشية بوجود نمط خاص من الجمع هو ما يسمى جمع التكسير[١] إلى جانب الجمع السالم مثل كتاب وكتب.

---

(١) يوجد جمل التكسير في العبرية والسريانية نحو (Sefaarim) سفاريم في العبرية بمعنى كتب ومفردها سفر، ونحو (Qerithaa) «قريثا» في السريانية ومفردها «قريتا» بمعنى قرية ولكن صيغه أقل بكثير مما في الحبشية والعربية.

وللباحثين آراء مختلفة حول حقيقة جمع التكسير، فيرى اللغويون العرب القدماء أن جموع التكسير مشتقة في الأصل من أسماء مفردة بعد تغيير حركاتها أو حذف حروف منها. أو إضافة حروف إليها نحو كتاب وكتب ولص ولصوص، ونبي وأنبياء، وقد أيد بعض =

□ الجانب النحوي:

١ ــ هناك نوعان للحملة في هذه اللغات هي الجملة الاسمية والجملة الفعلية والجملة الاسمية تبدأ بإسم والفعلية تبدأ بفعل.

٢ ــ تميل هذه اللغات إلى الجمل البسيطة ولا تفضل الجمل الفرعية وإنما تضع الجمل بعضها بجانب بعض ويستنتج القارىء من السياق العلاقة التي تربط بينها، فمثلاً نعم أخلاق المؤمن أحمد، فهنا نحن أمام جملتين الأولى نعم أخلاق المؤمن؛ والثانية أحمد وقد فهمنا هذا من السياق، والدليل على ذلك إعراب هذه الجملة فـ«نعم» فعل المدح والفاعل مضاف إلى ما فيـه (أل) و (أحمد) مخصوص بالمدح خبر لمبتدأ محذوف، ألم يكن هذا جملة ثانية، وهذه الجملة موجودة ولم توضح بأداة خاصة، إنما فهم السامع الجملتين بالرغم من وضعهما بجانب بعض(١).

اللغات السامية:

تنقسم اللغات السامية إلى قسمين: شمالي وجنوبي، وينقسم القسم الشمالي إلى شمالي شرقي وشمالي غربي. أما القسم الجنوبي فيشمل العربية الشمالية (العربية الفصحى) والعربية الجنوبية القديمة والجعزية.

= المستشرقين هذا الرأي منهم إيفالد (Evald) وديلمان (Dilmann) أما بارت (Barth) فقد عارض هذا الرأي ويرى أن جموع التكسير كانت في الأصل أسماء مفردة لها معنى كلي، ثم تطورت بعد ذلك من ناحية الدلالة فقط إلى معنى الجمع وتَوَازت مع أبنية أخرى لها معنى المفرد أي أنه ليست هناك علاقة اشتقاقية بين كتاب وكتب ولكن كتب كانت في الأصل كلمة تدل على معنى كلي، ثم تطورت دلالياً لتدل على الجمع في مقابل كلمة كتاب وذلك على أساس أن للصيغة الواحدة من صيغ جموع التكسير صيغ مفردة كثيرة لا علاقة بينها وأن المفرد الواحد قد يجمع جموع تكسير مختلفة هذا فضلاً عن عدم وجود أساس ثابت نستطيع به اشتقاق جمع التكسير من المفرد.

د. يعقوب بكر: دراسات في فقه العربية. ص ٣٠.

(١) تاريخ الحضارات السامية، ص ١٤٠١؛ فقه اللغة العربية، ١٠ ــ ١٤.

القسم الشمالي الشرقي:

يضم اللغة الأكادية. . . وسميت هكذا نسبة إلى مدينة أكّد التي بناها سرجون في الجزء الشمالي من أرض بابل حوالي سنة ١٣٥٠ق.م[1]. وتشمل اللغة الأكادية اللغتين البابلية القديمة والمتوسطة والحديثة والآشورية القديمة والمتوسطة والحديثة[2].

وقد دخلت اللغة الأكادية في صراع مع اللغة التي كانت سائدة في ذلك الوقت في جنوب أرض الرافدين وهي اللغة السومرية، ولم تستطع اللغة الأكادية في أول الأمر أن تقضي على اللغة السومرية، ولم تستطع السومرية أن تقضي على الأكادية، فساد ازدواج لغوي استمر أكثر من ستة قرون (٢٥٠٠ ــ ١٠٠٠ق.م.) وكان من نتائج هذا الازدواج:

١ ــ اختفت أصوات البلعوم وهي العين والهاء والحاء من الأكادية واستعيض عنها بإطالة الحركة السابقة، فكلمة بَعْل مثلاً أصبحت (Be: L)، وقمح أصبحت (Ge: M)، ونهر أصبحت (Na: R).

٢ ــ تحرك الفعل من مكانه الطبيعي وهو أول الجملة في الجملة الفعلية أو وسطها في الجملة الاسمية إلى آخر الجملة. وشاع ذلك في النصوص النثرية، أما النصوص الشعرية فحافظت على موقع الفعل الأصلي.

□ **التطور الذي طرأ على اللغة الأكادية:**

١ ــ ضاع صوت الغين كما هو الحال في سائر اللغات السامية الشمالية.

٢ ــ تحول الصوت اللهوي المهموس (ق) إلى صوت حنكي مجهور هو (G) في البابلية وبقاؤه مهموساً كالأصل في الآشورية.

٣ ــ تحول صوت السين السامي الأصل (S) إلى شين واختلط مع صوت الشين الأصلي.

(١) د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية. ص ٢٦.

(٢) د. محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية. ص ١٥٥.

٤ ـ تحولت الأصوات الأسنانية الطولية إلى أخدودية، فالذال أصبحت زاي والثاء أصبحت سين.

٥ ـ احتفظت البابلية القديمة بالإعراب، أما البابلية الحديثة الأشورية فسقط الإعراب منها[١]. وكتبت هذه اللغة بالخط المسماري.

القسم الشمالي الغربي:

يضم مجموعتين هما الكنعانية والآرامية.

المجموعة الكنعانية:

يمكن تقسيم اللغات المتفرعة عن المجموعة الكنعانية من الناحية الجغرافية إلى: الكنعانية الشمالية وتمثلها الأُجاريتية، والكنعانية المتوسطة وتمثلها الفينيقية، والكنعانية الجنوبية وتمثلها العبرية والمؤابية.

١ ـ الأوجاريتية:

اكتشفت في منطقة رأس شمرا في سنة ١٩٢٩... وكانت تُتكلم في أوجاريت وهي مدينة تقع على بعد ١٢ كيلومتراً من شمال اللاذيقية على الساحل السوري. واللغة الأوجاريتية من أقدم لغات المجموعة الكنعانية، فهي تحتفظ بأصوات فقدت من هذه المجموعة كصوت الغين وصوت الخاء. وتحتفظ بظواهر سامية قديمة كظاهرة المنع من الصرف[٢].

وكتبت هذه اللغة بخط يشبه الخط المسماري، ولكن عدد رموز هذا الخط فيها أقل من عدد الرموز المستخدمة في الخط المسماري الأكادي، ويرجع هذا إلى أن الأكادين كتبوا لغتهم على النظام المقطعي مثل الكتابة السومرية، وهذا يعني أن الباء المفتوحة مثلاً لها رمز يختلف عن المضمومة، والمضمومة لها رمز يختلف عن المكسورة، أما الكتابة الأوجاريتية فقد بسطت الرموز المكتوبة إلى عدد قليل لم يتجاوز الثلاثين، فلقد عبرت هذه الكتابة عن كل صوت من

---

(١) راجع فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، ص ١٧.

(٢) Diakonof: Semito Hamito Lang. p. 51.

أصوات اللغة بحرف واحد... وقد أثبت الأوجاريتيون الصوامت فقط. ولم يدونوا الحركات، وعنهم نقلت الكتابات السامية ذلك...

إن هذا يعني أن الأوجاريتيين هم أول من اخترعوا الأبجدية، ويرجع إليهم الفضل في الترتيب الأبجدي الذي يسير على نظام أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت[1].

٢ ـ الفينيقية:

نعرف الأصوات الصامتة في الفينيقية عن طريق نقوش عديدة يرجع بعضها إلى القرن التاسع أو العاشر ق.م.، وتتطابق هذه الأصوات مع الأصوات السائدة في العبرية. أما أصوات الحركات فلا نعرفها إلا عن طريق الكتابة اليونانية للاعلام.

تمتاز الفينيقية بتحديد الزمن تحديداً دقيقاً باستعمال الفعل الناقص كان قبل الفعل الماضي، للدلالة على ما قبل الماضي من أحداث[2].

والأبجدية الفينيقية امتداد مباشر للأبجدية الأوجاريتية، فقد احتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي، غير أنهم عدلوا أشكال الحروف لتصبح سهلة في الكتابة، واحتفظ الفينيقيون في نفس الوقت بترتيب الحروف كما رتبها الأوجاريتيون. وعندما احتك اليونانيون بالفينيقيين تعلموا منهم الكتابة الأبجدية، ولكن اليونان وجدوا أن رموز الفينيقيين لأصوات الحلق غير مفيدة لهم فجعلوها رموزاً لحركات في سياق الكلمة، ويعد هذا التعديل مرحلة هامة في تاريخ الخط بصفة عامة. وقد حدث في الكتابة اليونانية تعديل آخر، وهو أنهم جعلوا اتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين، وهذان التعديلان: تدوين الحركات وتعديل اتجاه الكتابة ظلا سمتين أساسيتين في كل الخطوط المأخوذة عن الخط اليوناني[4].

---

(١) د. محمود حجازي: أسس علم اللغة العربية. ص ١٦٠ ـ ١٦٣.

(٢) ٧٥ محمود حجازي: فقه اللغات السامية. ص ٢٠.

(٣) أسس علم اللغة العربية، ص ١٦٧.

(٤) علم اللغة العربي، ص ١٦٦.

وقد نشر الفينيقيون لغتهم، عن طريق مستعمراتهم. في مناطق مختلفة من جزر البحر المتوسط بقبرص وجنوب إسبانيا، غير أن أهم مكان استقرت فيه هو شمال أفريقيا في قرطاجنة، وتسمى هناك اللغة البونية. وتنقسم البونية إلى مرحلتين هما: البونية والبونية الحديثة. تبدأ اللغة البونية بانتشار الفينيقيين في منطقة الساحل التونسي حوالي القرن التاسع (ق.م.) وتنتهي بسقوط الكيان السياسي للدولة البونية سنة ١٤٦، فقد قضى الرومان على مدينة قرطاجنة. بعد ذلك تبدأ الفترة الثانية في حياة اللغة البونية، وفيها تأثرت باللغة اللاتينية وأدى الازدواج اللغوي الذي نشأ نتيجة لذلك إلى ضعف النطق بأصوات الحلق، يدل على ذلك التعبير عن صوت ال العين بالهمزة في النقوش التي تنسب إلى هذا العصر والتعبير عن الحاء بالهاء... واستخدمت رموز حروف الحلق للتعبير عن الحركات[1].

٣ ـ اللهجات الكنعانية الجنوبية:

تمثل هذه اللهجات بعض التعليقات، في الرسائل المكتوبة باللغة البابلية وبالخط المسماري، والتي وجهها أمراء فلسطين الصغار، في القرن الخامس عشر (ق.م.)، إلى ملك مصر أمينوفيس الرابع وهي التي عثر عليها في تل العمارنة بمصر. ونرى في هذه التعليقات الظاهرة المهمة في حركات اللغة الكنعانية، وهي إمالة حركة الفتحة إلى الضم (O) ثم إلى (U).

وأقدم المصادر الأصلية للغة الكنعانية الجنوبية هو النصب التذكاري لتخليد انتصار الملك ميشع ملك ؤاب، ويظهر فيه كل الخصائص النحوية والأسلوبية[2] للغة التي كتب بها وهي اللغة المؤابية. ويرجع هذا النقش إلى منتصف القرن التاسع ق.م. وأهم اللهجات الكنعانية الجنوبية العبرية.

٤ ـ العبريــة:

تبدأ اللغة العبرية تاريخها في القرن الثاني عشر ق.م.، عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض فلسطين، وقد تعلم أبناء هذه القبيلة اللغة التي كانت

(١) فقه اللغات السامية، ص ١٨.

(٢) أسس علم اللغة العربية، ص ١٦٨ ـ ١٧٠.

سائدة في المنطقة، وهي إحدى اللهجات الكنعانية القديمة، ويكاد يكون العهد القديم (ويشمل التوراة وهي أسفار موسى الخمسة: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، وكتب الأنبياء والمكتوبات كالمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد) هو المصدر الوحيد للتعرف على تاريخ هذه اللغة، حقاً هناك مصادر أخرى مثل لفائف البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً وتضم نصوصاً دينية وأدبية وترجع إلى الفترة ما بين القرن الثالث ق.م. والقرن الثاني الميلادي، ولكنها لا ترقى في أهميتها إلى أهمية العهد القديم[١].

وأقدم ما وصلنا من اللغة العبرية قصة دبورا (الإصحاح الخامس من سفر القضاة) وترجع إلى الألف الثانية ق.م. وعصر ازدهار الأدب الذي وصل إلينا عن الأنبياء وأخبار الأيام هو عصر الملوك المتأخر، ولدينا من هذا العصر نقش وهو عبارة عن لوحة تذكارية وجدت في مدخل نفق قنال السلوان[٢] يتحدث عن انتهاء حفر تلك القنال، ويرجع تاريخها إلى القرن السابع ق.م.

وكان السبي البابلي، وتخريب بيت المقدس، على يد بختنصر سنة ٥٨٦ق.م. تجربة قاسية للغة العبرية[٣]. حقاً إن المنفيين في بابل، لم يتخلوا عن لغتهم، بل إنهم أصبحوا في ضائقتهم الدينية، أشد تمسكاً بها أكثر من ذي قبل، ولذلك كتبت في فترة السبي بعض روائع الأدب العبري مثل رؤيا أشعيا (الإصحاح الرابع وما بعده من سفر أشعيا) وحينما عاد المنفيون إلى فلسطين وجدوا اللغة العبرية مستخدمة[٤].

وقد أدى انتشار اللغة الآرامية بين اليهود إلى تقلص ظل العبرية، فاضطر رجال الدين إلى ترجمة ما يحتاجون إليه من أدعية العهد القديم إلى الآرامية، وظلت هذه الترجمة مدة طويلة شفوية، تلقى عقب قراءة النص العبري، ثم دونت وسميت الترجوم[٤].

---

(١) فقه اللغات السامية، ص ١٨ ــ ١٩.
(٢) فصول في فقه العربية، ص ٢٨.
(٣) فقه اللغات السامية، ص ١٩.
(٤) فصول في فقه العربية، ص ٢٩.

ومع ابتداء العصر الهليني، انتهت حياة اللغة العبرية، إذ لم يستطع ذلك العدد الضخم من اليهود الذين رحلوا حينذاك إلى مصر وما بعدها ناحية الغرب، أن يحتفظ بلغته الأصلية، في وسط يتكلم الإغريقية. كذلك كان الحال مع بني جنسهم، الذين ظلوا في موطنهم الأصلي، إذ وجدوا أنفسهم حينذاك، وجهاً لوجه أمام تلك اللغة الشعبية التي اكتسحت كل صدر آسيا، وهي الآرامية، فكان من السهولة أن يتعاملوا بهذه اللغة، بدلاً من لغتهم الأصلية، لأن كل واحدة من اللغتين، قريبة من الأخرى بدرجة كبيرة جداً[1].

وقد احتفظت اللغة العبرية، لعدة قرون بعد ذلك، بمكانتها في مجالي الدين والمدرسة، وقد كتب باللغة العبرية الكثير من النصوص، حتى بعد موتها على ألسنة الناس بزمن طويل، وتتوقف خصائص هذه اللغة الأدبية، على مدى خبرة كل مؤلف، وإلمامه بالأدب العبري القديم، فكتاب ابن سيره (Sirah) المدون حوالي سنة ٢٠٠ق.م. مكتوب بلغة عبرية خالصة، على حين أن الكتب التي تكاد تكون معاصرة له، مثل كتاب أستير وكتاب الجامعة وبعض مزامير داود يظهر فيها تأثر العبرية الشديد بالآرامية وهذا التأثر بالآرامية كان ينمو بالطبع، دائمًا وأبداً مع الزمن، فالجدل القانوني والشعائري، الذي قام بين مدارس الفقه، في القرن الأول الميلادي، مكتوب بلغة عبرية، غير أن المفردات المستعملة فيه مستعارة في جمهرتها من الآرامية[2]، ومن أهم ما كتبه اليهود في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني المشنا وهي النص الثاني من النصوص الدينية بعد العهد القديم، وقد ألف نص المشنا باللغة العبرية في فترة كانت معرفتها قاصرة على رجال الدين وحدهم... وقد أدى هذا إلى شرح هذا النص شفوياً بلغة مفهومة لدى اليهود وهي الآرامية كما أوضحنا من قبل، ولكن لم تكن هناك لغة آرامية موحدة، بل هناك لهجات آرامية كثيرة وهكذا تعددت الشروح الشفوية الآرامية بتعدد هذه اللهجات، ثم كتب الأحبار والربانيون هذه الشروح الآرامية على المشنا، وهكذا ظهر التلمود، فالتلمود

(١) فقه اللغات السامية، ص ١٩.
(٢) المرجع نفسه، ص ١٩.

البابلي يتألف من المشنا وهي نص عبري ومن الجمارا وهي الشرح الآرامي للنص العبري. والتلمود الفلسطيني يتكون من المشنا نفسها، ومن الشرح المدون باللهجة الآرامية الفلسطينية ويسمى الجمارا أيضاً(١).

وقد حدث تطور في أصوات اللغة العبرية جعلها تختلف عن اللغة السامية الأم، فالأصوات الأسنانية الطولية مثل الذال والثاء اختفت، وتحولت الذال إلى زاي فذراع في العبرية تصبح (Zroa) وأخذ أصبحت ('a: haz) وتحولت الثاء إلى شين نحو ثور في العبرية أصبحت (sho: r). بينما احتفظت العبرية بصوت (ś) السامي القديم وإن كان نطقه قد ضاع نهائياً واختلط مع صوت السين الأصلي ولم يميز بينهما إلا في الكتابة فقط.

عبرت الأبجدية العبرية شأنها شأن الأبجدية الفينيقية ــ التي أخذها الساميون عنهم بعد ذلك ــ عن الصوامت فقط ولم تعبر عن الحركات، وبالتالي فنحن لا نعرف أية حركة من الحركات القصيرة، إلا عن طريق الروايات اليهودية التي وضعت في القرن السابع الميلادي، حسب التلاوة الترتيلية في الصلوات، وهي التي تسمى الطريقة البابلية في الإعجام(٢).

وتحت ظل الحكم العربي في الأندلس اهتم اليهود بدراسة لغتهم على غرار المناهج العربية، فدرسوا الأصوات وأوضحوا مخارجها ودرسوا الظواهر الفونولوجية، فأوضحوا الادغام والنبر والتنغيم ودرسوا الصرف ووضعوا الميزان الصرفي وقسموا الصيغ إلى صيغ مجردة ومزيدة ودرسوا النحو وبنوه على نظام الأبواب كما فعل سيبويه في كتابه ومن أهم كتب النحو التي ظهرت في هذا العصر كتاب «اللمع» لمروان بن جناح وكتاب «حروف اللين» ليهودا حيوج ووضعوا معاجم للغتهم ومن أهم هذه المعاجم معجم أرجون الذي وضعه سعدياً الفيومي وهو على غرار معجم تهذيب اللغة للأزهري(٣).

---

(١) أسس علم اللغة العربية، ص ١٧٣.

(٢) المدخل إلى علم الأصوات، ص ١١٥ و١١٩.

راجع أثر الثقافة الإسلامية في الفكر اللغوي عند اليهود للدكتور صلاح صالح.

وفي العصر الحديث عندما ظهرت فكرة القوميات ونادى اليهود بأن لهم قومية مستقلة أسموها الصهيونية بدأوا في إحياء لغتهم إحياء صناعياً، بمعنى أنهم سمحوا لليهود مهما كانت جنسياتهم أن يدخلوا التعبيرات التي اعتادوا عليها في لغاتهم الأصلية إلى اللغة العبرية ويرجع الفضل في ذلك إلى اليعزر بن يهودا.

المجموعة الآرامية:

تحدثنا الوثائق البابلية والآشورية منذ القرن الرابع عشر ق.م. عن قبائل أرم (Arimi) أو أخلامي (Ahlamé) التي كانت تعيش حياة بدوية، وتتجول في الصحراء غربي بلاد الرافدين، وتهدد حدود أرض الحضارة بأعمال اللصوصية، وقد تقدم هؤلاء من الصحراء إلى الشمال فاكتسحوا بالقوة البلاد التي يقطنها أقوام من غير الساميين، ذوو حضارة عالية، واندمجوا فيهم وأجبروهم على استخدام لغتهم. وقد عاشت الآرامية فترة طويلة تقدر بثلاثة آلاف عام لهذا نجدها انقسمت إلى عدة لهجات، أهمها الآرامية القديمة وآرامية الدولة، والآرامية الغربية والآرامية الشرقية.

□ الآرامية القديمة:

يطلق على مجموعة النقوش القديمة المدونة بالآرامية مصطلح اللغة الآرامية القديمة، وأهم هذه النقوش، نقوش أمراء سمأل، التي وجدت في المكان المسمى اليوم تل زنجيرلي والتي ورد فيها أمير اسمه بنمو (Panammu) والنقش الذي عثر عليه في نيراب (Nerab) بالقرب من دمشق.

ومن دراسة هذين النقشين نستطيع إبراز خصائص الآرامية القديمة بما يلي:

١ ــ استعار الآراميون من الكنعانيين أبجديتهم وعاداتهم الخطية.

٢ ــ فقدت الأصوات الأسنانية الأخدودية ــ كاللهجات الكنعانية ولا سيما العبرية ــ فتحولت الذال إلى زاي كما في العبرية إلا أنها تحولت أخيراً إلى دال.

(١) فقه اللغات السامية، ص ٢٢.

والثاء تحولت أولاً إلى شين، ثم إلى تاء. والظاء تحولت إلى صاد، ثم إلى طاء.

٣ ـ تأثرت الأبنية الصرفية فيها بالأبنية الصرفية في الأكادية، وهكذا نجد فيها صيغتين لاسم الموصول، الأولى هي الصيغة الأساسية وهي (di) أو (zi) والثانية هي (sha)(١).

٤ ـ ضاع صوت الضاد السامي القديم وحل محله صوت القاف في كلمة أرقا ومعناها الأرض وفي الآرامية المتأخرة حل محلها صوت العين فأصبحت أرْعَا(٢).

□ آرامية الدولة:

كان الآراميون يتقدمون شيئاً فشيئاً في أراضي الدولة الآشورية، حتى وصلوا أخيراً إلى الحكم، ولاحظ الباحثون في كثير من العقود المدونة على نقوش من أواخر عهد الدولة الآشورية استخدام الأكادية والآرامية جنباً إلى جنب.

وعندما سقطت الدولة الآشورية سنة ٦٢٥ق.م. ودخل العراق في إطار الامبراطورية الفارسية دعم الحكام الفرس مكانة الآرامية، وهكذا أصبحت الآرامية هي اللغة العامة للتعامل، واعترف بها الحكام الفارسيون لغة رسمية في جميع أنحاء دولتهم، وبهذا دخلت الآرامية إيران، ودخلت مع النفوذ الفارسي إلى كل أنحاء الشرق القديم، فأصبحت هي لغة التعامل التجاري والسياسي، إلى درجة أن ولاة الفرس كانوا يضربون عملتهم النقدية بالآرامية. وأدى انتشار الآرامية في إيران والمناطق المجاورة لها إلى أن كان رجال الدين البوذي يستخدمونها في مواعظهم الدينية في منطقة الحدود الإيرانية الهندية، وقد عثر بالقرب من (أرابسون ــ Arabsun) في منطقة (كبادوتسين ــ Kappadozien) على نقش باللغة الآرامية والخط الآرامي يتحدث عن عبادة سامية إيرانية مختلطة وهذا يشير إلى أن الآرامية أصبحت لغة الدين في الدولة الفارسية.

---

(١) فقه اللغات السامية، ص ٢٢.

(٢) أسس علم اللغة العربية، ص ١٧٨.

وقد احتلت الآرامية في العصر الفارسي أيضاً، مركزاً مماثلاً في مصر، حتى أنها ظلت مستعملة وقتاً طويلاً في الوثائق المدونة على أوراق البردي.

وفي المنطقة السامية، لم تتغلب الآرامية على الكنعانية وحدها، ولكنها دخلت كذلك منطقة اللغة العربية، ويظهر لنا ذلك من بعض النقوش، التي وجدت في واحدة تيماء شمالي الحجاز.

ولكن مكانة اللغة الآرامية أخذت تقل شيئاً فشيئاً، وعندما انتهت الدولة الأخمينية وأعلنت الدولة الساسانية في مطلع القرن الرابع ق.م. عدل الساسيون عن استخدام الآرامية في الإدارة، وبذلك انتهت آرامية الدولة[1].

□ الآرامية الغربية:

تضم هذه الآرامية اللهجات الآتية:

١ ـ **آرامية العهد القديم**: وهي الآرامية التي كتب بها سفراً عزراً ودانيال. وتظهر الآرامية التي كتب بها سفر عزرا في شكل أقدم من تلك التي كتب بها سفر دانيال. أما سفر دانيال فيبدأ بلغة عبرية أصيلة ثم ينتقل إلى ترجمة آرامية، ويعود وينتهي بلغة عبرية أصيلة.

٢ ـ **الآرامية الفلسطينية**: وهي الآرامية التي سادت منطقة فلسطين في زمن المسيح عيسى، عليه السلام، وبها كتب الإنجيل القديم الذي فقد تماماً، أما الترجمة التي وضعها مرقص له باللغة اليونانية فلا يمكن أن تعطينا بعد إعادة ترجمتها إلى الآرامية صورة واضحة عن الآرامية الأساسية التي كتب بها هذا الإنجيل في الأصل، ذلك لأنها كانت متمسكة بحرفية النص اليوناني. وترجم إلى هذه اللهجة كذلك كتاب العهد القديم من الترجمة السبعينية كما ترجم إليها أيضاً جزء كبير من آداب الكنيسة الإغريقية.

وقد ظهرت عدة بقايا من هذه اللهجة في سيناء ودمشق ومصر.

---

(١) فقه اللغات السامية، ص ٢٣؛ وأسس علم اللغة العربية، ص ١٧٩.

٣ ــ **الترجوم**: استخدم اليهود في فلسطين هذه اللهجة، فعندما اندثرت اللغة العبرية، ولم يعد الشعب يفهمها، جرت العادة عند قراءة الكتاب المقدس، بصوت عال في الكنيسة اليهودية، أن تتبع كل آية منها في الحال بترجمة لها، وهذه الترجمة، كما أوضحنا من قبل، كانت شفهية، ثم كتبت بعد ذلك وأطلق عليها الترجوم. هناك أربع ترجمات أقدمها ترجوم التوراة، ثم ترجوم الأنبياء، ثم ترجوم أورشليم(١).

٤ ــ **السامرية**: واللغة السامرية قريبة من لغة تلمود أورشليم وبها ترجمت أسفار موسى الخمسة(٢).

٥ ــ **النبطية**: والنبطية لهجة آرامية، كتب بها النبط نقوشهم، وترجع أقدم نقوشهم إلى القرن الأول الميلادي. والنبط شعب عربي، سكنوا في بادية الشام وجنوبي سورية في القرن السادس ق.م.

وقد اتخذ الأنباط اللغة الآرامية للتعامل مع غير العرب، أما فيما بينهم فكانوا يتكلمون العربية. وقد اتخذوا الخط الآرامي لكتابة لغتهم العربية التي اختلطت بألفاظ وبعناصر آرامية كثيرة نتيجة للازدواج اللغوي عندهم، وهكذا نجد عناصر عربية في اللهجة الآرامية التي كانوا يتعاملون بها مثل آل للدلالة على الانتماء العربي القبلي، وإحدى بمعنى واحدة وغير بمعناها العربي الحالي، والأفعال: هلك وصنع ولعن بمعانيها العربية. واستخدموا أداة التعريف أل لتعريف الأسماء الآرامية ذلك لأن أداة التعريف الآرامية وهي الفتحة الطويلة كانت قد فقدت قيمتها على التعريف في هذا الوقت. وقد كتب الأنباط لغتهم العربية بالخط الآرامي ويسمى الخط النبطي وهو قريب جداً من الخط الكوفي(٢).

---

(١) فقه اللغات السامية، ص ٢٣ ــ ٢٤.

(٢) أسس علم اللغة العربية، ص ١٨٦ ــ ١٨٧؛ السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام. الاسكندرية، ص ١٥٨.

□ الآرامية الشرقية:

انتشرت الآرامية الشرقية في جبال أرمينيا عبري وادي نهري دجلة والفرات، إلى الجنوب حتى مصبهما في الخليج العربي. وتختلف لهجات الآرامية الشرقية عن الغربية في أن حرف المضارعة الذي يدل على الغائب هو النون في حين أنه في اللهجات الغربية وفي سائر اللغات السامية هو الياء.

وأهم لهجاتها ما يلي:

١ ــ **اللهجة**: التي كتب بها التلمود البابلي.

٢ ــ **السريانية**: وهي لهجة إقليم أديسا الواقع في شمال بلاد الرافدين، وقد أصبح هذا الإقليم مركزاً حضارياً في القرن الأول الميلادي، وكانت السريانية قبل عصر المسيحية ذات قيمة أدبية كبيرة نملك وثيقة مكتوبة بهذه اللغة قبل المسيحية تتمثل في خطاب مارا بر سرابيون (Mara Bar Sarapion) وبعد انتشار المسيحية بدىء في القرن الثاني الميلادي بترجمة الكتاب المقدس إليها، ثم كتب بها بعد ذلك أدب رفيع استمر حتى القرن الخامس الميلادي.

وقد أدى النزاع حول طبيعة المسيح اللاهوتية والناسوتية في القرن الخامس الميلادي إلى انقسام الكنيسة السريانية إلى معسكرين متعاديين، فقد اعترف السريان الغربيون التابعون للدولة الرومانية بتعاليم يعقوب البردعي القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح، وسموا أنفسهم لذلك باليعاقبة، أما إخوانهم في دولة الفرس فاتبعوا تعاليم نسطوريوس، وبذلك افترق فرعا السريان أحدهما عن الآخر وانقسمت لغتهم إلى لهجتين.

وعندما فتح العرب المسلمون بلاد العراق والشام، قامت كل طائفة بتدوين لغتها لحاجتهم إليها في تلاوة نصوص الإنجيل في العبادة. ولم تمت السريانية بعد الفتح العربي، بل عاشت ستة قرون أخرى، لغة للكنيسة

والأدب[1]. ولقد أدى احتكاك اللغة العربية بالسريانية إلى دخول كلمات سريانية كثيرة في اللغة العربية[2].

□ المندعيـــة:

وهي من اللهجات الآرامية الشرقية، وتتكلم بها جماعة دينية عرفت باسم الصابئة ولها كتاب مقدس باسم جنزا أي الكنز[3].

القسم الجنوبي:

يشمل هذا القسم العربية الشمالية والعربية الجنوبية القديمة والجعزية:

□ العربية الشمالية:

تحتفظ هذه اللغة بالأصوات الأصلية التي يحتمل أنها كانت تسود في اللغة السامية الأم فهي غنية بأصوات الحلق وبالأصوات الأخدودية وبالأصوات الأسنانية وتحتفظ بكل الحركات القديمة وبطريقة بناء الصيغ في السامية الأم.

ولم تصلنا نقوش تمثل طفولة هذه اللغة لنستطيع تتبع تطوراتها كما رأينا في اللغة الأكادية والكنعانية والآرامية، . . . وكل ما وصلنا لا يعدو أن يكون مخربشات دون فيها الرعاة المتجولون أسماءهم للأجيال القادمة، ولغة هذه المخربشات تختلف عن اللغة العربية الأدبية التي عرفناها في الشعر الجاهلي أو في نصوص القرآن الكريم، وقد دونت هذه المخربشات بخط يشبه الخط المسند الذي كان تكتب به العربية الجنوبية. وقد وجدت هذه المخربشات في المسافة ما بين دمشق والعلا في شمالي الحجاز وهي ثلاثة أقسام: الصفوية واللحيانية والثمودية[4].

---

(١) فقه اللغات السامية، ص ٢٦ ـــ ٢٧.
(٢) أسس علم اللغة العربية، ص ١٨٣.
(٣) أسس علم اللغة العربية، ص ١٨٨.
(٤) فقه اللغات السامية، ص ٢٨.

□ **النقوش الثمودية:**

تنسب النقوش الثمودية إلى قبيلة ثمود التي ورد اسمها في آيات كثيرة في القرآن الكريم وجاءت قصة أهلها فيه. ووجدت هذه النقوش في مدائن صالح ومدينة العلا وحائل وتيماء وتبوك. وعثر على نقوش ثمودية أخرى في شبه جزيرة سيناء. وأقدم النقوش الثمودية التي تم العثور عليها يرجع إلى القرن الخامس ق.م. وأحدثها يرجع إلى القرن الرابع الميلادي[١].

□ **النقوش الصفوية:**

تنسب هذه النقوش إلى المكان الذي وجدت فيه وهو جبل الصفا الواقع جنوب شرقي دمشق، ولا نستطيع تحديد بداية تاريخية لهذه النقوش، وكل ما نعرفه أن بعضها يشير إلى أحداث وقعت في القرن الثاني الميلادي، فقد جاء في بعضها اسم الملك أذينة الذي كان يحكم تدمر في منتصف القرن الثالث م. وجاء في بعض آخر منها أسماء لشخصيات رومانية مثل: ألكسندر وسيرقص وسيقيرص وهؤلاء يرجعون إلى القرن الثالث م.، وهناك نقش به ذكر لامرىء القيس ملك العرب وهذا يرجع إلى أوائل القرن الرابع الميلادي. وهذا يعني أن أقدم ما عثرنا عليه من نقوش يرجع إلى منتصف القرن الثاني.

□ **النقوش اللحيانية:**

تنسب النقوش اللحيانية إلى دولة لحيان، التي كانت تحكم في شمال غرب الجزيرة العربية. وقد وجدت مجموعات من هذه النقوش في منطقة العلا. ويرجع بعض هذه النقوش إلى القرن الثاني م.

□ **خط هذه النقوش:**

كتبت هذه النقوش بخط يقوم على أساس الخط المسند الشائع في جنوب الجزيرة العربية. وتمتاز بأنها دونت الصوامت ولكنها لم تثبت الحركات الطويلة أو القصيرة.

---

(١) أسس علم اللغة العربية، ص ٢٥٢.

ولاحظ ليتمان أن الخطوط الصفوية مركبة من ثمانية وعشرين حرفاً وخلص من هذا إلى أن كاتبيها كانوا من العرب [جنوب الجزيرة العربية].

□ لغة هذه النقوش:

امتلأت هذه النقوش بكلمات آرامية ونبطية وعبرية، بل إن بعضها استخدم أداة التعريف العبرية وهي الهاء، ولكنها من ناحية أخرى تحتوي على الأصوات الأسنانية التي فقدت في كل اللغات السامية الشمالية وتحتوي على كلمات عربية مثل: علم، حل، وبات، ورعى، وذكر، ووعل، وجمل، وهذا يثبت أنها تنتمي إلى اللغة العربية.

عثر المنقبون بعد ذلك على أربعة نقوش هي: النمارة ونقش زَبَدَ ونقش حَرَّان ونقش أمِّ الجمال في منطقة قريبة من منطقة الصفا، فقد عثر على نقش النمارة بالقرب من دمشق ويرجع إلى سنة ٣٢٨م، وعثر على نقش زبد في حلب ويرجع إلى سنة ٥١٢م. أو٥١٣م.، وعثر على نقش حرّان جنوبي دمشق ويرجع إلى سنة ٥٦٨م.، ويلاحظ أن نقش النمارة مكتوب بالعربي والسرياني واليوناني، أما نقش زبد فمكتوب بالعربي واليوناني.

الخط الذي دونت به هذه النقوش: هو الخط النبطي المتأخر، والحروف فيه مرتبط بعضها ببعض، لذلك يرى بعض الباحثين أن خط هذه النقوش يعد حلقة اتصال بين الخط النبطي القديم والخط العربي في أول عهد الإسلام(١).

ولغة هذه النقوش قريبة من لغة الشعر الجاهلي، ولكنها ليست عربية خالصة إذ أنه يوجد بها كثير من الكلمات الآرامية.

والحق يقال إن هذه النقوش لا تمثل طفولة اللغة العربية... يقول د. رمضان عبد التواب: «إنها غير كافية، لأسباب أهمها أنها مزيج من ظواهر عربية، وأخرى غير عربية، وثانياً لأن مادة هذه النقوش ضحلة، لأنها عبارة عن لوحات على حجارة، وضعت فوق المقابر، وفوق بعض الأبنية التي شيدت قبل

---

(١) فصول في فقه العربية، ص ٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦١.

الإسلام، كالكنائس مثلاً، ويقول شبيتالر: «إنه على الرغم من وجود النقوش المتعددة، فإن قراءتها في كثير من الأحوال غير مؤكدة، ونتائجها عديمة الجدوى، لأن مادتها اللغوية، على جانب كبير من الضآلة»[1].

وإذا كان العرب قبل الإسلام لم يخلدوا لغتهم إلا في النادر على الحجارة، فقد تطور لديهم الشعر الجاهلي، وازدهر ازدهاراً عظيًا، واستخدموا في ذلك لغة مشتركة تمتاز بالوفرة الهائلة في الصيغ، كما تدل بوحدة طريقتها في تكوين الجملة، على درجة من التطور أعلى منها في اللغات السامية الأخرى، هذا إلى أن مفرداتها تفوق الحصر، لأنها التهمت كل اللهجات المختلفة المحيطة بها.

وقد كان يعيش إلى جانب هذه اللغة المشتركة لهجات القبائل... ونحن لا نعرف خصائصها إلا من خلال إشارات مقتضبة هنا وهناك في كتب النحو واللغة المختلفة... وقد كتب للغة الفصحى الخلود عندما نزل بها القرآن الكريم، وانتشرت بعد الإسلام انتشاراً واسعاً والتهمت كل اللغات التي اعترضتها في سبيل انتشارها كالسريانية في الشام والقبطية في مصر.

□ اللهجات، العربية الجنوبية القديمة:

اكتشفت النقوش العربية الجنوبية في القرن التاسع عشر، وأمكن بعد فك رموز خطها المسند تحليل لغة هذه النقوش وخصائصها. ترجع هذه النقوش إلى فترة امتدت أكثر من (ألفي عام)، فأقدم هذه النقوش من القرن الخامس ق.م.، وآخرها يرجع إلى الربع الثالث من القرن السادس الميلادي. وعندما قلت النقوش الجنوبية في أواخر القرن السادس كانت العربية الشمالية قد بدأت تنتشر في المنطقة اللغوية الجنوبية.

وقد وجدت النقوش العربية الجنوبية في النصف الجنوبي من الجزيرة العربية، أي في الأقاليم التي تقع جنوب المملكة العربية السعودية واليمن الآن. غير أن هناك عدداً من النقوش الجنوبية وجدت خارج هذه المنطقة، فقد أقام

(١) المرجع نفسه.

عدد من عرب الجنوب محطات تجارية في شمال غرب الجزيرة العربية مثل العلا.

ودونت النقوش العربية الجنوبية بخط أبجدي يسمى الخط المسند ويتكون من تسعة وعشرين رمزاً وهو مقتبس من الخط الكنعاني مباشرة، وتتطابق أصواتها في الغالب مع أصوات العربية الشمالية وتحتفظ بالأصوات الأخدودية الثلاثة(ś s sh) الموجودة في السامية الأم، والتي تحولت إلى صوتين في العربية الشمالية.

وأهم اللهجات العربية الجنوبية القديمة: السبئية والمعينيـة والقتبانيـة والحضرمية والهرمية.

وبعد انهيار سد مأرب هاجرت قبائل عربية جنوبية إلى الشمال وتعربت بعربية الشمال ولم يبق لها من الأصل القديم إلا الذكرى والنسب، حتى أن شعراء هذه القبائل قبل الإسلام مثل امرىء القيس نظموا شعرهم بالعربية الشمالية. يضاف إلى هذا أن ظهور الإسلام قد ساعد على انتشار العربية الشمالية في اليمن[1].

□ الجعزيـة:

دخلت اللغات السامية الحبشة عندما هاجر بعض الشعوب العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة بعد أن عبرت باب المندب، ويبدو أن أول هجرة تمت حوالي القرن السابع ق.م.، وأهم القبائل المهاجرة قبيلتان: حبشت والأجعازي. وسميت المنطقة باسم القبيلة الأولى أي الحبشة وسميت اللغة باسم القبيلة الثانية أي الجعزية.

وترجع أقدم النقوش الجعزية إلى سنـة ٣٥٠م. ويمتاز الخط الحبشي باحتواء كل رمز على رموز للحركات وبالتالي يوجد للرمز الواحد سبعة أشكال حسب الحركة التي تليه. وقد طرأ تطور على أصوات الجعزية يتمثل في تحويل الأصوات الاحتكاكية الطولية إلى نظيرها الأخدودي كما رأينا في العبرية.

---

(١) راجع: أسس علم اللغة العربية، ص ١٨٨ ـ ١٩٢؛ وفقه اللغات السامية، ص ٣١.

وبعد سيطرة المسيحية على الحبشة ترجم الإنجيل إلى الجعزية وكتب بها كثير من الآداب الروحية.

وتميل اللغة الجعزية على العكس من اللغات السامية، إلى التحرر في بناء الجملة وعدم التقيد في تركيب الكلمات في داخلها.

وقد ماتت اللغة الجعزية عندما فقد شعب الجعز أهميته السياسية حين دَبَّ الضعف في دولة أقسوم في القرن الثاني عشر الميلادي. ولكنها أحييت مرة أخرى عندما تأسست الأسرة السليمانية سنة ١٢٧٠م فبدأت حركة التأليف بلغة الجعز(١).



(١) أسس علم اللغة العربية، ص ١٩٢ ــ ١٩٥؛ وفقه اللغات السامية، ص ١٦ ــ ١٧.

ثبت المراجع

أولاً ـ المراجع العربية:

ـ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمد محمود شاكر، القاهرة ١٩٧٤.

ـ ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت ١٩٧٧.

ـ أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق السقا وآخرين، القاهرة ١٩٥٠.

ـ أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد صقر، القاهرة ١٩٧٧.

ـ أحمد مختار عمر (دكتور):

١ ـ الصدق اللغوي، القاهرة ١٩٨١.

٢ ـ البحث اللغوي عند العرب، القاهرة ١٩٧٧.

ـ السيد عبدالعزيز سالم (دكتور)، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، الاسكندرية ١٩٧٨.

ـ السيد يعقوب بكر (دكتور)، دراسات في فقه العربية، بيروت ١٩٦٩.

ـ تمام حسان (دكتور):

١ ـ مناهج البحث في اللغة، الرباط ١٩٨٠.

٢ ـ العربية معناها ومبناها، الرباط ١٩٨٠.

ـ جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم العربية، تحقيق السقا وآخرين، القاهرة ١٩٥٠.

ـ جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، بيروت ١٩٨٠.

ـ داود عبده، (دكتور):

١ ـ التقدير وظاهر اللفظ، بيروت ١٩٨٠.

٢ ـ ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية، الخرطوم ١٩٨٢.

ـ رمضان عبدالتواب، (دكتور)

١ ـ فصول في فقه العربية، القاهرة ١٩٧٩.

٢ ـ التطور اللغوي، أصوله وقوانينه، القاهرة ١٩٨٠.

٣ ـ المدخل إلى علم اللغة، القاهرة ١٩٨٠.

ـ سعد مصلوح (دكتور) في العربية ولهجاتها، القاهرة ١٩٧٧.

ـ صبحي الصالح، فقه اللغة، بيروت ١٩٧٠.

صلاح صالح (دكتور) المدخل إلى علم الأصوات، القاهرة ١٩٨٠.

ـ عبدالرحمن أيوب، (دكتور)

١ ـ أصوات اللغة، القاهرة ١٩٦٥.

٢ ـ اللغة والتطور، القاهرة ١٩٦٦.

ـ عبدالصبور شاهين، (دكتور)

١ ـ في علم اللغة العام، القاهرة، ١٩٧٣.

٢ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت ١٩٧٩.

ـ عبده الراجحي، (دكتور)

١ ـ فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت ١٩٧٩.

٢ ـ النحو العربي والدرس الحديث، بيروت ١٩٧٨.

ـ فندريس، اللغة، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة ١٩٥٠.

ـ كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، الرياض ١٩٧٥.

ـ ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر طرابلس ١٩٧٣.

ـ محمد الحناش، (دكتور)، البنيوية في اللسانيات، الدار البيضاء ١٩٨٠.

ـ محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، بيروت ١٩٧٨.

ـ محمد حماسة عبداللطيف، (دكتور) في بناء الجملة العربية، الكويت ١٩٨٢.

ـ محمد علي الخولي، قواعد تحويلية. الرياض ١٩٨٠.

ـ محمد علي رزق الخفاجي، (دكتور) علم الفصاحة العربية، أسيوط ١٩٨٠.

ـ محمود فهمي حجازي، (دكتور)

١ ـ علم اللغة العربية، الكويت ١٩٧٣.

٢ ـ أسس علم اللغة، القاهرة ١٩٨١.

ـ موسكاتي، الحضارات السامية، ترجمة د. السيد يعقوب بكر. القاهرة ١٩٦٨.

ـ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت ١٩٧٩.

ثانياً ـ المراجع الأوروبية:

— J.P.B. Allen, Some Basic Concepts in Linguistics, Oxford 1975.
— Bloom Field, The language, New York, 1930.
— Carl James, Contrastive analysis. London 1980.
— David Crystal, Linguistics, London 1970.
— Derek & O'Conor, Phonetics, London 1965.
— Diakonof, Semito-Hamito languages, Moscow 1965.
— John B. Caroll, The study of language.
— Gleason, Descriptive Linguistics, India 1966.
— Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, New York 1975.
— Palmar, Descriptive and Histrocial Linguistics, London 1972.
— O'Leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages, London 1917.
— Robert Lado, Comparative Linguistics, London 1960.
— Robins, General Linguistics, An Introductory Survey, London 1965.
— Salman Al'ani, Arabic Phonology. Indiana 1972.

